

الصحیح

عزیز بنی النبی الاکظم

للبرق الباقی الحیدر

الجلال الخفی

السید الخفی الخفی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الصَّحِيحُ

مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ
ﷺ

الْعَلَامَةِ الْحَقُّونِ

السَّيِّدِ جَعْفَرٍ مُتَخَيِّ الْعَامِلِي

الْجُرُءِ الثَّامِنِ الْعَشِيرَةِ

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ
(الجزء الثامن والعشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر

المطبعة: دار الحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق - ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٥٤٥٠٧٧٤ - ٥٢٣٠٧٧٤ / فاكس: ٥٧١٠٧٧٤ - ٢٥١٠٧٧٤ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان، تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ - ١ - ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

<http://www.hadith.net>

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

hadith@hadith.net

ISBN: 978 - 964 - 493 - 200 - 7



9 789644 931710

* جميع الحقوق محفوظة للناسخ *

الفصل الثالث:

وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان

استاذنا راجعاً

السلامة في العمل والبيئة

ملوك حمير قبل الإسلام:

كان ملوك حمير يعتنقون اليهودية، وهم الذين قتلوا نصارى نجران قتلاً ذريعاً، فتسلط الأحباش عليهم، وذهب ملكهم^(١)، إلا عبد كلال، فإنه آمن بـعيسى «عليه السلام»، وبالنبي محمد «صلى الله عليه وآله» قبل مبعثه^(٢).

النبي ﷺ وملوك حمير:

وكانت عساكر المسلمين تضرب في كل وجه يدعون إلى الله سبحانه، وإلى الإسلام، فمن آمن يكون له ما للمسلم، ومن كفر جوزي بعمله، فعندئذ وفدت قبائل العرب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكي يأمنوا العساكر المتفرقة في مخاليف اليمن^(٣).
وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث مهاجر بن أبي أمية إلى

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٢ - ٢٣، ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣٩.

(٢) منتخب أخبار اليمن ص ٩٣ لنشوان الحميري، وتاريخ الحسين «عليه السلام» لعبد الله العلايلي ص ١٠١، ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣٩ نقلاً عن منتخب أخبار اليمن.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٨٦ - ٥٩٠.

٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
ملوك حمير^(١).

وقال بعضهم^(٢): بعث الأقرع بن عبد الله الحميري إلى عمير ذي مران، وزاد في الإصابة ذي رود. وبعث إلى زرعة بن سيف بن ذي يزن، وفهد، والبسي، والبحيري، وربيعه، وهجر، وعبد كلال، وغيرهم^(٣). وبعث خالد بن الوليد إلى همدان، فبقي فيهم ستة أشهر، فلم يجيبوه، ثم أرسل علياً «عليه السلام» فأسلمت على يديه همدان كلها في يوم واحد، حسبما تقدم.

والذي يظهر بعد التتبع أنه «صلى الله عليه وآله» كتب في سنة تسع كتباً، وأرسل رسلاً إلى جميع أذواء اليمن وأقياها، وبعث دعائه إلى تلك البلاد: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد (لا ابن رواحة^(٤))، فإنه استشهد في مؤتة سنة ثمان) وأبا موسى الأشعري، ومالك بن عباد (مرارة)، وعتبة بن نيار، ليفقهوا الناس، ويعلموهم معالم الإسلام، فأجابوا إلى الإسلام،

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٧٩ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٢٢ والإصابة ج ١ ترجمة الحارث وج ٤ ترجمة شرح بن عبد كلال.
(٢) أسد الغابة ج ١ ص ١١٠ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٨٦.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٨٣، ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٠٠ نقلاً عن: الإصابة ج ٣ ص ٢١٥ (٧٠٢٩) في «فهد» وج ٣ ص ٤٩٥ (٨٤٢٥) في «مشرح» والطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ٣٣ وراجع الوثائق السياسية ص ٢٢٦ / ١١٠ - ألف وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٧ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٨٥ وراجع الإشتقاق ص ٥٢٦.

(٤) كما زعمه في أسد الغابة ج ٣ ص ٣٦٨ والأموال لأبي عبيد ص ٢١ و ٣١.

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ٩
 ووفدت إليه وفودهم، وكتب لكل الوافدين كتباً، وأمنهم على دورهم،
 وزرعهم وأموالهم وأنفسهم.
 ومن كتب إليهم ابنا عبد كلال، وهم: مسروح، ونعيم.
 وزاد ابن سعد وابن الأثير: الحارث.
 وعند الهمداني في الإنساب: كتب إلى الحارث وأخيه نعيم^(١).
 ومن أبناء عبد كلال أيضاً: أيفع، وعريب، وشرحيل، وكان الملك
 منهم يومئذ الحارث وعريب^(٢).

كتابه ﷺ إلى ملوك حمير، وأذواء اليمن:

ونصوص الكتب التي يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسلها إلى أهل
 اليمن متعددة، ومنها: نص الكتاب الذي أرسله «صلى الله عليه وآله» إلى
 أبناء عبد كلال، وغيرهم، وهو كما يلي:
 «سلم أنتم، ما آمتم بالله ورسوله، وأن الله وحده لا شريك له، بعث
 موسى بآياته، وخلق عيسى بكلماته. قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت
 النصارى: الله ثالث ثلاثة، عيسى ابن الله»^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٣.

(٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٤٠٧ ترجمة عريب، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٧٩.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣٧ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١
 ق ٢ ص ٣٢ ورسالات نبوية ص ١٣٨ عن المصباح المضيء ج ١ ص ٣١٦ عن
 الطبقات، وراجع: نشأة الدولة الإسلامية ص ١٤٥ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٨٢
 ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٧/٢١٨ عن ابن سعد، وعبد المنعم، وعن =

١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

ومن الواضح: أن أهل اليمن الذين كان كثير منهم على دين اليهودية، وبعض منهم كان على دين النصرانية.. فهذا الكتاب قد لاحظ ذلك، فتعرض لمزاعم اليهود والنصارى، وأعلن بطلانها.

قال ابن سعد: بعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقال: إذا أصبت أرضهم، فلا تدخل ليلاً حتى تصبح، ثم تطهر، فأحسن طهورك، وصل ركعتين، وسل الله النجاح والقبول، واستعد لذلك. وخذ كتابي بيمينك، وادفعه بيمينك في أيانهم، فإنهم قابلون.

واقرا عليهم: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَنَفِّكِينَ﴾^(١)، فإذا فرغت منها فقل: آمن محمد، وأنا أول المؤمنين. فلن تأتيك حجة إلا دحضت، ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره.

وهم قارئون عليك، فإذا رطنوا، فقل: ترجموا.

قل: حسبي الله ﴿آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

= نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الباب السابع ص ٦٢ والمطالب العالية لابن حجر ص ٢٦٣١ والأكوع الحوالي ص ١٣٠ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٥٦ والإكلیل ج ٢ ص ٣٦٤. وأوعز إليه في الإصابة ج ٣ ص ٨٤٢٥ / ٤٩٥ في ترجمة شرح بن عبد كلال، ونقل شطراً منه، وكذا ج ١ ص ٢٨٣ في ترجمة الحارث، وأوعز إليه في نهاية الإرب للقلقشندي ص ٢٦٠ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٤٧.

(١) الآية ١ من سورة البينة.

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ١١
وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^(١) فإذا أسلموا فسلهم تصبهم الخ..^(٢).

فلما وصلت كتبه «صلى الله عليه وآله» أسلم أبناء عبد كلال، وزرعة بن سيف بن ذي بزن، وعمير ذو مران، والنعمان قَيْلَ ذي رعين، ومعاfer، وكتبوا بإسلامهم، وأرسلوا الكتاب مع وافدهم مالك. فأتى المدينة مع وفد همدان، مالك بن نمط وغيره، فلقوا النبي «صلى الله عليه وآله» مقدمه من تبوك، فأخبروه بإسلامهم وكتابهم، فأكرم رسولهم^(٣).

من هو وافد حمير:

وكان وافد ملوك حمير: مالك بن مرارة^(٤).
وقيل: هو الحارث بن عبد كلال، وأنه حين قدم اعتنقه النبي «صلى الله عليه وآله» وأفرشه رداءه، وقال قبل أن يدخل عليه: «يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين، صبيح الخدين فكأنه..^(٥)»
وأضافوا إلى الوافدين أيضاً: نعيم بن عبد كلال، والنعمان قَيْلَ ذي

(١) الآية ١٥ من سورة الشورى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٣٢ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٤٧، والإصابة ج ٣ ص ٤٩٥ / ٨٤٢٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٥٨ والكامل ج ٢ ص ١١١ والسيرة الحلبية، والسيرة النبوية لزيني دحلان، ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢١٩.

(٤) راجع المصادر في الهامش السابق وأسد الغابة ج ٢ ص ١٤٦.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٣ والإكلیل للهمداني ج ٢ ص ٣٢٠، والإصابة ج ١ ص ٦٧٧.

١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

رعين، ومعارف وهمدان^(١). ولعل ذلك غير دقيق، فإن هؤلاء هم ملوكهم - على الظاهر^(٢) - وكان النعمان من الأقيال، ومن البعيد أن يكون الملك هو الرسول، فلعلهم وفدوا على النبي «صلى الله عليه وآله» وفادة الملوك. وقال ابن حجر عن الحارث: تضافرت الروايات أنه أرسل بإسلامه، وأقام باليمن^(٣).

ويدل على ذلك أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب في كتابهم: «من محمد النبي إلى الحارث بن عبد كلال. ولو كان هو الوافد لكان الكتاب له لا إليه»^(٤).

(١) عن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١١١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٨١ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٥٨.

(٢) أسد الغابة ج ٥ ص ٢٩ ترجمة نعمان قيل ذي رعين، وراجع: منتخب أخبار اليمن لنشوان الحميري ص ٩٣.

(٣) الإصابة ج ١ ص ٦٧٧ ترجمة الحارث بن عبد كلال، وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٣.

(٤) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٨٨، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٣٠، والمصنف للصنعاني ج ٤ ص ١٣٦، والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٣ ص ٣٧، وسنن الدارقطني ج ٢ ص ١١٣، والإستيعاب ج ٤ ص ١٤٥٢، وكنز العمال ج ٦ ص ٥٦٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٥٦، وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٠٣، والإصابة ج ١ ص ٦٧٨ وج ٢ ص ٥٢٣، وفتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ٨٥، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٨١، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٠٩، وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٩٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٤٥، وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٣، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٢.

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ١٣

وصرح ابن الأثير: بأن مالك بن مرارة الرهاوي قدم على النبي «صلى الله عليه وآله» بكتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك، بإسلام الحارث بن عبد كلال^(١).

أي أن ملوك حمير كتبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» يخبرونه بإسلام الحارث الذي كان ملكهم.

كتاب النبي ﷺ لأهل اليمن:

ومهما يكن من أمر، فقد روى ابن سعد عن رجل من حمير، أدرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ووفد عليه قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مالك بن مرارة الرهاوي رسول ملوك حمير بكتابهم (وإسلامهم)، وهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين، ومعاقر وهمدان، وذلك في شهر رمضان سنة تسع^(٢).

وقال ابن إسحاق: مقدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تبوك. فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلالاً أن ينزله ويكرمه ويضيفه. وكتب إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«أما بعد.. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد.. فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم، فبلغ ما أرسلتم به، وخبر عما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، فإن الله تبارك وتعالى قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ١٤٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٥٦.

الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغنم خمس الله، وخمس نبيه وصفيته، وما كتب على المؤمنين من الصدقة، من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر. إن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع، جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدى ذلك، وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله.

وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها، وعليه الجزية على كل حالم - ذكر أو أنثى، حر أو عبد - دينار واف من قيمة المعافر، أو عوضه ثياباً. فمن أدى ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد.. فإن رسول الله محمداً أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عباد، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرارة، وأصحابهم. وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلغوها رسلي، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً.

أما بعد.. فإن محمداً يشهد ألا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرارة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت

المشركين، فأبشر بخير، وأمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا، ولا تتخاذلوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالكم قد بلغ الخبر، وحفظ الغيب، وأمركم به خيراً، وإني قد أرسلت إليكم من صالحى أهلي، وأولي دينهم، وأولي علمهم، وأمركم بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٤ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٥٤٩ و ٥٥٠ وأشار في المتن وفي الهامش أيضاً إلى المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٣٨١ وفي (ط أخرى) ج ٣ ص ١٢٠ واللفظ له، والبدية والنهاية ج ٥ ص ٧٥ وفتح البلدان للبلاذري ص ٨٢ وفي (ط أخرى) ص ٩٥ و ٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٨ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٣٠ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٥ و ٨٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٥٨ وفي (ط أخرى) ص ٢٣٥ وإعلام السائلين ص ٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٥٤ وفي (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٨٤ و ٨٣ و ٢٠ وج ٥ ص ٣٨٦ و ٣٨٧ وج ٣ ق ٢ ص ١٢١ والأموال لأبي عبيد ص ٢١ و ٣١ وكنز العمال ج ٣ ص ٣٠٨ وفي (ط أخرى) ج ٥ ص ٥١٨ وج ٦ ص ١٦٥ و ٣١٧ وج ٤ ص ٢٧٥ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٩ والمفصل ج ٥ ص ٣٠٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٨ ورسالات نبوية ص ١٣٦ و ١٥٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١ وثقات ابن حبان ج ٢ ص ١٠٦ والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٣٩٥ وسنن النسائي ج ٨ ص ٥٨ والدر المنثور ج ١ ص ٣٤٣ وج ١ ص ١٩٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ والمصنف لابن أبي شعبة ج ٣ ص ١٤٤ و ١٤٥ والأموال لابن زنجويه ج ١ ص ١٠٥ ومجمع الزوائد ج ٣ =

= ص ٧١ و ٧٢ عن النسائي، والمعجم الكبير، وأحمد، ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٦٩ وأسد الغابة في ترجمة ذي يزن ج ٢ ص ١٤٦ و ٣٩٢ في ترجمة شرحبيل بن عبد كلال و ٢٠٣ في ترجمة زرعة وج ١ ص ٣٣٩ في ترجمة الحارث بن كلال، وتلخيص المستدرک للذهبي (بهامشه) ج ١ ص ٣٩٥ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣١٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٤٠٨ والخراج للقرشي ص ١١٣ وفي (ط أخرى) ص ٥٢١ و ٥١٨ و ٥٥٩، والسيرة النبوية لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقو ص ١٠٤٤ وموارد الظمان لزوائد ابن حبان ص ٢٠٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٩/٢٢٠ عن جمع ممن تقدم، وعن: وسيلة المتعبدين ج ٨ الورقة ٢٨ - ب و ص ٢٩ - ألف، وسيرة ابن إسحاق (ترجمتها الفارسية) ورقة ٢١٤، وإمتاع الأسماع للمقريزي خطبة ص ١٠٢٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٧٩ وجمع الجوامع للسيوطي في مسند عمرو بن حزم ونشر الدر المكنون في فضائل اليمن ص ٦٣ عن ابن مندة، وابن عساكر، وسنن الدارقطني ج ١ ص ٢١٥ والوفاء لابن الجوزي ص ٧٤٢ والوثائق السياسية اليمنية للأكوع الحوالي ص ١٠٧ وعن مقال لبعض الفرنسيين «لدافيد كهن» وروي هذا الحديث عن سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كما في كثير من طرق البيهقي وأسانيده ج ١ ص ٨٨ و ٣٠٩ وج ٤ ص ٨٩ و ١١٦ و ١١٨ و ١٣٠ وج ٨ ص ٢٥ و ٢٨ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٩ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٥ و ٩٧ و ١٨٨ وج ١٠ ص ١٢٨ والدارمي ج ١ ص ٣٨١ و ٣٨٣ و ٣٨٥ وج ٢ ص ١٦١ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٥، وراجع: نصب الراية للزيلعي ج ٤ ص ٣٦٩ وج ٢ ص ٣٤٠ عن النسائي في الديات، وأبي داود في المراسيل، وعبد الرزاق في مصنفه، والدارقطني في سننه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وابن الجوزي في التحقيقات، وأحمد بن حنبل في مسنده، والبيهقي في سننه، والطحاوي في شرح الآثار.

وقد أرسل الكتاب إليهم مع عمرو بن حزم.

وهناك كتاب آخر أرسله لزرعة بن ذي يزن، وكتاب ثالث لأهل اليمن^(١) أرسله مع معاذ، يشبهان هذا الكتاب، فراجع وقارن في المصادر

= وراجع: نيل الأوطار ج ٧ ص ٢١٢ عن النسائي، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن الجارود، والحاكم، والبيهقي موصولاً، وأبي داود في المراسيل وقد صححه جماعة من أئمة الحديث منهم: أحمد، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي. والإصابة ج ٣ ص ١٠٥ في ترجمة «عريب» و ٥٨٦ في النعمان وج ١ ص ٢٨٣ في ترجمة الحارث و ٥٧٧ في زرعة وج ٢ ص ١٦٦ في ترجمة شرحبيل، والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ص ٨٢٥ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٦ والمصنف لعبد الرزاق ج ٤ ص ١٣٦ والفاائق ج ٢ ص ١٠٥ وزاد المعاد ج ١ ص ٤٥ وفي (ط أخرى) ص ٣٠ والقرطبي في تفسيره ج ١٧ ص ٢٢٥ والمحلى ج ٦ ص ١٦ وج ١٠ ص ٤١١ و ٤١٢ والموطأ (تنوير الحوالك ج ٣ ص ٥٨ وفي (ط أرى) ج ٢ ص ١٨١، والمتنظم لابن الجوزي ج ٣ ص ٣٧٢ والإشتقاق لابن دريد ص ٥٢٦ قال: وعريب والحارث ابنا عبد كلال كتب إليهما النبي «صلى الله عليه وآله»، والإكليل للهمداني ج ٢ ص ٣٢١.

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٩٢ و ٥٩٣ عن المصادر التالية: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٤ وفي (ط أخرى) ص ٦٩ وقال: وكان الرسول بالكتاب معاذ بن جبل. قال ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ٢٦٤ وفي (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٢٠: «وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل اليمن كتاباً يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة في المواشي والأموال ويوصيهم بأصحابه ورسله خيراً، وكان رسوله إليهم معاذ بن جبل ومالك بن مرارة ويخبرهم بوصول رسولهم إليه وما بلغ عنهم»، ثم نقل كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى أبناء عبد كلال فلا يحتمل =

ونقول:

إنه عدا عن أن بعض النصوص لهذا الكتاب تخالف ما ثبت عن أئمة أهل البيت المعصومين «عليهم السلام»^(٢) فإننا نشير إلى ما يلي:

= اتحادهما وإن كان بين الكتابين اشتراك في الألفاظ والوصية برسله وذكر مالك بن مرارة ونحوه ما في الأموال لأبي عبيد ص ٣١.

وراجع: الطبقات الكبرى ج ٣ ق ٢ ص ١٢١ وفتوح البلاذري ص ٩٦ و ٩٨ والإصابة ج ٣ ص ٤٢٧ في ترجمته، والمصنف لابن أبي شيبه ج ٣ ص ١٢٨ و ١٤٤ و ١٤٥ والمعركة والتاريخ ج ٣ ص ٤٠٩ وترتيب مسند الشافعي ج ١ ص ١٥٢ وج ٢ ص ١٢٩ والخلاف ج ٢ ص ١٨ والخراج لأبي يوسف ص ٥٩ والخراج للقرشي ص ٦٨ و ١١٢ و ١١٣ وغريب الحديث لأبي عبيد ج ١ ص ٧٠ والأموال لأبي عبيد ص ٣٨ و ٥٤ و ٦٣ و ٥٨٤ و ٦٣٨ والدر المنثور ج ١ ص ١٦٢ وكنت العمال ج ١٠ ص ٣٩٢ والمصنف لعبد الرزاق ج ٤ ص ٧١٨٦/١١٩ و ٧١٨٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٢٨ وابن ماجه ج ١ ص ٥٨٠/١٨١٤ والوثائق السياسية ص ٢١٥ و ٢١٦ وراجع: الأموال لابن زنجويه ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٨ وج ٢ ص ٨٣٧ و ٨٤١ وج ٣ ص ٩٤٨ و ١٠٢٧ و ٢٠٦١ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٦٥.

(١) الأموال لأبي عبيد ص ٢٨٩ و ٢٩٠ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٦٥ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٩٤ وكنت العمال ج ٤ ص ٣١٩ وج ١٠ ص ٤١٧ و ٤١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٣٨٦.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٦٧ و ٥٦٩ وراجع ص ٥٧٠.

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ١٩
تكرار كلمة «أما بعد»:

بالنسبة لهذا الكتاب الأخير نلاحظ: أن كلمة «أما بعد» قد تكررت فيه أربع مرات، بالإضافة إلى تكرار فقرات ومطالب أخرى، مثل الحديث عن الصدقة مرتين، كما أن الإشارة إلى الأشخاص قد تكررت أيضاً. وهو أمر غير مألوف في الرسائل، فقد يثير هذا احتمال أن تكون رسائل مختلفة أرسلت لعدة فئات أو جهات أو أشخاص في اليمن، فمزجها الرواة عمداً وسهواً. وقد ظهر نتيجة لذلك ضعف في التركيب، وتفكك وعدم انسجام، فهو تارة يكلمهم بصيغة الجمع، وأخرى بصيغة المفرد.

الإعلان والإشهاد على الإسلام:

وقد ذكر في الكتاب: أن من أدى زكاة ماله، وأشهد على إسلامه، وظاهر المسلمين على المشركين فهو من المؤمنين.. ولعل المقصود بالإشهاد على الإسلام هو: إشهار إسلامه وإعلانه حتى لا يتعرض لمعرة جيوش المسلمين، فإنه إذا تكتم على ذلك، وستره، وكانت المنطقة في أجواء حرب وقتال، فقد يظن به من لا يعرفه الكفر والشرك، وأنه محارب فيوقعون به.

الإيمان قول وعمل:

قد ذكر في الكتاب: أن هدايتهم متوقفة على إصلاحهم، وطاعتهم لله ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإعطاء الحق الشرعي من المغانم.. وهذا يدل على: أن الإقرار باللسان لا يوجب نجاتهم من العذاب، ولا

٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

أمنهم من القتل، بل لا بد أن يعملوا بالمذكورات. كما أن من يعمل بها فله ذمة الله ورسوله، أي أن من لم يعمل فليس له ذلك..

قتال المشركين دون غيرهم:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد شرط عليهم قتل المشركين، وعدم الإكتفاء بقطع الصلة معهم..

ولعل المراد: أن لا يتخرجوا من قتلهم حين وقوع الواقعة بين المسلمين والمشركين.

ومن المعلوم: أنه لا يقبل من المشركين إلا الإسلام أو الحرب، ويخير اليهود والنصارى، بين الجزية، والإسلام، والحرب. ربما لأن الشرك يتناقض مع التوحيد، أما اليهودية والنصرانية فليستا بهذه المثابة، فلأجل ذلك لا يجبر النصارى واليهود على ترك دينهم، إذا أعطوا الجزية، وقد تحدثنا عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب..

من يأخذ الصدقات من الناس؟!:

وقد ذكر الكتاب المتقدم: أن زرعة، وسائر ملوك حمير، وهمدان، وغيرهم، هم الذين يجمعون صدقاتهم. ويأخذون الجزية ممن لم يسلم من اليهود والنصارى من قومهم، ثم يسلمونها إلى مبعوثي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا غاية في الإرفاق بهم، ورعاية حالهم، فإن بعضهم أعرف بأحوال بعض من غيرهم، وبذلك يتحقق الإجراء الصحيح لما هو مطلوب، ويطمئن قومهم إلى إجراء سنة العدل فيهم.

رسول الله مولى غنيكم وفقيركم:

وبعد أن أمرهم في الكتاب بأن لا يخونوا ولا يتخاذلوا، علل لهم ذلك بقوله: «فإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم»، فلا يشعر الفقير بأن ثمة استقواءً عليه، واستغلالاً لحاله، فيؤخذ بها لا يؤخذ به غيره، وتفرض عليه قرارات لا تفرض على الغني، ولا تطلب منه..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» يطلب ما يطلبه ويفرض ما يفرضه على الجميع، من دون استثناء، لأنه ولي الغني والفقير، والكبير والصغير..

إنما هي زكاة يتزكى بها:

ويلاحظ: أن الكتاب يقول عن الزكاة: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله، إنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المؤمنين، وأبناء السبيل».

فقد تضمنت هذه الفقرة الإشارة إلى أمور عديدة، فقد عبّرت بكلمة «المؤمنين»، دون كلمة المسلمين، ربما لتؤكد: أن مجرد إظهار الإسلام لا يكفي، بل لا بد من الإيمان بمعناه الصحيح، الذي هو قول وقبول والتزام قلبي وعملي بكل ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم إن الزكاة تطهير للنفوس، وتنمية لها، من خلال إبعادها الإنسان المؤمن عن التعلق بالمال وحب الدنيا، وإيجابها القرب من الله تعالى، وهي تدفع إلى الإيثار، وإلى الشعور بحوائج المؤمنين..

وصية النبي ﷺ لرسوله:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» أوصى لرسوله عياش بن أبي ربيعة

بأن لا يدخل على من يبعثه إليهم، وأن يتوضأ قبل دخوله عليهم، ويصلي ركعتين، ويسأل الله النجاح والقبول، وأن يأخذ كتابه بيمينه، ويدفعه إليهم بأيامهم..

أي أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يسن لهم ما شرعه الله تعالى في شأن الرسل في هذه المناسبة بالذات، لتكون حساسيتها من أسباب وعيها بعمق، وتحس نتائجها الرضية على الرسول وعلى المرسل إليهم على حد سواء.

ولعل عياش بن أبي ربيعة كان يشعر بخطورة الموقف، فجاءت التوجيهات منه «صلى الله عليه وآله» لتربط على قلبه، وتعيده إلى الله، فيشعر بعظمته، وبهيمته، وبقدرته، وبمحبتة له وللمؤمنين، ولطفه وعناياته بهم.. فيعيش الثقة بالله، والسكينة في قلبه، وروحه، والقوة في دينه، وعدم المبالاة بالأخطار إذا كان الله محباً له، راضياً عنه.

على أن هذه القوة الروحية، والثبات والإتزان في الخطاب وفي الموقف يعطي للكلمة قوة مضاعفة على التأثير، ويضفي على شخصيته الهيبة، ويفرض على الآخرين احترامه، والإصغاء إليه، والتدبر فيما يأتيهم به.

وفد همدان:

وفي شهر رمضان من سنة تسع، مرجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك قدم وفد همدان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وفد حمير.

وكان الوافد من كل بطن من همدان سيدهم. فمالك بن أيفع من بني ناعط. وعميرة بن مالك من بني حازم، ومن بني سلمان ضهام بن مالك. ومن بني حدان مسلمة بن هدان، وهم بطن من همدان. ومن بني خارف من بني

حاشد (بطن من همدان) مالك بن نمط، وكنيته أبو ثور، ولقبه ذو المشعار.

وقيل: كان مجموع وفد همدان مائة وعشرين نفساً^(١).

وكان على وفد همدان مقطعات الخبرات، مكففة بالديباج، وفيهم حمزة بن مالك من ذي مشعار، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد، ومنهم أبدال وأوتاد الإسلام»^(٢).
فأسلموا، وكتب لهم النبي «صلى الله عليه وآله» كتاباً بمخلاف خارف،

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ عن عدد من المصادر.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٣٨٧ وفي هامشه عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٩ والسيرة النبوية لزييني دحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٣١ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٠٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ١٣١ و ١٣٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٣٦٩ وينابيع المودة ص ٢١٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ص ٨٣٣ وفي (ط أخرى) ج ٢ ق ٢ ص ٥٥ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٠ و ٣٦٣ عن إعلام الوري، وعن الإرشاد للمفيد «رحمه الله» ج ٣٨ ص ٧١ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٢٩ والإرشاد للمفيد «رحمه الله» ص ٢٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٥ وزاد المعاد ج ٣ ص ٣٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٢/ ٨٠ عن إمتاع الأسماع للمقرئزي، وحياة الصحابة ج ١ ص ٩٥ والعدد القوية ص ٢٥١ والتنبيه والإشراف ص ٢٣٨ وذخائر العقبى ص ١٠٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ٦٤ وج ٢١ ص ٦٢٠ عن الجامع بين الصحيحين ص ٧٣١ ونثر الدر المكنون ص ٤٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٣٩٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠١ من طرق كثيرة، والتدوين للقزويني ج ٢ ص ٤٢٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٤.

٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

ويام، وشاكر، وأهل الهضب، وحقاف الرمل من همدان لمن أسلم منهم^(١).
وفي زاد المعاد: «قدم عليه وفد همدان منهم: مالك بن النمط، ومالك بن
أيفع، وضمام بن مالك، وعمرو بن مالك، فلقوا رسول الله «صلى الله عليه
 وآله» عند منصرفه من تبوك، وعليهم مقطعات الخبرات، والعمائم العدنية،
برحال الميس على الرواحل المهرية والأرحية، ومالك بن النمط يرتجز:

همدان خير سوقة وأقيال ليس لها في العالمين أمثال

محلها الهضب ومنها الأبطال لها أطابات بها وآكال

وكان يرتجز بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويقول:

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف

مخططات بحبال الليف

وذكروا له كلاماً حسناً فصيحاً، سيأتي.

فكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه،
وأمر عليهم مالك بن النمط، واستعمله على من أسلم من قومه، وأمره
بقتال ثقيف. وكان لا يخرج لهم سرح إلا أغاروا عليه^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات
ج ١ ق ٢ ص ٧٤، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج ٤ ص ٤٤٠، وذكره
المتقي الهندي في الكنز (٣٤٠٣٠).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥
ص ١٧٥ و ١٧٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٤ والإصابة، والإستيعاب، والسيرة
الحلبية، والسيرة النبوية لدحلان.

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ٢٥

ولكننا نشك في هذا الكلام الأخير، فإن همدان لا يمكن أن تقاتل ثقيفاً، ولا أن تُغير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيفاً بالطائف^(١). ثم إن الصحيح هو: أن همدان قد أسلمت على يد علي «عليه السلام»، لا أنها وفدت وأسلمت، وقد تقدم الكلام في ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب.

وقال ابن إسحاق: «فقام مالك بن نمط بين يديه، فقال: يا رسول الله نصية من همدان، من كل حاضر وباد، أتوك على قلص نواح، [متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من خلاف خارف ويام] وشاكر، أهل السود والقدود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنصاب، عهدهم لا يُنقض [عن سنة ماحل، ولا سوداء عنقفير]، ما أقام لعلع، وما جرى اليعفور بصيلع».

فكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمخلاف خارف، وأهل جناب الهضب، وحقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار، مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها، ووهاطها، وعزازها ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، يأكلون ظلافها، ويرعون عفاءها، [لنا من دفتهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥

ص ١٧٨ عن زاد المعاد لابن قيم الجوزية، وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦٠

وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٥.

٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

من الصدقة الثلب، والنباب، والفصيل والفارض، والداجن، والكبش الحوري. وعليهم فيها الصالغ والقارح]. لكم بذلك عهد الله، وذمام رسوله، وشاهدكم المهاجرون والأنصار». فقال في ذلك مالك بن نمط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى	ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلائع تغتلي	بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة	تمربنا مرالهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات إلى منى	صواد بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق	رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها	أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه	وأمضى بحد المشرفي المهند ^(١)

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٧٥ - ١٧٨ وراجع: مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي ج ٣ ص ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٨٨ - ٣٩١ وقد نقل العلامة الأحمدي الكتاب المشار إليه عن المصادر التالية: العقد الفريد ج ٢ ص ٣٢ (باب الوفود) وصبح الأعشى ج ٢ ص ٢٦٣ وج ٦ ص ٣٦٠ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الخلية) ج ٣ ص ٨٩ ونسيم الرياض ج ١ ص ٣٩٢ وبهامشه شرح القاري ج ١ ص ٣٩١ والشفا ج ١ ص ١٦٨ ونثر الدر للآبي ج ١ ص ٢١٧ ونهاية الإرب ص ٢٢٧ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٤١ وإعلام السائلين ص ٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٦٩ وفي (ط أخرى) ص ٢٤٥ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٦ وسيرة النبي صلى الله عليه وآله لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص ١٠٥٥ وغريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٤٨ والمواهب =

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

توضيحات:

قد تضمن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفردات تحتاج إلى إيضاح، وهي:

خارف: بطن من همدان، منهم الحارث الأعور.

شبة ماحل: أي عن وشاية وسعاية واشٍ. وروي عن سنة ماحل. والسنة الطريقة أي طريقة ساع ونمام.

الهضب: جمع هضبة. وجناب الهضب اسم موضع.

حقاف الرمل: اسم موضع أيضاً. والحقاف: جمع حقف، وهو ما

= اللدنية شرح الزرقاني ج ٤ ص ١٧٠ والفائق ج ٣ ص ٤٣٣ والمفصل ج ٤ ص ١٨٦ والنهاية لابن الأثير في «حور». ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٣٣ / ١١٣ عن جمع ممن تقدم، وعن نثر الدر المكنون للأهدل ص ٦٦ والوثائق السياسية اليمنية للأكوع الحوالي ص ١١١. وأرجع إلى مخطوطة التأريخ المجهول، ثم قال: قابل الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٧٣ و ٧٤ والسهيلي في الروض الأنف ج ٢ ص ٣٤٨ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ص ١٧٣١ و ١٧٣٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٤ وج ٢ ص ٥١ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٨٩ وإمتاع الأسع للمقريزي (خطية) ص ١٠٣٠ والنهاية في «ثلب» واللسان في «حور» وانظر كائتاني ج ٩ ص ٦٧ واشهرنكر ج ٣ ص ٤٥٦ وراجع أيضاً ص ٧١٩ وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٧٩ والإصابة ج ٣ ص ٣٥ وزاد المعاد ج ٣ ص ٣٥.

اعوَج واستطال من الرمل.
 المشعار: موضع أيضاً.
 الفراع: ما علا من الأرض وارتفع.
 الوهاط: المواضع المطمئنة.
 الدفء: نتاج الإبل.
 الصرام: النخل الذي يصرم ويقطع.
 الثلب: ما هرم من ذكور الإبل، وتكسرت أسنانه.
 الناب: الناقة الهرمة التي طال سنّها.
 الفصيل: ما انفصل من أمه من أولاد الإبل.
 الفارض: المسن من الإبل ومن البقر.
 الداجن: ما يعلف في المنزل.
 الحوري: الذي في صوفه حمرة.
 الصالغ: من البقر والغنم ما انتهى سنه بالسادسة.
 القارح: من الخيل ما دخل في الخامسة أو السادسة.
 أي أن الصدقة لا تعطى لا من الخيار، ولا من الرذال.

كتاب لهمدان:

ولما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» إسلام همدان كتب إليهم بما يلي:
 «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى عمير ذي
 مران، ومن أسلم من همدان، سلم أنتم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.
 أما بعد ذلك، فإنه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم، فأبشروا،

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ٢٩

فإن الله قد هداكم بهداه، وإنكم إذا شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، فإن لكم ذمة الله وذمة رسوله على دماءكم وأموالكم، وأرض البور التي أسلمتم عليها، سهلها وجبلها، وعيونها وفروعها غير مظلومين، ولا مضيق عليكم.

وإن الصدقة لا تحمل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين، وإن مالك بن مرارة الرهاوي قد حفظ الغيب وبلغ الخبر، فأمركم به خيراً فإنه منظور إليه. وكتب علي بن أبي طالب^(١).

ومران: مخلاف باليمن.

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٣٩٢ و ٣٩٣ عن: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٥ وفي (ط أخرى) ص ٧٠ والمعجم الكبير ج ١٧ ص ٤٧ و ٤٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٤٧ ورسالات نبوية ص ٢٠٢ وإعلام السائلين ص ٢٤ والإصابة ج ٣ ص ١٢١ في ترجمة عمير و ٣٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٣٩ و ٣٤٠/١٨٤٧٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٤٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص ١١١/٢٣٠ عن جمع ممن تقدم، وعن معجم الصحابة لابن قانع (خطية كوبرولو ملخصاً) ورقة ص ١٢١ - ألف. ثم قال: قابل المعارف لابن قتيبة ص ٢٣٤ وراجع: ٧١٩ عن سبل الهدى للشامي خطية باريس/ ١٩٩٢ ورقة ٦٧ - ألف. وأوعز إليه في أسد الغابة ج ٢ ص ١٤٥ في «ذي مران» وج ٣ ص ٨٣ في «عامر بن شهر»، والإصابة ج ٢ ص ٢٥١ في عامر بن شهر، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٩٣ والطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٨ و ٤٢ والكمال لابن عدي ج ٦ ص ٢٤١٤ والإكلیل ج ١٠ ص ٤٩. وفي رسالات نبوية قال الحافظ وابن الأثير: أخرج الطبراني، ثم ساق الكتاب فقال: قال ابن الأثير: أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم، وابن عبد البر، وأخرجه ابن سعد في الطبقات.

والبور: الأرض التي لم تزرع.

ورها: بطن من مذبح.

الثناء على همدان:

١ - قد تضمنت النصوص المتقدمة ثناء النبي «صلى الله عليه وآله» على قبيلة همدان. وإذا تأملنا في مضمون هذا الثناء، فسنجد أنه وصفها بأوصاف قد لا نجد لها مصداقاً في زمنه «صلى الله عليه وآله»، فإن هذه القبيلة إنما دخلت في الإسلام في وقت متأخر، ولا يختلف حالها عن حال سائر القبائل من ناحية الثقافة الدينية، والالتزام بأحكام الشرع الحنيف. ولم يظهر لنا أنه كان في تلك القبيلة آئذ من يمكن وصفه بأنه من الأبدال أو من الأوتاد..

ولو قبلنا وجود أشخاص من هذا القبيل، فإنهم لا يمكن وصفهم بأنهم أوتاد الإسلام.. فإن أحداً منهم لم يصل إلى مقام سلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد. فإن صح إطلاق وصف أوتاد الإسلام على أحد، فإن هؤلاء الأربعة أولى من همدان وسواها بذلك.. فما معنى أن يترك «صلى الله عليه وآله» هؤلاء ليقرر أن أوتاد الإسلام من همدان؟!..

٢ - أما الحديث عن أن أبدال الإسلام منهم، فهو الآخر لا يختلف عن سابقه، وتعارضه روايتهم: أن الأبدال بالشام، في حين أن قبيلة همدان يمانية.. يضاف إلى ذلك: أن أهل البيت «عليهم السلام» لم يذكروا لنا شيئاً عن هؤلاء الأبدال، بل انحصرت الرواية التي تذكرهم بغير أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم. ولو وجدت رواية عنهم، فإنها تبقى على درجة من الشذوذ، بحيث يدور حولها أكثر من سؤال.

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان ٣١

٣ - وأما السرعة إلى النصر، والصبر على الجهد، فهي صفات قد تتحقق في المؤمن وفي غيره، ولكن اقتران ذلك بقوله: نعم الحبي همدان، يفيد أنه «صلى الله عليه وآله» بصدد الثناء عليها، ولكنه ثناء يبقى غير حاسم، فإن الإتيان ببعض الصفات قد يوجب مدحاً، مثل صفة السخاء والصدق في القول، ولكنه يبقى مدحاً على أمر دنيوي، لا يعطي منزلة في الدين ولا مقاماً عند الله، إلا إذا انطلق من الطاعة له تعالى، والتعبد والتقرب به إليه..

در همه شایع و عیون آمده است که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

در قزوین و در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

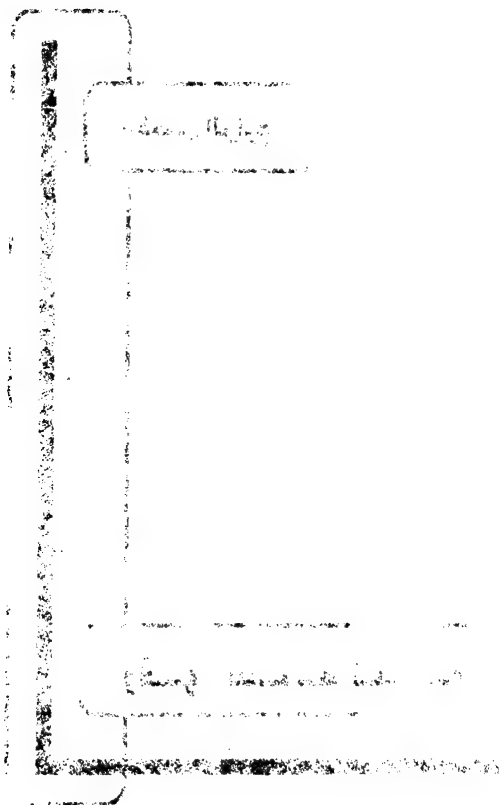
در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

در این شهر که در این زمان که این کتاب را می‌نویسم

الفصل الرابع:

وفود سنة تسع



وفود مرّة:

وقالوا: قدم وفد بني مرّة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رجع من تبوك سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، إنا قومك وعشيرتك، ونحن قوم من بني لؤي بن غالب..

فتبسّم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: «أين تركت أهلك؟»
قال: بسلاح وما والاها.

قال: «وكيف البلاد؟»

قال: والله، إنهم لمستتون، فادعُ الله لنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا الغيث».

فأقاموا أياماً ثم أرادوا الإنصراف إلى بلادهم، فجاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مودعين له، وأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق فضة، وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت. فسألوا: متى مطرتم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقدم عليه وهو يتجهز لحجة الوداع قادم منهم، فقال: يا رسول الله،

- ٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
- رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مصبوبة مطراً في ذلك اليوم الذي دعوت لنا فيه، ثم قلدتنا أفلاد الزرع في كل خمس عشرة [ليلة] مطرة جوداً، ولقد رأيت الإبل تأكل وهي بروك، وإن غنمنا ما توارى من أبياتنا، فترجع فتقبل في أهلنا.
- فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هو صنع ذلك»^(١).
- وفي نص آخر: أن الحارث بن عوف أتى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار.
- فبعث معه رجلاً أنصاريّاً، مادّاً به عشيرة الحرث، فقتلوه، فقال حسان:
- يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدر
وأمانة المريّ حين لقيتها كسر الزجاجة صدعها لا يجبر
إن تغدروا فالغدر من عاداتكم واللؤم ينبت في أصول السخبر
فاعتذر، وودى الأنصاري، وقال: يا محمد، إني عائذ بك من لسان
حسان، لو أن هذا مزج بماء البحر لمزجه»^(٢).
-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٠ عن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ص ٦٣ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢١٧ و ٢١٨ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١٤ ص ٣١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٩٨ وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٣ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣١١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٤.
- (٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢١٨ والأغاني (ط ساسي) ج ٤ ص ١١ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٤٢-٣٤٣ ترجمة الحارث، وجمع الزوائد للهيتمي ج ٦ ص ١٣٢-١٣٣ والإصابة لابن حجر ج ١ ص ٦٨٣ والوفاء بالوفيات للصفدي ج ١١ ص ١٩٤ وأنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٢٨.

ونقول:

تحدثنا في مواضع عديدة من مناقشاتنا لما يذكرونه عن سائر الوفود عن عدد من النقاط التي وردت في النص الأنف الذكر، وذلك مثل:

١ - إنهم حاولوا التقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالنسب، وأنهم قومه وعشيرته، وأنهم من بني لؤى بن غالب..

ويلاحظ: هنا أيضاً أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجبههم بشيء، بل اكتفى بالتبسم..

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» سأهم عن حال بلادهم، من حيث الجذب والخصب، ولم يسأهم ولم يحدثهم عن شيء آخر قد يكون له علاقة بالقربى النسبية..

٣ - إنهم بعد أن أخبروه بالجذب في بلادهم طلبوا منه أن يدعو لهم، مؤكداً بذلك نظرهم إلى الأنبياء، وتوقعاتهم منهم..

٤ - إن المعجزة قد تحققت، حيث سقاهم الله الغيث في نفس الساعة التي دعا لهم فيها، وقد أدركوا هم أنفسهم ذلك.. ونضيف إلى النقاط المتقدمة ما يلي:

الكرامة صنع إلهي:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم ينسب نزول الغيث، وحصول الخصب إلى نفسه، بل قال: «الحمد لله، الذي هو صنع ذلك»، فالحمد ثناء على الله لأجل فعل اختاره سبحانه وتعالى، ليكون بمثابة استجابة لدعائه.. ثم أكد على نفس هذا المعنى وبطريقة تفيد التخصيص والحصر به تعالى، حيث قال:

٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

«هو» صنع ذلك. ولم يقل: «الذي» صنع ذلك.. وذلك لكي لا يدخل في وهم أحد من قاصري النظر أي وهم يؤثر على سلامة اعتقاده، وذهابه بهذا الأمر إلى أكثر مما يجوز فيه..

قتل الدعاة إلى الله:

ولا شك في أن قتل بني مرة لذلك الأنصاري كان في غاية القبح، ومن موجبات أعظم الخزي، فإنهم لم يقتلوا ذلك الرجل لذنب جناه، ولا لدفع ضرر يأتي من ناحيته، حتى ولو بمستوى أن يأكل من طعامهم، ولا طمعاً في ماله، أو بغير ذلك مما يرتبط به.. كما أنهم لم يقتلوه لمجرد التلهي بسفك دمه..

بل قتلوه لأنه يريد أن يعلمهم لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينيلهم السعادة في الدنيا، والفوز بجنت الله في الآخرة. ولأنه يحمل إليهم رسالة الله، ويرشدهم إلى الحق والخير، ويدعوهم إلى الهدى.. فكان جزاؤه منهم أقبح وأخزى مما جوزي به سنهار..

وقد أدرك الحارث بن عوف هذه الحقيقة، وأن شعر حسان بن ثابت من شأنه أن يفضح بني مرة في العرب، ويكون له عليهم أوخم العواقب، لا سيما وأن فعلتهم هذه قد جاءت في وقت انتصار الإسلام وانتشاره، وقوته، وظهور بخوع العرب له، والتزامهم به، وهم يرون ثمرات إسلامهم أمناً ورفعة شأن، وصلاح أمور، ونشوء حضارة، وتخلصاً من كثير من المشاكل..

وإذا أصبحت فعلتهم هذه على ألسنة الشعراء، فتلك هي المصيبة العظمى، والداء الذي لا دواء له، ولذلك طلب الحارث من النبي «صلى

الفصل الرابع: وفود سنة تسع ٣٩
الله عليه وآله أن يكف عنه لسان حسان، فأجابه إلى ما طلب، رحمة ورأفة،
وحسن تقدير، وصحة تدبير..

وفود فزارة:

روى ابن سعد، والبيهقي عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السعدي قال: لما
رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تبوك، وكانت سنة تسع، قدم عليه
وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس
بن حصن، وهو أصغرهم - وهم مستتون - على ركاب عجاف، فجاؤوا
مقرين بالإسلام. فنزلوا دار رملة بنت الحدث. وسألهم رسول الله «صلى
الله عليه وآله» عن بلادهم.

فقال أحدهم: يا رسول الله، أستت بلادنا، وهلك مواشينا، وأجذب
جنايبنا، وغرث عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا
ربك إليك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سبحان الله، ويلك، هذا أنا
أشفع إلى ربي عز وجل، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟
لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي
تتط من عظمته وجلاله كما يتط الرحل الجديد»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٩٤ و ٣٩٥ عن: دلائل النبوة للبيهقي ج ٦
ص ١٤٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ص ٩٢ والبداية والنهاية
ج ٦ ص ١٠٠ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢٠٦ و ٢١١ وإمتاع
الأسماع للمقريزي ج ٥ ص ١٢٩ و عيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٠٥ =

٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عز وجل ليضحك من شفقكم، وأزلكم، وقرب غيائكم».

فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟

فقال: «نعم».

فقال الأعرابي: لن نعدمك من رب يضحك خيراً^(١).

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قوله، وصعد المنبر، فتكلم بكلمات، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء. فرفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه.

وكان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، طبقاً واسعاً، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذاباً، ولا هدماً، ولا غرقاً، ولا محقاً، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء».

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، فقال: يا رسول الله، التمر في المربد.

وفي لفظ: المربد.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا».

= وزاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٥٦٩. وراجع: الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٩ وراجع ص ٣٢٤ و ٣٢٥ عن أبي الشيخ.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٩٤ و ٣٩٥ وراجع ج ٩ ص ٤٤٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص ٣١٥ وزاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٥٦٩ والبداية والنهاية ج ٦ ص ١٠٠.

الفصل الرابع: وفود سنة تسع ٤١

فعاد أبو لبابة لقوله، وعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لدعائه.

فعاد أبو لبابة أيضاً، فقال: التمر في المريد يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا، حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره»^(١).

قالوا: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت.

قال: فلا والله، ما رأينا الشمس سبتاً.

وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره، لثلا يخرج التمر منه.

فجاء ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل.

فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر فدعا، ورفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر، فانجابت السحابة عن المدينة

(١) الثاقب في المناقب للطوسي ص ٩٠، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٥٤، ودلائل النبوة للأصبهاني ج ٢ ص ٧٦٠، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٢٠٠، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٨٥، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ١٠٠، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ٥ ص ١٣٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٠٦، وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٩٤ وج ٩ ص ٤٤٢، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٨، وغريب الحديث لابن سلام ج ٣ ص ٩٦، ولسان العرب ج ١ ص ٢٣٨، وتاج العروس ج ١ ص ٣٣٤.

انجياب الثوب»^(١).

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أموراً أشرنا إليها في العديد من الموارد ومع ذلك نشير إلى ما يلي:

ويضحك ربنا:

قد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الله تبارك وتعالى يضحك، وقد تعجب الأعرابي من ذلك، حيث وجد فيه ما يصادم فطرته ويناقض حكم عقله.. وقد تحدثنا حين ذكر وفود أبي رزين عن هذا الموضوع، وبيّنا: أنه من دسائس أهل الكتاب القائلين بالتجسيم الإلهي، وكانوا مهتمين بإشاعة عقائدهم بين المسلمين، وكان كثير من المسلمين مبهورين بهم، آخذين عنهم، وقد تكلم عن هذا الموضوع أيضاً الشيخ محمود أبي ريا في كتابه: «أضواء على السنة المحمدية». وكتاب «شيخ المضيرة (أبو هريرة)». فلا بأس بمراجعة ما قال.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٩٤ و ٣٩٥ إمتاع الأسع للمقرزي ج ٥ ص ١٣٠، والمجموع للنووي ج ٥ ص ٩٦، وفتح الوهاب للأصاري ج ١ ص ١٥٣، والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٩٨، والشرح الكبير لابن قدامة ج ٢ ص ٢٩٨، ونيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٤٠، وبدائع الصنائع للكاشاني ج ١ ص ٢٨٣، وسبل السلام للكحلاني ج ٢ ص ٨١، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام» للكوفي ج ١ ص ٨٣.

سؤال النبي ﷺ عن حال بلاد فزارة:

وقد لاحظنا هنا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سأل وفد فزارة عن حال بلادهم، فأخبروه بمعاناتهم، وطلبوا منه أن يدعو لهم الله ليغيثهم، ويشفع لهم عند ربهم.

فدعا «صلى الله عليه وآله»، فنزل الغيث، حتى شكوا ذلك إليه، فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم حوالينا ولا علينا الخ..» فانجابت السحابة عن المدينة انجياب الثوب..

ولسنا بحاجة إلى إعادة ما قلناه: من أن ذلك يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يعرفهم معنى النبوة، ويفهمهم أنه معني بقضاياهم، فهو ليس مجرد رسول يبلغهم ما جاء به، وينتهي الأمر عند هذا الحد..

كما أن ذلك الوفد قد عبر عن إيمانه بأن الأنبياء يشفعون عند الله.. وطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يطلب من ربه أن يتولى حل مشكلاتهم..

فاستجاب «صلى الله عليه وآله» لمطلبهم.

أين نزل المطر!؟:

لقد صرحت الرواية: بأن سحابة قد جاءت من جهة سلع، مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت. مما يعني: أن المطر قد نزل في المدينة، مع أن المحتاجين إلى المطر هم بنو فزارة، وإنما يسكنون بين

خير وفدك، ومنطقة جنفا هي أحد مياههم هناك^(١).

ليشفع ربك إليك:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنهم قالوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربنا إليك».

فاستنكر «صلى الله عليه وآله» قولهم هذا، قائلاً: «فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه، لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تنط من عظمتهم وجلاله كما ينط الرحل الجديد...».

ونقول:

إننا لا نرتاب في: أن هذا النص مكذوب على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن قولهم هذا ليس فيه أي اشكال. إذا كانوا يرون: أنهم قد أذنبوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتكذيبهم إياه، ومعالمتهم عدوه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٦٩، والمجموع للنووي ج ٥ ص ٩٦، والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٢٩٧، والشرح الكبير لابن قدامة ج ٢ ص ٢٩٧، وسبل السلام للكحلاني ج ٢ ص ٨١، ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ١ ص ٨٢، وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٦، وصحيح مسلم ج ٣ ص ٢٤، وسنن النسائي ج ٣ ص ١٦٢، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٥٥، وفتح الباري ج ٢ ص ٤١٩، وعمدة القاري للعيني ج ٧ ص ٣٨، والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٥٦٠، وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ١٤٥، وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٣٢٢، وكتاب الدعاء للطبراني ص ٢٩٧، والأذكار النووية ص ١٨٣، ونصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٢٨٣، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٩٦ و ١٠٠ و ٣١١، وإمتاع الأسعاع ج ٥ ص ١٢٠.

عليه، فشعروا أنهم بحاجة إلى من يشفع لهم عنده. وهذا نظير من يقسم على غيره بالله أو برسول الله، لكي يعفو عن إساءته أو ليقضي حاجته.. أو يجعل الله شافعاً له عنده، ووسيلة إليه من أجل ذلك..

ويكفي أن يكون هذا المعنى من احتمالات كلامهم هذا، فما معنى أن يواجههم النبي «صلى الله عليه وآله» بالملامة والتقريع بهذه الصورة؟! ألا يدل ذلك على: أن نسبة هذا الأمر له «صلى الله عليه وآله» غير صحيحة؟!

إعتراض أبي لبابة على الله ورسوله:

وبواجهنا في النص المتقدم: إصرار أبي لبابة على الإعتراض ثلاث مرات على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا ما لا يمكن قبوله من صحابي مؤمن بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعصمته، وحكمته، وبأنه: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١).

فما معنى: أن يراجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدة مرات، ولماذا لا يرضى بما يرضاه الله ورسوله؟!

عري أبي لبابة:

ثم ما معنى قول الرواية: فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً، يسد ثعلب مربده». فكان كما قال.. حيث قام عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره؟! إذ متى تعرّى أبو لبابة.. حتى اضطر إلى

القيام عرياناً؟! فإن الوقت كان قصيراً جداً..

فإن السحاب قد لبّى الطلب، وبدأ هطول الأمطار مباشرة.. إلا إن كان أبو لبابة قد حضر بين ذلك الجمع، وهو عريان!!

وَألم يسمع أبو لبابة كلام النبي «صلى الله عليه وآله» وحديثه عن عريه؟! فلماذا لم يحتط لنفسه، ويبقى لابساً ثيابه؟!

إلا أن يكون غير مؤمن بأن الله سوف يستجيب دعاء نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله».

ولو أنه لم يكن مصداقاً بذلك، فلماذا اعترض على النبي «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات؟!

اللهم حوالينا.. لا علينا:

وحول دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: «اللهم حوالينا، ولا علينا. اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر»، فانجابت السحابة الخ.. نقول:

إن ذلك يشير إلى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يمارس التصرف في أمور ترتبط بالظواهر الكونية العامة، فيطلب الناس منه المطر، فيلبي طلبهم، ويأتيهم به، ثم يطلبون منه الصحو في مكان، وحصر المطر في غيره، فيلبي طلبهم أيضاً..

ولم يقل لمن كانوا يطلبون منه هذه التصرفات: إن هذا ليس من صلاحياتي، بل أنا مجرد رسول، ومعلم للشريعة، ومربٍّ، وسياسي، ومصلح اجتماعي، وقاضي، وقائد جيوش، أو نحو ذلك..

كما أن الناس كانوا على اختلاف أذواقهم، ومشاربهم، وثقافتهم، ومواضع سكنائهم، وطبقاتهم الإجتماعية، يرون: أن هذا الذي يطلبونه منه «صلى الله عليه وآله» هو من حقهم وأن المفروض بالنبي «صلى الله عليه وآله» أن يلبي طلبهم..

كان لا يرفع يديه في الدعاء:

زعم النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء. ومثله في الصحيحين من حديث أنس^(١). ولكن ذلك غير دقيق، فقد قال الزرقاني: إن العسقلاني قال: هو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع (أي برفع اليدين) في غير الإستسقاء. وفي سبيل السلام: أن المراد به المبالغة في الرفع وأنه لم يقع إلا في الإستسقاء^(٢).

وقد تقدم: أنها كثيرة، وأفردتها البخاري بترجمته في كتاب الدعوات، وساق فيه عدة أحاديث..

فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى. وحمل حديث أنس على نفي رؤيته. وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره..

وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس لأجل الجمع، بحمله على نفي

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٠٩، وعمدة القاري ج ٧ ص ٥٢ وج ١٦ ص ١١٤، والدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج ١ ص ١٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٠ ص ٤٣٣، وسنن الدارمي ج ١ ص ٣٦١.

(٢) سبيل السلام ج ٤ ص ٢١٩.

الرفع البالغ إلا في الإستسقاء، ويدل عليه قوله: حتى رؤي الخ..
ويؤيده: أن غالب الأحاديث الواردة في رفع اليدين في الدعاء: المراد به مدّ اليدين وبسطها عند الدعاء. وكأنه عند الإستسقاء زاد، فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه، وبه حينئذ يرى بياض أبطيه.

أو على صفة اليدين في ذلك، لما في مسلم عن أنس: أنه «صلى الله عليه وآله» استسقى، فأشار بظهر كفه إلى السماء..

ولأبي داود عن أنس: كان يستسقي هكذا، ومد يديه، وجعل بطونها مما يلي الأرض حتى رأيت بياض إبطيه..

قال النووي: قال العلماء: السُّنَّة في كل دعاء لرفع بلاء: أن يرفع يديه جاعلاً ظهور كفيه إلى السماء، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء الخ..

وتعقب الحمل الثاني: بأنه يقتضي أنه يفعل ذلك، وإن كان استسقاؤه للطلب كما هنا، مع أنه نفسه ذكر: أن ما كان لطلب شيء كان ببطون الكفين إلى السماء..

والظاهر: أن مستند هذا استقراء حاله «صلى الله عليه وآله» في دعاء الإستسقاء وغيره^(١)..

ونقول:

إن خير كلمة نقولها هي:

إننا لم نزل نسمع: أن الفاخوري يضع أذن الجرّة في المكان وبالكيفية

التي تروق له.. ولكن الفاخوري - وهو الزرقاني هنا - قد عجز عن الإمساك بالجرّة وبأذنها، لأن مرض الرعاش قد أسقطهما من يده فتحطمتا بمجرد محاولته الإمساك بهما، فلم يعد هناك من جرّة تحتاج إلى أذن.. ولا تجد بعد أذنًا لتبحث لها عن جرّة..

وخلاصة القول: إن ما ذكره الزرقاني من وجوه جمع وتأويلات وافتراضات لا يسمن ولا يغني من جوع.. بل هو مضر جداً، لأنه يفسح المجال أمام أهل الأهواء ليتلاعبوا بالنصوص، من دون أي وازع أو رادع، لأن هذه التأويلات والوجوه التي ذكرها، ما هي إلا افتراضات واحتمالات لا شاهد لها، ولا تستطيع ألفاظ الحديث أن تدل أو أن تشير إلى شيء منها.. فإذا جاز التعلق بمثل هذه الافتراضات والتأويلات، فسيكون بالإمكان تحريم الحلال وتحليل الحرام، وقلب الأمور رأساً على عقب في مختلف المواضع، إذ لا يعقل أن تكون باء هؤلاء تجرّ، وباء غيرهم لا تجرّ، فإن الباء باء أينما كانت، وحيثما وجدت.

فإذا قيل: كان «صلى الله عليه وآله» لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء.. فلا يمكن تفسير هذا بأنه كان لا يرفع يديه رفعاً بالغاً.

كما لا يصح القول: بأن المراد أن المتكلم لم يره يفعل ذلك..

كما أنه لا يدل على ذلك كون المراد برفع اليدين مدهما وبسطهما في غالب أحاديث رفع اليدين.. إذ من الذي قال: إن المراد بالرفع في تلك الأحاديث هو: المد والبسط، فإن الرفع يصدق على هذا المستوى من الرفع، وعلى غيره، فما الذي أوجب تعيّن هذه المرتبة من الرفع دون سواها..

وأما حمل رفع اليدين في الإستسقاء على إرادة الإشارة بظهر كفية إلى

٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

السماء، وجعل بطونهما إلى الأرض فهو لا يحل المشكلة، فإن رفع اليدين الذي أثبتته أو نفاه يصدق على كل رفع لهما سواء أكانت بطون الكفين حال الرفع إلى جهة السماء، أو إلى جهة الأرض، فالرفع منفي في هذه الرواية بجميع أشكاله ومثبت في غيرها.. وليس في المنفي والمثبت إشارة إلى خصوصية في هذا أو في ذاك..

وفود بني كلاب:

عن خارجة بن عبد الله بن كعب قال: قدم وفد بني كلاب في سنة تسع على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم ثلاثة عشر رجلاً فيهم لبيد بن ربيعة، وجبار بن سلمى، فأنزلهم دار رملة بنت الحدث، وكان بين جبار وكعب بن مالك خُلة، فبلغ كعباً قدومهم فرحب بهم، وأهدى لجبار وأكرمه، وخرجوا مع كعب، فدخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه بسلام الإسلام، وقالوا: إن الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وبستتك التي أمرت بها، وإنه دعانا إلى الله، فاستجبنا لله ولرسوله، وإنه أخذ الصدقة من أغنيائنا، فردها على فقرائنا^(١).

ونقول:

١ - إن هذا الوفد قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بسيرة الضحاك في بني كلاب، إذ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لما رجع من الجعرانة بعثه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠١ عن ابن سعد في الصبقات الكبرى (ط ليدن)

على بني كلاب يجمع صدقاتهم^(١).

وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إليه أن ورّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها^(٢).

وقال ابن سعد: كان ينزل نجداً في موالي ضرية، وكان والياً على من أسلم هناك من قومه^(٣).

وبعثه «صلى الله عليه وآله» أيضاً عيناً إلى قومه يتجسس أخبارهم^(٤). ولعله ولاه على من أسلم، وجعله عيناً على من لم يسلم، ليخبره بكل تحركاتهم التي تعني المسلمين بنحو أو بآخر.

٢- إن ما قاله الوفد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤيد أن الضحاك لم يكن مجرد جامع للصدقات بل هو كان يتولى أمورهم، ويسير فيهم بكتاب الله، وسنة نبيه، وكان يدعو الناس إلى الإسلام، وقد استجاب له فريق من قومه، ومنهم الوفد الذي نتحدث عنه.

(١) الإصابة ج ٢ ص ٢٠٦.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٢٠٦، والمجموع للنووي ج ١٨ ص ٤٣٧، والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ١٦٦، والمغني لابن قدامة ج ١١ ص ٤٥٧، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٨٣، وسنن الترمذي ج ٣ ص ٢٨٨، والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٣٧٣، والآحاد والمثاني ج ٣ ص ١٦٦، والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٧٨، والمعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ٣٠٠، والإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ١٣٣، والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ٧، وأسد الغابة ج ١ ص ٩٩.

(٣) الإصابة ج ٢ ص ٢٠٦.

(٤) النهاية لابن الأثير.

٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

٣- إن مبادرة الوفد لإعلام النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر يشير إلى رضاهم وسعادتهم به، وأنهم يشعرون بقيمة الالتزام بأحكام الكتاب، وسنة الرسول «صلى الله عليه وآله» وما إلى ذلك لأنهم عاينوا عن قرب الفرق الشاسع بين ما كانوا عليه وما صاروا إليه.. فهم يتحسسون لذة هذا الواقع الجديد، وهم مشدودون إليه بكل وجودهم..

وفود الدارين:

قالوا: قدم وفد الدارين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» منصرفه من تبوك، وهم عشرة نفر، منهم: تميم، ونعيم ابنا أوس، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكه بن النعمان بن جبلة، وأبو هند، والطيب ابنا ذر، وهو عبد الله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد بن جَذِيمَةَ. فأسلموا، وسمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الطيب: عبد الله، وسمى عزيزاً: عبد الرحمن.

وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أفراساً وقباء مخصوصاً بالذهب، فقبل الأفراس والقباء، [وأعطاه العباس بن عبد المطلب]، فقال: «ما أصنع به»؟

قال: انتزع الذهب، فتحلّيه نساءك، أو تستنّفقه، ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه.

فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

وقال تميم: لنا جيرة من الروم، لهم قرستان يقال لإحدهما: حِزْبَرَى، والأخرى: بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي.

قال: «فهما لك». فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك، وكتب له به كتاباً^(١).

وأقام وفد الدارين حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأوصى لهم بجاذ (وهو النخل الذي يجذ. أي تقطع ثمرته) مائة وسق أي من خير^(٢).
ونقول:

لماذا تغيير الأسماء؟!

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» قد غير اسم الطيب إلى عبد الله، وسمى عزيزاً عبد الرحمن، ونحن نشك في ذلك، إذ:
١ - لماذا لم يغير اسم مرة أيضاً، مع أن المروي عنه «صلى الله عليه وآله» أن أقبح الأسماء حرب ومرة، وفي نص آخر: شر الأسماء: ضرار، ومرة، وحرب، وظالم^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣٤ عن الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٧ وفي (ط) دار صادر) ج ١ ص ٣٤٤ وراجع: الإصابة ج ٣ ص ٥٦٦ و ٥٦١، وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣٤ وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٨ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٧٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٩٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٧ و ٣٦٨، ونيل الأوطار ج ٥ ص ٣٧ وج ٦ ص ١٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٦٦ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٦٩ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ٢٨٣ وج ١٤ ص ٤٨٤ وراجع: الإصابة ج ٦ ص ٥٢٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٠٦ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٧ والإستيعاب ترجمة أبي وهب ج ٤ ص ١٧٧٥ وزاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٥٨ و ٢٦٠ والبحار ج ١٠١ ص ١٢٧ والخصال ج ١ ص ١٧١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ١٣١.

وروي: أن أبا مرة هي كنية إبليس^(١).

٢ - إننا نلاحظ: أن أكثر الموارد التي زعموا أنه «صلى الله عليه وآله» قد غيّر فيها الأسماء، كان الاسم الذي اختاره فيها هو «عبد الرحمن»، ولا ندري سر التركيز على هذا الاسم دون سواه، فهل هذا من التسويق السياسي لاسم بعينه أحبه الرواة، لأجل قيامه بعمل كبير أثلج صدورهم؟! ككونه قتل غدرًا إمامًا يعتبرونه عدوًّا لهم كان يصلي في مسجد الكوفة، ولم يكونوا قادرين على الجهر بحب هذا القاتل إلا بهذه الطريقة؟!!

٣ - لماذا غيّر «صلى الله عليه وآله» اسم الطيب؟ هل كان هذا من الاسماء القبيحة التي كان يغيرها؟^(٢). أليس هذا من الأسماء الحسنة التي ورد الحث على التسمية بها؟^(٣). وألم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» ولد

(١) تاج العروس ج ٢ ص ٥٣٩ ولسان العرب ج ٧ ص ١٨ وقاموس اللغة ج ٢ ص ١٣٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ١٣١ عن الكافي (الفروع) ج ٢ ص ٨٧، والغدير ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) البحار ج ٢٣ ص ١٢٢ وج ١٠١ ص ١٢٧ وقرب الإسناد ص ٤٥ (ط حجرية) والوسائل ج ١٥ ص ١٢٤ عنه أيضاً.

(٣) سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٠٧ وسنن البيهقي ج ٩ ص ٣٠٦ ومصابيح السنة ج ٢ ص ١٤٨ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٤٧ وزاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٢٥٨ والبحار ج ١٠١ ص ١٣١ وعدة الداعي ص ٦٠ ومكارم الأخلاق ص ٢٢٠ والجعفریات ص ١٨٩ وفقه الرضا ص ٣١ ومستدرك الوسائل ج ١٥ ص ١٢٧ و١٢٨ و١٣٢ وعن لب الباب للراوندي، والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ١٢٢ و١٢٣ و١٢٤ وفي هامشه عن: الكافي ج ٢ ص ٨٦ و٨٧ وعن التهذيب للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٢٣٦ وعن من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٤١.

الفصل الرابع: وفود سنة تسع ٥٥
اسمه الطيب؟!^(١). وقد ولد له «صلى الله عليه وآله» بعد البعثة.

تاريخ وفادة الدارين:

زعموا: أن الدارين وفدوا على النبي «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة، فقد ذكروا: أن تميم الداري وأخاه نعيم الداري وأربعة آخرين وفدوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الهجرة، وطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام، فتشاوروا فيما بينهم فسألوه بيت جيرون وكورتها، فكتب لهم بها.

ثم قال: انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت^(٢).
ونقول:

إن هذه الرواية تتناقض مع ما قدمناه، لأن هذه الرواية تقتضي أن الدارين أسلموا قبل الهجرة، مع أن ما قدمناه يتضمن التصريح بأنهم قد أسلموا سنة تسع.

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٠٧ راجع: إعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٤٦ و عيون الأثر (ط دار الحضارة) ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٣٩ وج ٥ ص ١٦ عن كتاب ابن إسحاق، والإستيعاب ج ٤ ص ١٨١٨، وتفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٤٣.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥١٧ و ٥١٨ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ وعن السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٧ وصبح الأعشى ج ١٣ ص ١٢٥ والتراتيب الإدارية ج ٢ ص ١٤٤ وكنز العمال ج ٣ ص ٥٢٧ وعن ابن عساكر ج ٣ ص ٣٥٥.

ولو قبلنا أن الدارين قد وفدوا إليه «صلى الله عليه وآله» مرتين، فالسؤال هنا هو: لماذا تأخرت وفادتهم الثانية إلى سنة تسع بعد الهجرة، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهم: «انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت».

فهل هم لم يسمعوا بهجرته طيلة هذه السنين؟! أو أنهم سمعوا بها وتهاملوا في تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله»؟! أو أنهم نسوا هذا الأمر، ثم تذكره بعد كل هذه السنين، وما هو الشاهد على أي من هذه الاحتمالات أو غيرها؟! نقول هذا، لأننا نستبعد أن يفدوا إليه «صلى الله عليه وآله» وهو في مكة. ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدت المشركين يتحلقون حولهم، ويضايقونهم ويؤذونهم، ولكان ذلك قد تناقلته الرواة على نطاق واسع.

إقطاع قريتين لتميم:

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن إقطاع قريتين معمرتين، ولهما أهل لتميم ولن معه ليس بالأمر الذي يمكن قبوله بعفوية وسداجة، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لأن الإقطاع إنما كان للأرض الموات ونحوها مما هجره أهله، إذ لا معنى لإعطاء قريتين لهما غلة حاضرة، ونفع ظاهر لرجل واحد، وحرمان سائر المسلمين منهما، فكيف إذا كان ذلك قبل أن تفتح تلك البلاد، وقبل أن يأخذها المسلمون.

ثانياً: من الذي يضمن أن تصبح هاتان القريتان في قبضة المسلمين بحيث يصح منحهما لهذا أو ذاك، إذ لعل أهلها يسلمون عليها، وتبقى لهم وفي يدهم.

ثالثاً: إن النص المتقدم يقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى بيت عينون، وحبرى أو جيرون لتميم الداري^(١). ونص الكتاب في بعض صيغة يقتصر على ذكر تميم أيضاً^(٢).

مع أن ثمة نصوصاً لكتاب النبي «صلى الله عليه وآله» بإعطائهم تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى القريتين للداريين^(٣).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٤٤ و ٢٦٧ و ج ٧ ص ٤٠٨، وراجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٠٧ نقلاً عن: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٣ ص ٢٥٨، وأسد الغابة (ترجمة تميم الداري)، وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٦٣، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٤٣، وفتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ١٥٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦١٢، وتاج العروس ج ٦ ص ٢٣٥.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥١٠ و ٥١١ عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٢٨.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٠٥، وقد ذكر أيضاً المصادر التالية: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٧ والمناقب لابن شهر آشوب (ط حجرى) ج ١ ص ٧٦ وفي (ط قم) ج ١ ص ١١٢ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧١ و ٧٢ وصبح الأعشى ج ١٣ ص ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ والمواهب اللدنية شرح الزرقاني ج ٣ ص ٣٥٨ وكنز العمال ج ٢ ص ١٩٠ و ج ١٤ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ وفي (ط أخرى) ج ٣ ص ٥٢٧ و ٦٩ و ج ٥ ص ٣١٨ ورسالات نبوية ص ١٢٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٤٧ والبحار ج ١٨ ص ١٣٥ (عن المناقب) ومآثر الأنافة ج ٣ ص ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٤٣ و ١٤٤ و ١٥٢ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٦٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٤٣/١٢٩ و ٤٤/١٣٠ عن المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٦ وعن دحلان، ورسالات نبوية، والضوء الساري لمعرفة =

رابعاً: لعل البلد يفتح عنوة وبسيوف المسلمين، فلا يكون حكمه حكم ما أفاء الله على رسوله «صلى الله عليه وآله» من دون أن يوجف عليه بخيل ولا ركاب، بل لا بد من أن يستفيد منه المسلمون الفاتحون أيضاً..
خامساً: قد لاحظنا: أن بعض نصوص الكتاب الذي زعموا أنه «صلى الله عليه وآله» كتبه للداريين يتضمن أخطاءً في النحو، لا يمكن أن تصدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كقوله: «إني أنطيكم بيت عينون، وجيرون، والمرطوم، وبيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم، وجميع ما فيهم.. مع أن الصحيح هو أن يقول: «برمتها وجميع ما فيها»^(١).

= خبر تميم الداري للمقريزي ورقة ٨٨ - ب (مخطوطة باريس) ورقة ٩٠
والسيرة الحلبية، ثم قال: قابل الإصابة (إلى أبي هند الداري)، والتمهيد لتقي الدين السبكي، وبحث إقطاع النبي «صلى الله عليه وآله» لتميم الداري.
والأموال لأبي عبيد ص ٣٨٨ و ٣٨٩ وفتح البلدان ص ١٧٦ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨ والفضل العميم في إقطاع بني تميم للسيوطي خطية في مدارس بالهند وفي مصر، والجمهرة لابن حزم ص ٤٢٢ والإشتقاق لابن دريد ص ٣٧٧.
ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ في «حبرون» والخراج لأبي يوسف ص ٢٣٤ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٦١٧ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ وإعلام السائلين ص ٥٠ وجامع مسانيد الإمام الأعظم ج ١ ص ٥٣ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٥٦ والأعلام للزركلي ج ٢ ص ٨٧ وراجع أسد الغابة ج ٤ ص ٣١٩. وج ١ ص ٢١٥ وج ٣ ص ٦٩ وج ٥ ص ٣١٨ وعن الخرائج لأبي يوسف ص ١٣٢ ومجموعة المكتوبات النبوية للدبيلي ص ٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٧٥ و ٢١ و ٢٢ وج ٧ ق ٢ ص ١٢٩.
(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٠٩.

الفصل الرابع: وفود سنة تسع ٥٩

سادساً: هناك اختلافات كبيرة بين نصوص الكتاب، فمثلاً تارة يقول: إنه لتميم، وأخرى: أنه له ولذريته، وثالثة يقول: هو لتميم وإخوته، ورابعة: للدارين الخ..

وتارة يقول: إن الكاتب هو شرحبيل بن حسنة.

وأخرى يقول: هو معاوية.

وثالثة يقول: هو علي «عليه السلام»..

وتارة يقول: إنه كتب الكتاب لتميم.

وأخرى: إنه كتبه لنعيم بن أوس الداري^(١).

وسائر الاختلافات بين نصوص الكتاب تعرف بالمراجعة والمقارنة..

سابعاً: قد ذكر في الشهود اسم عتيق بن أبي قحافة.

فإن كان هذا إشارة إلى ما زعموه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لقبه بذلك لكونه عتيقاً من النار، فنقول فيه:

لو سلمنا بأن إثبات هذه الفضيلة ممكن، فإنه لا يستحسن من الإنسان أن يوقع على الوثائق بما فيه مدح وثناء على نفسه.

وإن كان قد أطلق عليه لعنافة وجه أبي بكر وجماله، فقد قدمنا في هذا الكتاب: أن أبا بكر لم يكن له حظ من شيء من الجمال، مهما كان ضئيلاً، بل كان على عكس ذلك تماماً..

ثامناً: هذا كله عدا عن أن في جملة الشهود المذكورين الخلفاء الأربعة، وقد وردت أسماؤهم مرتبة حسب توليهم للخلافة، وهو أمر يوجب

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥١٦ و ٥١٧.

الريب بلا شك.

تاسعاً: إن بعض نصوص الكتاب قد صرحت: بأن من آذى الدارين فقد آذى الله، وهذا معناه: أنهم قد بلغوا درجة العصمة. لأن غير المعصوم قد يؤدي، لأجل منعه من ارتكاب المعاصي، أو لأجل أخذ الحق منه.. فإن كان يحرم إيذاؤه مطلقاً، فيما أن يكون الحق أصبح باطلاً، والطاعة معصية، أو أن الله تعالى يرضى بالباطل وبالمعصية ويحبها والعياذ بالله. عاشرًا: قد ذكرت بعض نصوص الكتاب: قوله ونفذت وسلمت ذلك لهم، ولأعقابهم، فكيف نفذ ذلك وسلمها للدارين، والحال أن تلك القرى كانت لا تزال بيد أهلها.

وفود طيء مع زيد الخيل:

وفي سنة تسع جاء وفد طيء^(١).

وكانوا: خمسة عشر رجلاً، رأسهم وسيدهم زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان، وفيهم وزر بن جابر بن سدوس، وقبيصة بن الأسود بن عامر من جرم طيء، ومالك بن عبد الله بن خيرى من بني معن، وقعين بن خليف من جديلة، ورجل من بني بولان.

فدخلوا المدينة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ثم دخلوا، فدنوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

(١) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٥٦٣ والإصابة ج ١ ص ٥٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٧، وعمدة القاري ج ١٨ ص ٨، والإستيعاب ج ٢ ص ٥٥٩.

فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وحسن إسلامهم، وأجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم، وأعطى زيد الخليل اثنتي عشرة أوقية ونشاً.

زاد في الروض الأنف قوله: وكتب لكل واحد منهم على قومه إلا وزر بن سدوس، فقال: إني أرى رجلاً تملك رقاب العرب. والله لا يملك رقبتني عربي أبداً، ثم لحق بالشام وتنصر، وحلق رأسه^(١).

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما ذكر رجل من العرب إلا رأيت دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخليل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه»^(٢).

وسماه رسول الله «صلى الله عليه وآله» زيد الخير، وقطع له فيد وأرضين، وكتب له بذلك كتاباً، ورجع مع قومه. وفي لفظ: فخرج به من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن ينبج زيد من حمى المدينة فإنه»، أي فإنه قد نال مراده أو نحو ذلك.

فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له: فردة - وفي لفظ فرد - أصابته الحمى بها فمات هناك، وعمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها إلى ما

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٨ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٢٧، والإصابة ج ٦ ص ٤٧٨، والأعلام للزركلي ج ٨ ص ١١٥، ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٨ عن ابن سعد، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥٨ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٢٧، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٥١٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٩٩، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٩٩.

كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب له به فحرقته بالنار^(١).

قال في زاد المعاد، وفي العيون: لما أحس بالموت أنشد يقول:

أمر نحل قومي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد

ألا رب يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم يبر منه من يجهد

وذكر ابن دريد عن أبي محسن أن زيدا أقام بفردة ثلاثة أيام ومات،

فأقام عليه قبضة بن الأسود المناحة سنة، ثم وجه براحلته ورحله وفيها

كتاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما رأت امرأته الراحلة ليس عليها زيد

ضرمتها بالنار، فاحترقت واحترق الكتاب^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٨ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥٨

وراجع: الإصابة ج ٣ ص ٥٧٣ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٣١٢ عن: العبر وديوان

المتبدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ص ٨٣٩ ورسالات نبوية ص ١٩ والسيرة الحلبية

ج ٣ ص ٢٥٣ والسيرة النبوية لدحلان (بهامشه) ج ٣ ص ٢٤ والإصابة ج ١

ص ٥٧٣/ ٢٩٤١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٤٢ والإستيعاب (بهامش

الإصابة) ج ١ ص ٥٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٦ و ٣٧ والبداية

والنهاية ج ٥ ص ٦٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٥٩ وفي (ط

بيروت) ج ١ ص ٣٢١ والأغاني ج ١٧ ص ٢٤٩ والمفصل ج ٧ ص ١٤٨ عن تاج

العروس في «خيل» و ج ٤ ص ٢٢٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ١٤٥

والروض الأنف ج ٤ ص ٢٢٧. والوثائق السياسية: ٣٠٢/ ٢٠١ (عن الطبقات،

وسيرة ابن هشام، والطبري، والإصابة، وصحيح البخاري، والإستيعاب، ثم قال:

انظر كائيتاني ١٠: ٣٥ و ٣٩ واشبرنكر ٣: ٣٨٧ و ٩٤٦ و ٩٤٧).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٨ عن ابن دريد، والمواهب اللدنية وشرحه

للزرقاني ج ٥ ص ١٥٩ والإصابة ج ٣ ص ٥٧٣، وراجع: مكاتب الرسول ج ١ =

وعن أبي سعيد الخدري: أن علياً كرم الله وجهه «بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله» من اليمن بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، وعلقمة بن غيلان»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأقبل راكب، فأناخ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع،

= ص ٣١٢ عن: ٢١ : ٣٦٥ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٣٩ ورسالات نبوية ص ١٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٣ ودحلان بهامشه ج ٣ ص ٢٤ والإصابة ج ١ ص ٥٧٣ / ٢٩٤١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٤٢ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٥٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٦ و ٣٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٣ والطبقات ج ١ ق ٢ ص ٥٩ وفي (ط بيروت) ج ١ ص ٣٢١ والأغاني ج ١٧ ص ٢٤٩ والمفصل ج ٧ ص ١٤٨ عن تاج العروس في «خيل» و ج ٤ ص ٢٢٠ والطبري ج ٣ ص ١٤٥ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٢٧ . والوثائق ص ٣٠٢ / ٢٠١ (عن الطبقات وسيرة ابن هشام والطبري والإصابة وصحيح البخاري والاستيعاب ثم قال : انظر كائتاني ج ١٠ ص ٣٥ و ٣٩ واشبرنكر ج ٣ ص ٣٨٧ و ٩٤٦ و ٩٤٧) ..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٨ عن البخاري، ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٥ ص ٣٢٦ (٤٣٥١) ومسلم ج ٢ ص ٧٤٢ (١٤٤/ ١٠٦٤) وراجع: الإصابة ج ١ ص ٥٧٢ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥٨ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥١ عن البخاري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والمحلى لابن حزم ج ١١ ص ٢٢٠، وعمدة القاري ج ١٨ ص ٧، والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٢٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٦.

٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
أنضيت راحلتي، وأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري لأسألك عن خصلتين
أسهرتاني.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما اسمك»؟

فقال: أنا زيد الخيل.

قال: «بل أنت زيد الخير، فسل، فرب معضلة قد سئل عنها».

فقال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعن علامته فيمن لا يريد.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «كيف أصبحت»؟

فقال: أصبحت أحب الخير وأهله، ومن يعمل به، وإن عملت به

أيقنت بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننت إليه.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «هذه علامة الله فيمن يريد،

وعلامته فيمن لا يريد، ولو أرادك بالأهدى هياً لك هاتم لا تبالي من (في)

أي واد هلكت». وفي لفظ «سلكت»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٩ عن ابن شاهين، وابن عدي، وابن عساكر،

وفي هامشه عن: حلية الأولياء ج ٤ ص ١٠٩ وراجع ج ١ ص ٣٧٦، وذكره

الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ١٩٧، وعزاه للطبراني، وقال: وفيه عون بن عمارة

وهو ضعيف، وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٠٨٠٨)، وابن عساكر في تهذيب

تاريخ دمشق ج ٦ ص ٣٧، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ١٨١، والمعجم

الكبير للطبراني ج ١٠ ص ٢٠٢، وضعفاء العقيلي ج ١ ص ١٤٦، وتاريخ مدينة

دمشق ج ١٩ ص ٥٢٠، وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٢، والإصابة ج ٢ ص ٥١٤.

وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٨ عن ابن شاهين، وابن عدي، وراجع:

الإصابة ج ١ ص ٥٧٢.

الفصل الرابع: وفود سنة تسع ٦٥
ونقول:

إن لنا مع ما تقدم الوقفات التالية:

متى غير اسم زيد الخيل؟!:

إن الرواية ذكرت أن زيد الخيل جاء يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن خصلتين فسأله «صلى الله عليه وآله» عن اسمه أيضاً، فأخبره به فغيّره إلى زيد الخير.

وظاهر هذه الرواية: أنه قد جاء إليه وحده ولم يكن معه وفد، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد رآه، لأنه سأله عن اسمه، ولازم ذلك أن يكون معروفاً لدى النبي «صلى الله عليه وآله» حين جاء في وفد طيء، وأن يكون اسمه قد غيّر قبل مجيئه مع وفد طيء...
فما معنى قولهم: إنه قد غيّر اسمه حين جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مع الوفد المذكور؟!:

عظمة زيد عند رسول الله ﷺ:

ثم إننا لا ندري ما الذي لفت نظر النبي «صلى الله عليه وآله» في شخصية زيد، حتى قال: ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي، إلا ما كان من زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه.
هل رآه متميزاً بعلمه، أم بأخلاقه أم بشجاعته، أم بعقله، أم بضخامة جسده.

إننا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى امتيازهِ في شيء في ذلك، فكيف إذا رأيناه لا يرضى بالإسلام ديناً حتى اعتبره «صلى الله عليه وآله» في المؤلفة قلوبهم.

ثناء النبي على زيد الخيل:

قرأنا فيما تقدم ثناء نبويّاً عاطراً على زيد الخيل، مع العلم بأن الحديث المتقدم عن أبي سعيد الخدري قد صرح بأن زيد الخيل كان من المؤلفّة قلوبهم، وذلك مروى في صحاح أهل السنة.. مما يعني: أن هذا الثناء مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقد حاول الزرقاني أن يرد على ذلك: بأن قدوم زيد الخيل في وفد طيء كان سنة تسع.

فقد قال: «هذا يرد على ما في النور: أن زيدا كان من المؤلفّة، لأن المؤلفّة من أعطي من غنائم حنين. وكان ذلك سنة ثمان. وقد تقدم: أن الحافظ نقله في سردهم عن التلقيح لابن الجوزي، وأن الشامي توقف فيه بأنه لم يره في نسختين من التلقيح.

ويقوي ذلك ما في الروض، من رواية أبي علي البغدادى: قدم وفد طيء، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد، ودخلوا، وجلسوا قريباً من النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث يسمعون صوته..

فلما نظر «عليه السلام» إليهم، قال: إني خير لكم من العزى، ومن الجمل الأسود الذي تعبدون من دون الله، ومما حازت مناع، من كل ضار غير نفاع.

فقام زيد زيد الخيل، وكان من أعظمهم خلقاً، وأحسنهم وجهاً وشعراً، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض كأنه حمار.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله» ولا يعرفه: الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك، وسهّل قلبك للإيمان. ثم قبض على يده فقال: من أنت؟!

الفصل الرابع: وفود سنة تسع ٦٧
فقال: أنا زيد الخيل بن مهلهل، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت عبد الله ورسوله.

فقال له: بل أنت زيد الخير. ما خبرت عن رجل قط شيئاً إلا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك^(١).
ونقول:

أولاً: إن حديث كونه من المؤلفة قلوبهم أصح عندهم من غيره، فلماذا عدل عنه الزرقاني إلى الأخذ بالحديث الضعيف؟!..

ثانياً: إن من الواضح: أن ما زعمه الزرقاني من أن اسم المؤلفة قلوبهم لا يطلق إلا على الذين أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» من غنائم حنين ليس له ما يثبت، بل هم كل من كان يعطيهم النبي «صلى الله عليه وآله» ليتألفهم على الإسلام قبل حنين وبعدها، وسهم المؤلفة قلوبهم ثابت في الإسلام والقرآن وإلى يوم القيامة، وإنما ألغاه أبو بكر.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

ومن الواضح: أن هذه الآية في سورة التوبة، وهي قد نزلت في ذي الحجة من سنة تسع، فلو كان الحكم مختصاً بأهل حنين لم ينزل هذا الحكم

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٧ وراجع: الأغاني ج ١٦ ص ٥٠،
والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٦.

(٢) الآية ٦٠ من سورة التوبة.

بعد سنة كاملة في الآية التي ذكرناها..

ولكن لما ولي أبو بكر، وجاءه المؤلفة قلوبهم لأخذ سهمهم، كتب لهم بذلك فلقبيهم عمر، فأخذ الكتاب منهم ومزقه، وقال لهم: لا حاجة لنا بكم، فقد أعز الله الإسلام، وأغنى عنكم، فإن أسلمتم، وإلا فالسيف بيننا وبينكم. فرجعوا إلى أبي بكر فأمضى ما فعله عمر^(١).

وقد عبروا عن هذا الأمر بتعابير قاسية ومهينة للدين وأهله، فقد قالوا: إن أبا بكر قطع الرشا في الإسلام^(٢).

ثالثاً: قد ذكر الزرقاني نفسه الرواية التي ترد ما زعموه: «من أن وفادة زيد الخيل كانت في سنة تسع»، وأن الحديث المذكور آنفاً قد ذكر أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن عبادتهم للعزى لا تنفعهم.

ومن المعلوم: أن العزى قد هدمت عقب فتح مكة مباشرة^(٣)، فتكون وفادتهم قبل هدم العزى.. لا في سنة تسع^(٤).

(١) النص والإجتهد ص ٤٤ عن كتاب الجوهرة النيرة على مختصر القدوري في الفقه الحنفي ج ١ ص ١٦٤ وراجع: تفسير المنارج ١٠ ص ٤٩٦ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٢ وأصول الفقه للدواليبي ص ٢٣٩ وشرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٣، وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٦٨، والفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ص ٨٨.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٢٢.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٥.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٢ عن البخاري في تاريخه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٩٧، والسيرة الحلبية ج ٣ =

ربما يدّعي البعض: أن النص المتقدم، ونظائره يدل على أن المشركين قد دخلوا مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، وذلك يدل على جواز دخول الكفار إلى مساجد المسلمين، حتى إلى مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، وبذلك يرد على فتوى الفقهاء بحرمة دخول الكافر إلى المسجد..

وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(١)، فلا دلالة فيه على خلاف ذلك:

فأولاً: قد يكون المراد به القذارة المعنوية الروحية، وهي قذارة الكفر والشرك، لا القذارة بمعنى النجاسة على حد نجاسة الكلب والخنزير، والدم وما إلى ذلك.

ثانياً: لو سلمنا أن المراد به النجاسة الحسية بمعناها المصطلح عند أهل الشرع، فإننا نقول:

من الذي قال: إنه يحرم إدخال النجاسة إلى المسجد، إذ لا دليل على حرمة إدخال قارورة دم إلى المسجد الحرام، إذا لم يلحق المسجد منها شيء..
ثالثاً: لعل الحكم بعدم جواز دخول المشركين إلى المسجد الحرام خاص بالمسجد الحرام، ولا يتعداه إلى سائر المساجد.

= ص ٢٠٨، والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٣٣، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦١، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٨٨، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٠٩، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٠.

(١) الآية ٢٨ من سورة التوبة.

وليكن هذا هو وجه الجمع بين الآية، وبين ما ثبت من أن نصارى نجران، وغيرهم من المشركين كانوا يدخلون المسجد النبوي، ويجادلون النبي «صلى الله عليه وآله» في الدين، ويُسلم بعضهم، ويصرُّ بعضهم على كفره. ونقول:

إن ذلك كله لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: إن المحرَّم هو دخول الكافر إلى موضع الصلاة من المسجد، أما دخوله إلى غيرها من قاعات وباحات وساحات لم تعد للصلاة، فلم يكن ذلك محرماً، فلعل المراد بدخولهم إلى المسجد هو الدخول إلى بعض باحاته وساحاته، إذ يصح إطلاق اسم الكل على بعض أجزائه، أو مشتملاته أو على توابعه..

وقد يشهد لذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بنى موضعاً في مسجده يقال له: الصفة، لينزل ويبيت فيه من لا منزل ولا مال ولا أهل له. ولعل من يبيت هناك يتلى بالاحتلام والجنابة، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يسمح لهم بالمبيت في الموضع الذي ينبغي تنزيهه عما هو مكروه من نوم أو غيره.

فذلك يشير إلى أن هذا الموضع لم يكن مخصصاً للصلاة، فكان يصح النوم فيه..

ثانياً: من الذي قال إن ملاك حرمة دخول الكافر للمسجد هو قذارته الجسدية، فلعل الملاك هو: أن دخول من لا يؤمن بالله إلى بيت الله هتك لحرمة المساجد التي يعبد الله فيها، وأما إدخال الدم إلى المسجد في قارورة فليس فيه هتك لحرمة، وليس فيه تنجيس له فلا يحرم.

لكن دخول الكلب والخنزير أيضاً - والعياذ بالله - إلى المسجد فيه هتك لحرمة المسجد، فيحرم من أجل ذلك، حتى لو لم يوجب دخوله تنجيساً..

ثالثاً: إن الآية الكريمة وإن كانت قد وردت في سورة التوبة التي هي من آخر ما نزل من القرآن^(١)، لكن ذلك لا يمنع من أن يكون الحكم بحرمه دخول الكافر إلى المسجد قد بيّن على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك بسنوات. وقد تأخر نزول الآية عن ذلك..

بل لعل نفس تشريع عدم جواز دخول الكافر للمساجد قد تأخر أيضاً لحكمة اقتضاها التشريع، وهي أن يضرب الدين بجراحه، وتظهر أعلامه وتنتشر شرائعه وأحكامه، فنزلت في ذي الحجة من السنة التاسعة للبعثة^(٢).

وزر بن سدوس ينتصر:

ولا ندرى كيف نفسر تصرف وزر بن سدوس الذي رحل إلى الشام، واختار النصرانية على أن يملك عربي رقبته، حتى لو كان هو النبي «صلى

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن أبي داود في المصاحف، وابن أبي المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ١٦، وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٩٥، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٤٤٤، وتفسير البضاوي ج ٣ ص ١٢٦.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، والبخاري، والنسائي، وابن الضريس، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ١٠٣.

الله عليه وآله»، فنلاحظ:

١ - أننا لم نعهد من النبي «صلى الله عليه وآله» أنه تصرف مع الناس على أنه مالك لرقابهم، ولم يدَّع هو ذلك لنفسه، إنما هو يعلن أنه ينفذ ما يأمره به الله.

٢ - كما أن هذا الرجل قد ترك مظهر الرحمة الإلهية، الذي يريد أن يحرره من هيمنة الطواغيت والظلمة والجبارين، والذي يكون مع المؤمنين كأحدهم، ولا يرى لأحد فضلاً على أحد إلا بتقوى الله، وذهب إلى الشام ليكون تحت حكم الجبارين، الذين يتخذون عباد الله خولاً، وماله دولاً.

٣ - إن ما عرضه النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم يعود نفعه إليهم في الدنيا والآخرة، وهو ما تحكم به فطرتهم، وتقضي به عقولهم، وهو أن يكونوا عبيداً لله وحده لا شريك له، وقد بين له بها لا مزيد عليه أنه هو وجميع الناس سواء في هذا الأمر.

وفد بني البكاء:

قالوا: وفد من بني البكاء على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة تسع، ثلاثة نفر: معاوية بن ثور بن عبادة البكائي، وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابن له يقال له: بشر، والفجيع بن عبد الله بن جندح بن البكاء، ومعهم عبد عمرو، وهو الأصمّ. فأمر لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمنزل وضيافة، وأجازهم، ورجعوا إلى قومهم.

وقال معاوية بن ثور للنبي «صلى الله عليه وآله»: «إني أتبرك بمسك، وقد كبرت وابني هذا بُرّي، فامسح وجهه».

فمسخ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجه بشر بن معاوية، وأعطاه أعنزاً عُفراً وبرك عليهن.

قال الجعد: فالسنة ربما أصابت بني البكاء ولا تصيب آل معاوية.

وقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور بن عبادة بن البكاء:

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعاه بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعنزاً عُفراً نواجل لسن باللجنات
يملأن رقد الحي كل عشية ويعود ذاك الملاء بالغدوات
بوركن من منح وبورك مانحاً وعليه مني ما حييت صلاتي
وسمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد عمرو الأصم عبد الرحمن،
وكتب له بمائه الذي أسلم عليه بذى القصة. وكان عبد الرحمن من أصحاب
الظلة، يعني: الصفة، صفة المسجد^(١).

التبرك بالرسول ﷺ:

وقد ذكر النص المتقدم: أن معاوية بن ثور قال للنبي «صلى الله عليه وآله»:
«إني أتبرك بمسك، ثم طلب منه أن يمسح وجه ابنه، ففعل «صلى الله

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٠ عن ابن سعد، وابن شاهين، وأبي نعيم، وابن منده، وغير ذلك وعن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٤٧ و ٤٨ ورسالات نبوية ص ٢٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣١٣، ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٣١٧ عن: الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٤٧ و ٤٨ والوثائق ص ٣١٣ و ص ٢١٧ ألف عنه ورسالات نبوية ص ٢٦، وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٥ ص ١٢٥.

عليه وآله».

وهذا يعطينا:

١ - أن سكوت النبي «صلى الله عليه وآله» وقوله بأن يتبرك به ذلك الرجل، ثم استجابته لطلب معاوية بن ثور بالتبريك على ولده يؤكدان مشروعية التبرك، وأنه لا صحة لما يدّعيه البعض من عكس ذلك.

٢ - إن هذا الطلب من معاوية بن ثور يشير إلى أن إيمان هذا الرجل لم يكن بسبب ترغيب أو طمع، أو ترهيب، أو جزع. وإنما هو نتيجة تفاعل روحي، تجاوز حدود القناعة الفكرية، وسكن في القلب، وترسخ في أعماق الوجدان..

٣ - ثم هو من جهة ثالثة: تعبير عن شعور فطري، لم يقتصر الأمر فيه على هذا الرجل، بل تجاوزه ليكون ميزة إنسانية تجدها لدى سائر الذين آمنوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، مهما اختلفت طبائعهم، وثقافتهم، وأعرافهم، وبلدانهم، وعاداتهم، ومواقفهم الاجتماعية، وما إلى ذلك.. وذلك يدل على: أن هذا هو مقتضى الخلق الإنساني، والطبع البشري، وهو مقتضى الفطرة والسجية والعفوية..

٤ - إن التبريك على تلك الأعتر أيضاً بمبادرة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الآخر يفتح أمام التأمل أبواباً على آفاق رحبة في هذا الاتجاه، ويدفع به إلى دراسة أكثر شمولية وعمقاً للنهج التربوي، الذي يعتمد على تجسيد المعاني الغيبية في مفردات واقعية، لتصبح أكثر قرباً للإنسان، وليسهل عليه وعيها، والاستفادة منها في حياته العملية، ولهذا البحث مجال آخر.

الفصل الخامس:

وفود سنة تسع قبل شهر رمضان..
ووفد ثقيف



وفد بني أسد:

روى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قالاً: «قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله صلى الله عليه وآله» في أول سنة تسع، فيهم حضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، ووابصة بن معبد، وقتادة بن القائف، وسلمة بن حبيش، وطليحة بن خويلد، ونقادة بن عبد الله بن خلف، ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله.

وقال حضرمي بن عامر: «أتيناك نندرع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثاً ونحن لمن وراءنا..» إلى آخر ما قالوا. فنزلت فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١).

(١) الآية ١٧ من سورة الحجرات.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٦ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٩٢ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢١٢ و ٢١٣، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ١٥٣، وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٩، والإصابة ج ٣ ص ٤٤٠، والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٢، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٧٠، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧١.

وسألوا عن مسائل، ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فودعوه، وأمر لهم بجوائز، وكتب لهم ثم انصرفوا إلى أهلهم^(١).

وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وبسند حسن عن عبد الله بن أوفى، قال الأولان: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقالوا: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب، وفي رواية: بنو فلان. فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(٢).

قال ابن سعد: وكان معهم قوم من بني الزينة، وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم بنو الرشدة». فقالوا: لا نكون مثل بني محولة، يعني: بني عبد الله بن غطفان^(٣).
وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» - يومئذ عن: العيافة، والكهانة،

(١) راجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج ٣ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وقال في هامشه: راجع زاد المعاد ج ٣ ص ٤٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٤ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٠٣ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٨٣ والإصابة ج ٣ ص ٦٢٦ وج ١ ص ٣٤١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٨٨ وخزانة الأدب للبغداد ج ٢ ص ٥٦ ورسالات نبوية ص ١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٦ والدر المنثور ج ٦ ص ١٠٠ و ١٠١ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن سعد، وفتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٦٩، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٦ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٩٢ وراجع: جمهرة أنساب العرب ص ١٩٣، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ١٥٣.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف ٧٩
وضرب الحصى، فنهاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» - عن ذلك كله.
فقالوا: يا رسول الله، إن هذه الأمور كنا نفعلها في الجاهلية، أرأيت
خصلة بقيت؟

قال: «وما هي؟»

قال «صلى الله عليه وآله»: «الخط، علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف
مثل علمه علم»^(١).
ونقول:

يؤمنون عليك أن أسلموا، فيمن نزلت!؟:

وقد ذكر النص المتقدم: أن قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَكْمُلُوا
عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يُؤْمِنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(٢) قد نزلت في وفد بني أسد.
ويرد عليه:

أولاً: ما روي عن جابر: من أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان يوم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٦ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه،
والبزار، والنسائي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وقال في
هامشه: أخرجه مسلم بنحوه في كتاب المساجد (٣٣) وكتاب السلام (١٢١)،
والنسائي ج ٣ ص ١٦، وأبو داود في كتاب استفتاح الصلاة باب (٥٦)، وأحمد
في المسند ج ٢ ص ٣٩٤ والبيهقي ج ٢ ص ٢٥٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس
ج ٢ ص ٣٠٧، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٢.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢١٣.

(٢) الآية ١٧ من سورة الحجرات.

الخنديق، حيث قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «احفر».

فغضب عثمان وقال: لا يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى يأمرنا بالكد،
فأنزل الله على نبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١).

ثانياً: روي أن عثمان مرَّ على عمار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد
ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كفه على أنفه ومر فقال:

لا يستوي من يعمر المساجداً يصلي فيها راکعاً وساجداً

كمن يمر بالغبار حائداً يعرض عنه جاهداً معانداً

فالتفت إليه عثمان فقال: يا بن السوداء، إياي تعني؟!

ثم أتى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: لم ندخل معك لتُسبَّ أعراضنا.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد أقلتك إسلامك، فاذهب»،

فأنزل الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾ الآية...^(٢).

غير أننا نقول:

إن قصة بني أسد قد حصلت سنة تسع، ولا مانع من نزول الآية مرتين
أو أكثر، إذا كانت المناسبة تقتضيها، فتنزل في عثمان يوم الخندق، حيث
واجه النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم واجه عماراً، ثم تنزل مرة أخرى

(١) البرهان (تفسير) ج ٤ ص ٢١٥ عن الشيخ في مصباح الأنوار، ومدينة المعاجز

للبحراني ج ١ ص ٤٦٧، والبحار ج ٣٠ ص ٢٧٤ وج ٣٩ ص ١١٤ وج ١٠٩

ص ٢٩، وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ٢ ص ٦٠٨.

(٢) البرهان (تفسير) ج ٤ ص ٢١٥ عن تفسير القمي، والبحار ج ٩ ص ٢٣٨ وج ٢٠

ص ٢٤٣ وج ٣٠ ص ١٧٣ وج ٣١ ص ٥٩٩، وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٢٢،

والتفسير الصافي ج ٥ ص ٥٧ وج ٦ ص ٥٢٨، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٠٤.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٨١
بعد حوالي خمس سنوات من ذلك التاريخ، ولذلك نظائر.

ثالثاً: إن سورة الحجرات قد نزلت قبل سورة الفتح، التي نزلت في الحديبية^(١)، وهذا يؤيد ما ذكرناه: من أن سورة الحجرات قد نزلت قبل حادثة بني أسد بسنوات عديدة..

بنو الزنية أو الرشدة:

ومن الغريب حقاً: أن نجد هؤلاء الأعراب الجفاة يرفضون تسمية النبي «صلى الله عليه وآله» لهم ببني الرشدة، بدل «بني الزنية».
فأولاً: إن هذا الرفض يمثل اعتراضاً على قرار نبي الله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..

ثانياً: إن التسمية ببني الزنية لا تُسعد من تطلق عليه، ولا بد أن يرى فيها إهانة لشرفه، ولنسبه، فالمتوقع منه: أن يرفضها بحزم وإصرار، وربما يحتاج إلى المجابهة والحدة في سعيه إلى أن منع الناس من تداولها، وأما أن يصر على حفظها، وعلى إشاعتها بينهم، ويرضى بإطلاقها عليه ونسبتها إليه، فذلك ما لا يخطر على البال..

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٦٧ عن الحاكم وصححه، وابن إسحاق، والبيهقي في الدلائل، والإفصاح للمفيد ص ١١٢، والبحار ج ١٧ ص ٧٥، والسنن الكبرى ج ٩ ص ٢٢٣، وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٠٤، والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٦١، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٧ ص ١٤٧، وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٧٠، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ٢٤٤، وتفسير السمرقندي ج ٣ ص ٢٩٨، وتفسير ابن زمين ج ٤ ص ٢٥٠ و ٢٥٥، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤.

إلا إذا افترض مفترض: أن ثمة خللاً في عقله، أو في تفكيره أو في أخلاقياته، وقيمه..

وبعد..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان معنياً جداً بتغيير هذا الاسم، لأنه يعلم أن للأسماء آثارها على الروح والنفس، وهو لا يريد أن يعتاد سمعهم على مثل هذا الأسماء، ولا أن تألفها أرواحهم، وتتعلق بها نفوسهم، بل يريد أن تنكرها النفوس، وتتأذى منها الأرواح، وتمجها الأذواق والأسباع. وإن رفض هؤلاء الناس لمثل هذا الطلب الصادر من أقدس الخلق، والذي يفترض فيهم أن يتلهفوا لتلييته، وأن يكونوا سعداء في استجابتهم له - إن هذا الرفض - يدل دلالة واضحة على جهلهم، وجفائهم، وقلة عقولهم، وضعف تدبيرهم..

علم الخط وضرب الرمل:

اختلفوا في المراد من علم الخط، مع تصريحهم بحرمة العمل به. قال الصالح الشامي: قوله «صلى الله عليه وآله» في الخط: «علمه نبي من الأنبياء الخ...». الخط: قال في المطالع والتقريب: «فسروه بخط الرمل، ومعرفة ما يدل عليه».

وقال في النهاية: [قال ابن عباس: الخط] «هو الذي يخطه الحازي، وهو علم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً، فيقول له: اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل، ثم يأتي إلى

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفد ثقيف ٨٣
أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد، ثم
يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وعلامة يقول للتغافل: «ابني
عيان أسرع البيان». فإن بقي خطان فهما علامة النُّجَح، وإن بقي خط
واحد فهو علامة الخيبة.

وقال الحربي: «الخط هو: أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن
بشعير أو نوى، ويقول: يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة».
قال ابن الأثير: الخط المشار إليه علم معروف، وللناس فيه تصانيف
كثيرة، وهو معمول به إلى الآن، ولهم فيه أوضاع، واصطلاح وأسام، وعمل
كثير، ويستخرجون به الضمير وغيره، وكثيراً ما يصيبون فيه. انتهى.
وقال: ضرب الرمل حرام، صرح به غير واحد من الشافعية والحنابلة
وغيرهم^(١).

الأنبياء ﷺ وعلم الخط:

وقال الصالحى الشامي: قوله «صلى الله عليه وآله»: «علمه نبي من
الأنبياء» في حفظي أنه سيدنا إدريس «عليه السلام»، ولا أعلم من ذكره
فيحرر^(٢).

وقد ورد في الروايات عن أهل البيت «عليهم السلام»: أن إدريس
«عليه السلام»، وهو جد نوح «عليه السلام» أول من خط بالقلم^(٣). أي

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٧.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٧.

(٣) البحار ج ١١ ص ٢٧٠ و ٢٧٩ وج ٥٥ ص ٢٧٤ وج ٧٤ ص ٧١، والخصال =

- ٨٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
- كتب به، فلعل الأمر اشتبه على هؤلاء، فنسبوا إليه «عليه السلام» علم الخط (أي خط الرمل) أو نحوه. مع أن المقصود بالخط: الكتابة بالقلم.
- ويكون مراد النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: «الخط علمه نبي من الأنبياء، فمن صادف مثل علمه فقد علم» هو حثهم على تعلم الكتابة،
-
- = ص ٥٢٤، ومعاني الأخبار ص ٣٣٣، والإختصاص للمفيد ص ٢٦٤، وفرج المهموم لابن طاووس ص ٢١، وفتح الباري ج ٦ ص ٢٦٧، وصحيح ابن حبان ج ٢ ص ٧٧، وموارد الظمآن للهيثمي ج ١ ص ١٩٣، وكتر العمال ج ١٦ ص ١٣٢، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزنجشري ج ٢ ص ٥١٣، وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج ٢ ص ٤٥٨ وج ٣ ص ٧٧١، وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج ٦ ص ٤٣٠ وج ١٠ ص ٣٣٢، والتفسير الأصفى ج ٢ ص ٧٤٣، والتفسير الصافي ج ٣ ص ٢٨٥، وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٥١٣، وتفسير الميزان ج ٢ ص ١٤٤ وج ١٤ ص ٦٨ وج ٢٠ ص ٣٢٤، وتفسير الثعلبي ج ١٠ ص ١٨٦، وتفسير السمعاني ج ٣ ص ٣٠٠ وج ٥ ص ١٤٩، وتفسير البغوي ج ٣ ص ١٩٩، وتفسير الرازي ج ٢١ ص ٢٣٣، وتفسير القرطبي ج ١١ ص ١١٧، وتفسير البيضاوي ج ٤ ص ٢٢، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج ٣ ص ٦، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٩ وج ٢ ص ٢٣٢، والإنتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٦٤، وفتح القدير ج ٣ ص ٣٣٨، والثقات لابن حبان ج ٢ ص ١١٩، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٢٧٥، والمعارف لابن قتيبة ص ٢١، وتاريخ يعقوبي ج ١ ص ١١ و ١٤٧، وتاريخ الطبري ج ١ ص ١١٦، والبداية والنهاية ج ١ ص ١١١ وج ٢ ص ١٨٢، وقصص الأنبياء للراوندي ص ٨٣، وقصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ٧١، وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٣١٨، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٨٥
ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، والإحتفاظ به، ونقله إلى الأجيال
اللاحقة بدقة وأمانة. وبذلك يظهر فساد قول الصالحى الشامى هنا:

«فمن صادف مثل علمه فقد علم»، وفي صحيح مسلم: «فمن وافق
خطه فذاك» أي: فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني
بالموافقة، فلا يباح [والمقصود: أنه حرام لأنه لا يباح] إلا بيقين الموافقة،
وليس لنا يقين بها.

وإنما قال النبى «صلى الله عليه وآله»: «فمن وافق خطه فذاك». ولم
يقُل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة، لثلا يتوهم متوهم أن هذا النهي
يدخل فيه ذلك النبى الذى كان يخط، فحافظ النبى «صلى الله عليه وآله»
على حرمة ذاك النبى، مع بيان الحكم فى حقنا، فالمعنى: أن ذاك النبى لا منع
فى حقه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها^(١).
على أننا نقول:

إن هذا الكلام موهون، ولا يمكن قبوله من جهات عديدة:
فأولاً: إذا كان علم الخط ضرباً من الكهانة، فإنه ليس علماً، إذ لا يصح
عدّ الكهانة فى جملة العلوم، التى هى عبارة عن قواعد وضوابط توصل إلى
نتائج ذات غرض واحد.. ولم نجد فى الخط الذى فسر آنفاً بتفاسير مختلفة ما
يدخله فى هذا السياق..

ثانياً: إذا كان هذا العلم من الكهانة، فإن الحكم بتحريم الكهانة قد جاء
مطلقاً وعاماً، ولم يستثن منها كهانة علم الخط بأي معنى من المعانى المتقدمة..

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٧.

ثالثاً: إن المعاني التي ذكرت لعلم الخط لا تصلح جميعها للدلالة على معنى صحيح، ولا توصل إلى شيء من الواقع إلا على سبيل الصدفة، وليس في السنن الإلهية أن يتدخل الله فيمسك يد ذلك الغلام، عند عدد بعينه من الحركات السريعة.. أو أن يتدخل في قلب ذلك الغلام ويجبره على اختيار هذا العدد من الحركات أو ذاك.

على أن بقاء خط أو خطين قد يمكن اعتباره نوعاً من القرعة، التي لا اعتبار بها في كشف المستقبل، وما يكون فيه من فشل، أو نجاح، بل تستعمل لتسهيل اختيار أمر حاضر مشتبّه لا يجد سبيلاً لترجيح أي طرف منه.. وكذلك الحال بالنسبة للتفسير الثاني للخط، وهو ضرب النوى أو حبات الشعير على ثلاثة خطوط، فإنه ليس من السنن الإلهية أن يتحكم الله بالنوى، أو بحبات الشعير حين تضرب على تلك الخطوط ليبين لنا من ذلك معاني بعينها..

وبذلك كله يظهر: أنه لا معنى لأن يتعلم إدريس هذا الشيء، لأنه لا أساس له.. وهو ليس من العلوم التي يصيبها هذا ويخطئوها ذاك.. وقد يتيقن بالموافقة، وقد يظن..

رابعاً: لو كان هذا من العلوم المرتكزة إلى سنة إلهية، فلماذا يحرم على الناس تعاطيها إلا مع اليقين بالموافقة لعلم النبي «صلى الله عليه وآله».. فإنها تكون كأى شيء مجهول يراد الوصول إليه بالتجارب القائمة على ظن الموافقة أو احتماؤها..

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٨٧
خامساً: إن الكهانة تقوم على أخذ بعض المعلومات من بعض الجن^(١)،
مع العلم بأن هذا الجن قد يكذب، وقد يجهل الحقيقة، أو يجهل جزءاً منها،
فيخلط الحق بالباطل وما إلى ذلك، وليس في علم الخط الذي فسر بما ذكر
أنفاً ما يشير إلى الأخذ من الجن.. فلماذا اعتبروه من الكهانة؟

وفد بني عذرة:

قالوا: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صفر سنة تسع وفد
بني عذرة، (قبيلة باليمن من قضاة) اثنا عشر رجلاً، فيهم حمزة بن النعمان
العذري، وسليم، وسعد ابنا مالك، ومالك بن أبي رباح. فزلوا دار رملة
بنت الحدث النجارية. ثم جاؤوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فسلموا
بسلام أهل الجاهلية.

(١) راجع: البحار ج ٥٢ ص ١٩٨ وج ٥٥ ص ٢٥٩ وج ٦٠ ص ٣٢، وتذكرة الفقهاء
(ط.ج) ج ١٢ ص ١٤٥ وفي ط.ق ج ١ ص ٥٨٢، وقواعد الأحكام للحلي ج ٢
ص ٩، ونهاية الإحكام للحلي ج ٢ ص ٤٧٢، وإيضاح الفوائد لابن العلامة ج ١
ص ٤٠٦، وجامع المقاصد للمحقق الكركي ج ٤ ص ٣١، وجواهر الكلام
للجواهر ج ٢٢ ص ٨٩، ونيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٣٦٨، وشرح مسلم
للنووي ج ١٤ ص ٢٢٣، وفتح الباري ج ١٠ ص ١٨٣، والديباج على مسلم
للسيوطي ج ٥ ص ٢٤٤، وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٣٣٤، وزاد المسير لابن
الجوزي ج ٤ ص ٢٨٦، وتفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ١٧٢، وتفسير
القرطبي ج ١٠ ص ١١ وج ١٥ ص ٦٦، وتفسير الألويسي ج ٦ ص ٥٩ وج ١٩
ص ١٤١ وج ٢٧ ص ٣٥، وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٢٠١، والسيرة الحلبية
ج ١ ص ٣٣٧، ولسان العرب ج ١٣ ص ٣٦٣.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من القوم»؟

فقال متكلمهم: من لا تُنكر، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، «نحن الذين عضدوا قصياً»، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم، فما يمنعكم من تحية الإسلام»؟
قالوا: كنا على ما كان عليه آبائنا، فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا.
وقالوا: إلام تدعو؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا أني رسول الله إلى الناس جميعاً» أو قال: [كافة].

فقال متكلمهم: فما وراء ذلك من الفرائض؟
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تشهدوا الصلوات، تحسن طهورهن، وتصلينهن إلى موقيتهن، فإنه أفضل العمل».

ثم ذكر لهم سائر الفرائض من الصيام والزكاة والحج.
فقال المتكلم: الله أكبر، نشهد ألا إله إلا الله، وأنت رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوت إليه، ونحن أعوانك وأنصارك. يا رسول الله إن متجرنا الشام، وبه هرقل، فهل أوحى إليك في أمره بشيء؟
فقال: «أبشروا، فإن الشام ستفتح عليكم، ويهرب هرقل إلى ممتنع بلاده».

ونهاهم «صلى الله عليه وآله» عن سؤال الكاهنة.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٨٩
فقد قالوا: يا رسول الله، إن فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون
إليها، فنسألها عن أمور.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «لا تسألوها عن شيء».

فقال متكلمهم: الله أكبر.

ثم سأله عن الذبح الذي كانوا يذبحون في الجاهلية لأصنامهم.

فنهاهم «صلى الله عليه وآله» عنها.

وقال: «لا ذبيحة لغير الله عز وجل، ولا ذبيحة عليكم في سنتكم إلا
واحدة».

قال: وما هي؟

قال: «الأضحية ضحية العاشر من ذي الحجة، تذبح شاة عنك وعن
أهلك».

وسألو النبي «صلى الله عليه وآله» عن أشياء من أمر دينهم، فأجابهم فيها.

وأقاموا أياماً. ثم انصرفوا إلى أهليهم، وأمر لهم بجوائز كما كان يجيز
الوفد، وكسا أحدهم برداً^(١).

نحن بنو عذرة:

لم يرق لبني عذرة سؤال النبي «صلى الله عليه وآله» إياهم بقوله: من

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٨٢ عن الواقدي، وابن سعد، وراجع: المواهب
اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢١٥ و ٢١٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن
سعد ج ١ ص ٣٣١ وزاد المعاد ج ٣ ص ٤٩ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٥
وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٣٩.

٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

القوم؟! على اعتبار أن السؤال إنما يكون عن النكرات الذين لا يعرفون، في حين يرون أن ذكرهم شائع، وصيتهم ذائع. فأجابوا بما يظهرهم بمظهر الكبار، مضمّنين إجابتهم ما يشير إلى أنهم يضعون أنفسهم في مصافّ أقدس الناس، وأطهرهم، وأعظمهم شأنًا، وأجلهم مكانة وموقعاً..

وكان أقصى ما عندهم أنهم أرادوا الفخر على رجل ينتهي فخريهم إليه، وهو معدنه ومصدره، فافتخروا بأن لهم به قرابة ورابطة رحم عن طريق الأم، لأنهم إخوة قصي لأمه.

ثم افتخروا أيضاً: بأن لهم قرابات وأرحام في سائر قريش.

ثم كان عنوان فخرهم الآخر: أنهم عضدوا قصياً، وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة.. وكل هذه الأمور منه وإليه.. وبه.. وله «صلى الله عليه وآله»..

غير أن قولهم: إنهم أخوة قصي لأمه وإن كان صحيحاً، لكن أم قصي نفسها قد قالت لولدها قصي وزوجها، وسائر بني عذرة: «أنت والله يا بني أكرم منه نفساً، ووالدأ، ونسباً، وأشرف منزلاً، أبوك كلاب بن مرة بن كعب الخ»^(١)..

وأما أنهم هم الذين أزاحوا خزاعة وبني بكر من مكة، فغير دقيق، بل غير صحيح، إن أريد حصر ذلك بهم، لأن قصياً استعان بأخيه رزاح

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٦٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٥، وراجع: عمدة الطالب لابن عنبه ص ٢٦، والبحار ج ١٥ ص ١٢٤، وتاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٣٧، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٩، وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٢٧٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٢.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٩١
العذري، فأعانه بثلاث مائة من قومه وإخوته^(١).. بالإضافة إلى من كان
معه.. من قریش وكنانة.. فراجع..

وفد زميل بن عمرو:

وروى ابن سعد عن مدليج بن المقداد بن زميل العذري وغيره قالوا:
وفد زميل بن عمرو العذري على النبي «صلى الله عليه وآله» فآخبره بما سمع
من صنمهم، فقال: ذلك مؤمن الجن، فعقد له لواءً على قومه، وأنشأ يقول
حين وفد على النبي «صلى الله عليه وآله»:

إليك رسول الله أعملت نصها	أكلفها حزنًا وقوزًا من الرمل
لأنصر خير الناس نصرًا مؤزرًا	وأعقد حبلًا من حبالك في حبلي
وأشهد أن الله لا شيء غيره	أدين له ما أثقلت قدمي نعلي ^(٢)

ونقول:

إن في النص عدة مواضع تدعو للتأمل، ومنها:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٦٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٢١٨
وج ٦ ص ٣٨٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٠٥ وراجع: الإصابة ج ١
ص ٥٥١ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٥٨٨ وأسد الغابة ج ٢
ص ٢٠٥، والبحار ج ١٨ ص ١٠٣، وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٨٣، وتاريخ مدينة
دمشق ج ١١ ص ٤٩٠ وج ١٩ ص ٧٧، وعيون الأثر ج ١ ص ١٠٥.

زمل العذري عند يزيد:

وإن مما يؤسف له: ما يقال عما انتهى إليه أمر زمل بن عمرو هذا فإنه قد شهد صفين مع معاوية^(١)، وكان معه - كما زعموا - لواءه الذي عقده له النبي «صلى الله عليه وآله»^(٢)، واستعمله معاوية على شرطته، وكان أحد شهود التحكيم بصفين، وشهد بيعة مروان .. و..

بل ذكروا: أن يزيد بن معاوية أيضاً قد ائتمن زمل بن عمرو على خاتمه^(٣). ولا ننسى القول المعروف: قل لي من تعاشر، أقل لك من أنت، فكيف إذا كان شاهداً، ومبايعاً وناصرأ، وقائد شرطه، مؤتمناً على الخاتم الذي تختم به عهود الخيانة، وكتب الظلم والبغي وما إلى ذلك.

عقد له لواء:

وزعمت الرواية السابقة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عقد لواء

(١) الإصابة ج ١ ص ٥٥١ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ١ ص ٥٨٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٣٢ وجهرة أنساب العرب ص ٤٤٩، وإكمال الكمال ج ١ ص ٧٧، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٧٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٣١٠، والأنساب للسمعاني ج ٢ ص ٣٣١، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ج ١ ص ٣٥٣ و ٤٢٧.

(٢) جهرة أنساب العرب ص ٤٤٩ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٥٨٨ والإصابة ج ١ ص ٥٥١، والأنساب للسمعاني ج ٢ ص ٣٣١، وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٣١٠، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٧٨، وإكمال الكمال لابن ماکول ج ١ ص ٧٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٣٢.

(٣) الإصابة ج ١ ص ٥٥١، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٧٩.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٩٣

لزمّل بن عمرو على قومه.. ولم يذكر لنا المؤرخون إن كان قد وفد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وحده، أو وفد مع قومه بني عذرة.. فإن كان قد وفد مع قومه، فلا إشكال..

لكن يبقى سؤال: لماذا أفردوا وفادته بالذكر دون سائر من كان معه؟! وهو ما لم يفعلوه مع غيره من رؤساء الوفود، وفيهم من ولّاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومهم؟!!

وإن كان قد وفد وحده فلماذا عقد النبي «صلى الله عليه وآله» له لواء، في الوقت الذي كان لا يعقد لواء لأقل من عشرة - كما قدمناه في بعض الفصول السابقة^(١).

إلا أن يقال: إن ما عرف عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه كان لا يعقد لواء لأقل من عشرة، إنما هو لمن يريد تأميره على مجموعة بعينها، وفي مهمة محدودة، أما إذا كان المقصود هو التأمير على بلدة أو على منطقته، أو عشيرة، فلا حاجة إلى حضور تلك العشيرة بعينها.. بل يكفي أن يرسل إليها الوالي المعين مع كتاب التولية، حتى لو كان ذلك الوالي وحده..

علماً بأن تلك العشيرة أو البلد، أو القوم هم أكثر من عشرة، فيتحقق بذلك النصاب. وليس حضورهم في محضر الرسول «صلى الله عليه وآله» ضرورياً..

والذي نظنه قوياً: أن هذا التعظيم والتفخيم لزمّل.. ثم لبني عذرة يدخل في سياق مكافآت زمل على خدماته ومواقفه، وإخلاصه للعرش

(١) راجع: أسد الغابة ج ٢ ص ٢٥٩ ومصادر كثيرة أخرى في بعض الهوامش السابقة.

٩٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
الأموي، ولقتله أبناء الأنبياء كما تقدم..

لا تسألوا الكهان:

ولعل سؤلهم عن أمر الكاهنة قد أريد به الإمتحان والإستكشاف
لأمر النبوة، على أساس أنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» - والعياذ بالله -
كاهناً، فسوف لا يمانع في مراجعتهم لتلك الكاهنة، وإن كان «صلى الله عليه
وآله» نبياً حقاً فسوف يكون حاسماً في المنع من ذلك.
فلما ظهر لهم هذا الأمر الثاني قال متكلمهم: الله أكبر، على سبيل
الإستحسان والظفر بالمطلوب.

هرقل عقدة تحتاج إلى حل:

وقد أظهر بنو عذرة ما يشير إلى أنهم رغم كونهم يعيشون في اليمن،
فإنهم كانوا يعانون من عقدة الخوف من هرقل، الذي كانت تفصلهم عنه
مسافات شاسعة وبلاد واسعة، لمجرد أنهم يسافرون إلى طرف من أطراف
مناطق نفوذ هرقل، وهو الشام..

وهم يرون: أن ملكه من القوة والإمتداد ما يجعله خارجاً عن تقديرات
البشر، فلا محيص عن اللجوء في ذلك إلى الإخبارات الغيبية الإلهية..
ولذلك سألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمره..

ولعل مما هياهم للإنبهار بهرقل والشعور بعظمته، وهول أمره: أنهم
قد شهدوا أو سمعوا بالنصر الكبير الذي سجله على مملكة فارس، تصديقاً
للوعد الإلهي الوارد في سورة الروم: ﴿الْم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَذْنَى الْأَرْضِ

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ٩٥
وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغُلِيُونَ ﴿١١﴾.

ولعل رؤيتهم هزيمة كسرى، ووقوفهم على مدى ما تعانيه مملكة فارس من مشكلات، ومن انقسامات تقطع أوصالها، جعلهم لا يهتمون بمعرفة مصيرها، فإن شواهد لائحة، ودلائله واضحة، ولأجل ذلك اقتصر سؤالهم على هرقل، وأهملوا ذكر كسرى..

السؤال عن الأشخاص:

ويلاحظ هنا: أنهم سألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن مصير هرقل، لا عن مصير مملكة الروم، لأنهم اعتادوا أن يكون الملك للشخص، وأن يردوا كل شيء مسخراً لخدمته، وأغراضه، وتلبية رغباته والاستجابة لشهواته، والإنسياق مع أهوائه؛ فالحكم والحكومة والمال والرجال، والعساكر، والبلاد والعباد، ليس بذئ قيمة، ولا يشعر أحد بوجود أي شيء من ذلك إلا بمقدار ما يؤديه من خدمات في هذا الاتجاه.. ولأجل ذلك لم يسألوا عن مصير مملكة الروم أو مملكة فارس، بل سألوا عن مصير شخص هرقل.

ولكن الإسلام يعلم أتباعه: أن يعتبروا أن الارتباط أولاً وبالذات يكون بالله، ثم بالنهج والدين والحق، وبالرسول والإمام من حيث إنه باب الله الذي منه يؤتى، وأنه نهجه القويم، وصراطه المستقيم، وأنه مصباح هدى، وسفينة نجاة..

وفود بلي:

عن رويفع بن ثابت البلوي قال: قدم وفد من قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع، فأُنزلتهم في منزلي ببني جديلة، ثم خرجت بهم حتى انتهينا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة، فسلمت. فقال: «رويفع».

فقلت: لبيك.

قال: «من هؤلاء القوم»؟

قلت: قومي.

قال: «مرحباً بك وبقومك».

قلت: يا رسول الله، قدموا وافدين عليك مقرّين بالإسلام، وهم على من وراءهم من قومهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من يرد الله به خيراً يهده للإسلام».

قال: فتقدم شيخ الوفد، أبو الضبيب، فقال: «يا رسول الله، إنّنا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أن ما جئت به حق، ونخلع ما كنا نعبد ويعبد آباؤنا».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار».

وقال له أبو الضبيب: يا رسول الله، إني رجل لي رغبة في الضيافة، فهل لي في ذلك أجر؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم، وكل معروف صنعته إلى

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف ٩٧
غني أو فقير فهو صدقة».

قال: يا رسول الله، ما وقت الضيافة؟

قال: «ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك
فيحرجك».

قال: يا رسول الله، أرايت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض.

قال: «لك ولأخيك، أو للذئب».

قال: فالبعير.

قال: «ما لك وله، دعه حتى يجده صاحبه».

[قال رويفع]: وسألوا عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم.

ثم رجعت بهم إلى منزلي، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأتي
بحمل تمر يقول: «استعن بهذا التمر».

قال: فكانوا يأكلون منه ومن غيره.

فأقاموا ثلاثاً، ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يودعونه.

فأمر لهم بجوائز كما كان يجيز من كان قبلهم، ثم رجعوا إلى بلادهم^(١).

تنبيه:

إنه إذا صح أن رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك كان في شهر

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٢ عن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن)
ج ٢ ص ٩٤ وعن ابن شاهين عن ابن إسحاق، والمواهب اللدنية وشرحه
للزرقاني ج ٥ ص ٢١٦ و ٢١٧، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣١٠،
والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٣.

رمضان، فوفد ثقيف لا يمكن أن يكون في شعبان.. ويتأكد صحة أن يكون وفدهم الثاني قد جاء إليه في شهر رمضان. وفي جميع الأحوال نقول:

الوفد الثاني لثقيف:

وجاء وفد ثقيف الثاني - كما يقول بعضهم - في شهر شعبان سنة تسع وكان خروجه من المدينة إلى تبوك يوم الخميس في رجب في تلك السنة^(١).

لكن قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: وقدم في رمضان سنة تسع منصرفه من تبوك وفد ثقيف، وكان من حديثهم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انصرف عنهم أتبعه عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنهم قاتلوك»، وعرف أن فيهم نخوة الإمتناع الذي كان منهم.

فقال عروة: لو وجدوني نائماً ما ايقظوني. أو قال: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم. وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

فخرج يدعوا قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم. فلما أشرف لهم على عُلْيَةٍ له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟

قال: «كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل أن يرتحل

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٢١ عن ابن سعد، ومغلطاي.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفد ثقيف ٩٩
عنكم، فادفنوني معهم». فدفنوه معهم.

فرعّموا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال فيه: «إن مثله في قومه
لَكَمَثَلٍ صاحب يس في قومه»^(١).

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم لما رجع النبي «صلى الله
عليه وآله» من تبوك، وكانت ثقيف قد رأت ممن حولها ما يسوؤها في
الأموال والأنفس، إذ أسلم من حولهم وكانوا يستلبون أموالهم، ويرعون
زروعهم، ولا يؤدون لهم ديونهم، فقرر الذين لم يسلموا منهم أن يسلموا.

فأثمروا بينهم، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب،
وقد بايعوا وأسلموا. وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله «صلى الله عليه
وآله» رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان
سِنَّ عروة بن مسعود، وعرضوا عليه ذلك. فأبى أن يفعل، وخشي أن
يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة.

فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً.

فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥
ص ١٢١ و ١٢٢ وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٠٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤
ص ١٩٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٨ وعن السيرة الحلبية ج ٣
ص ٢٤٣ وعن السيرة لدحلان (بهاشم الحلبية) ج ٣ ص ٨، وعمدة القاري
ج ١٤ ص ٩، والإستيعاب ج ٣ ص ١٠٦٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٦٣،
والوافي بالوفيات ج ١٩ ص ٣٦١، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٦، والسيرة النبوية
لابن كثير ج ٤ ص ٥٤.

فيكونوا ستة، وقيل: غير ذلك^(١).

وكانت ثقيف طائفتين: بنو مالك والأحلاف، وكانوا أهل حرث وتجارة ولهم أموال عظيمة وديون كثيرة على الناس، فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان. ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة.

فخرج بهم عبد ياليل، فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة ألقوا بها المغيرة بن شعبة. فاشتد لبشر بهم النبي «صلى الله عليه وآله»، فلقيه أبو بكر فقال: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أكون أنا أحدثه.

فدخل أبو بكر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره بقدمهم. ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم. وعلمهم كيف يحيون رسول الله «صلى الله عليه وآله». فأبوا إلا تحية الجاهلية.

ولما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضرب لهم قُبَّة في ناحية المسجد، لكي يسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلوا.

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كتب كتابهم بيده. وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٩٥ و ١٩٧ وعن الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٨ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٤ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهاشم الحلبية) ج ٣ ص ٩.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف ١٠١

وكان فيما سألوا أن يدع لهم الطاغية وهي اللات، ولا يهدمها ثلاث سنين، حتى سألوه شهراً، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام. فأبى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمها.

وقد كانوا سألوه أن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه».

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً، أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص بإشارة أبي بكر كما عن ابن إسحاق^(١)، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن^(٢).

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٢٥، وسبل السلام للكحلاني ج ١ ص ١٢٧، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ مقدمة التحقيق ص ٤٢ نقلاً عن الطبري، والبحار ج ٢١ ص ٣٦٤ والنص والاجتهاد للسيد شرف الدين ص ٣٦١، ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٣١ عن اليعقوبي ج ٢ ص ٦٦ وج ١ ص ١٦٩ عن تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٨١، ومسند احمد ج ٤ ص ٢١ و ٢١٦، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٤٣، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٧٤، وسنن أبي داود ج ١ ص ١٣٠، والمستدرك للحاكم ج ١ ص ١٩٩ و ٢٠١، والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٤٢٩ وج ٣ ص ١١٨، وشرح مسلم للنووي ج ٤ ص ١٨٥، وفتح الباري ج ٢ ص ١٦٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٢٤ و ١٢٥، ومسند احمد ج ٤ ص ٢١٨، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ١ ص ٢٧٧.

وروي عنه أنه قال: قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما حللنا بباب النبي «صلى الله عليه وآله» قالوا: من يمسك رواحلنا؟ فكل القوم أحب الدخول على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكره التخلف عنه، وكنت أصغرهم، فقلت: إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم.

قالوا: فذلك لك.

فدخلوا عليه ثم خرجوا، فقالوا: انطلق بنا.

قلت: إلى أين؟

قالوا: إلى أهلك.

فقلت: «ضربت من أهلي حتى إذا حللت بباب رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرجع ولا أدخل عليه؟ وقد أعطيتُموني ما علمتم؟»!.

قالوا: فاعجل، فإننا قد كفيناك المسألة، لم ندع شيئاً إلا سألناه.

فدخلت فقلت: يا رسول الله، ادع الله تعالى أن يفقهني في الدين

ويعلمني.

قال: «ماذا قلت؟»

فأعدت عليه القول.

فقال: «قد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أصحابك، اذهب

فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك».

وفي رواية: فدخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسألته

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١٠٣
مصحفاً كان عنده فأعطانيه^(١).

ونص آخر يقول:

وكانوا يغدون على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كل يوم،
ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم، لأنه أصغرهم. فلما رجعوا عمد
إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسأله عن الدين، واستقرأه القرآن حتى
فقه في الدين وعلم. فأعجب ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأحبه.
فمكث الوفد يمتثلون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يدعوهم إلى
الإسلام، فأسلموا.

فقال كنانة بن عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟
قال: نعم، إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكُم، وإلا فلا قضية ولا
صلح بيني وبينكم.

قالوا: أفرأيت الزنا؟ فإننا قوم نغترب لا بد لنا منه.
قال: وهو عليكم حرام، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ
كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢).

قالوا: أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها؟
قال: لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٧ عن الطبراني، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٧١
وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٤٤، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٧١، والآحاد والمثاني
للضحاك ج ١ ص ٤٠ وج ٣ ص ١٩١، والمعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ٦١.
(٢) الآية ٣٢ من سورة الإسراء.

اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبِّ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾.

قالوا: أفرأيت الخمر فإنه لا بد لنا منها ؟

قال: إن الله تعالى قد حرمها وقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣٠).

فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض، وكلموه ألا يهدم الربة، فأبى، فقال ابن عبد ياليل: إِنَّا لَا نَتَوَلَّى هَدْمَهَا.

فقال: «سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها». وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص كما تقدم لما علم من حرصه على الإسلام. وكان قد تعلم سوراً من القرآن قبل أن يخرج لما سأله أن يؤمر عليهم^(٣١).

هدم الطاغية:

وقالوا أيضاً: لما توجه أبو سفيان والمغيرة إلى الطائف لهدم الطاغية أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بهاله بذى الهرم^(٣٢).

(١) الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٨ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٦، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٤١، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٧ عن زاد المعاد عن ابن إسحاق وغيره والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٢٥، والدرر لابن عبد البر ص ٢٤٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٦٦، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٤٠، والسيرة النبوية لابن هشام =

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١٠٥
فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول، وقام قومه دونه، بنو معتب،
خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة. فلما هدمها المغيرة، وأخذ مالها
وحُلِيَّهَا أرسل أبا سفيان بمجموع ما لها من الذهب والفضة والجزع^(١).

الوفد العائد:

ولما رجع الوفد خرجت ثقيف يتلقونهم، فلما رأوهم ساروا العنق،
وقطروا الإبل قال بعضهم لبعض: ما وفدكم بخير، وقصد الوفد اللات،
ونزلوا عندها.

فقال ناس من ثقيف: إنهم لا عهد لهم برؤيتنا، ثم رحل كل رجل منهم
إلى أهله، فسألوهم: ماذا جئتم به؟

قالوا: أتينا رجلاً عظماً غليظاً، قد ظهر بالسيف، وداخ له العرب، قد
عرض علينا أموراً شداداً: هدم اللات.
فقال ثقيف: والله لا نقبل هذا أبداً.

فقال الوفد: أصلحوا السلاح، وتهيأوا للقتال.

فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في
قلوبهم الرعب، فقالوا: والله، ما لنا به من طاقة، فارجعوا فاعطوه ما سأل.

= ج ٤ ص ٩٦٨، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٧٣، والسيرة النبوية لابن

كثير ج ٤ ص ٦١، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٦٦، والبداية
والنهاية ج ٥ ص ٤٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٦٨، وعيون الأثر
ج ٢ ص ٢٧٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١.

١٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

فلما رأى الوفد أنهم قد رغبوا واختاروا الإيمان قال الوفد: فإننا قاضيناه وشرطنا ما أردنا، ووجدناه ألقى الناس، وأوفاهم، وأرحمهم، وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه، فاقبلوا عافية الله.

فقال ثقيف: فلم كتمتونا هذا الحديث؟

فقالوا: أردنا أن ننزع من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم، ومكثوا أياماً. ثم قدم رسل النبي «صلى الله عليه وآله»، وعمدوا إلى اللات ليهدموها، فهدمها المغيرة حسباً تقدم^(١).

وقال عثمان بن أبي العاص، كما رواه عنه أبو داود: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم.

وقال عثمان: إنما استعملني رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله إن القرآن يتفلت مني، فوضع يده على صدري وقال: «يا شيطان، اخرج من صدر عثمان». فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧، وتاريخ المدينة للنميري ج ٢ ص ٥٠٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٧١، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٤١، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ عن أبي داود، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٢٦ و ١٢٧، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣، والمعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ٤٧، والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ١٣٧، وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٠٨، وإمتاع الأسعاع ج ٤ ص ٣٩٥ ج ١١ ص ٣٢٢ و ٣٢٥.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١٠٧

وعن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال: انطلقت في وفد ثقيف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتيناه فأنخنا بالباب، وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فلما خرجنا بعد دخولنا عليه فخرجنا وما في الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه قال: فقال قائل منا: يا رسول الله، ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟

قال: فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان «عليه السلام»، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذ بها دنياً فأعطيتها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه، فأهلكوا بها، وإن الله عز وجل أعطاني دعوة فاخبتها عند ربي شفاعاً لأمتي يوم القيامة»^(١).

كتاب رسول الله ﷺ لوفد ثقيف:

وعاد وفد ثقيف، وقد حصل على كتاب من رسول «صلى الله عليه وآله» وهو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله «صلى

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٦٥ عن البخاري في تاريخه، والحارث بن أبي أسامة، وابن مندة، والطبراني، والبزار، والبيهقي، ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٤ عن الطبراني والبزار برجال ثقات، والمستدرک للحاكم ج ١ ص ٦٨، ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧١، والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٣٢، والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٠، وإمتاع الأسماع للمقرئ ج ٣ ص ٢٨٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٦٥.

الله عليه وآله» لثقيف:

كتب أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو، وذمة محمد بن عبد الله النبي على ما كتب عليهم في هذه الصحيفة.
أن واديعهم حرام محرم لله كل عضاهه وصيده، وظلم فيه، وسرق فيه، أو إساءة.

وثقيف أحق الناس بوجّ، ولا يعبر طائفهم، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه، وما شاؤوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه وبواديعهم.

لا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يستكروهون بهال الأنفس.
وهم أمة من المسلمين يتولجون من المسلمين حيث ما شاؤوا، وأين تولجوا ولجوا.

وما كان لهم من أسير فهو لهم، هم أحق الناس به حتى يفعلوا به ما شاؤوا.

وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أجله، فإنه لواط (لياط) مبرأ من الله، وما كان من دين في رهن وراء عكاظ، فإنه يقضى إلى عكاظ رأسه.
وما كان لثقيف من دين في صحفهم اليوم الذي أسلموا عليه في الناس فإنه لهم.

وما كان لثقيف من وديعة في الناس أو مال أو نفس غنمها مؤدعها أو أضاعها ألا فإنها مؤداة.

وما كان لثقيف من نفس غائبة أو مال، فإن له من الأمن ما لشاهدهم.
وما كان لهم مال بليّة فإن له من الأمن ما لهم بوجّ.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف ١٠٩

وما كان لثقيف من حليف أو تاجر فأسلم فإن له مثل قضية أمر ثقيف.

وإن طعن طاعن على ثقيف أو ظلمهم ظالم، فإنه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس، وأن الرسول ينصرهم على من ظلمهم والمؤمنون.

ومن كرهوا أن يلج عليهم من الناس فإنه لا يلج عليهم.

وأن السوق والبيع بأفنية البيوت.

وأنه لا يؤمر عليهم إلا بعضهم على بعض، على بني مالك أميرهم، وعلى الأحلاف أميرهم.

وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها.

وما كان لهم من دين في رهن لم يلط، فإن وجد أهلها قضاء قضوا، وإن لم يجدوا قضاء، فإنه إلى جهادى الأولى من عام قابل، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه.

وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم إلا رأسه.

وما كان لهم من أسير باعه ربه فإن له بيعه، وما لم يبع فإن فيه ست قلائص نصفين: حقاق، وبنات لبون، كرام سمان.
ومن كان له بيع اشتراه فإن له بيعه^(١).

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٦ و ٥٧ و ٦٥ و ٦٦ عن المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص ١٩٠ وفي (ط أخرى) ص ٢٧٦ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٣٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٨٤ والخراج لقدامة ورقة ١٢٣، والسهيلي ج ٢ ص ٦٢ و ٣٢٧ والعباب للمصاغاني (خطية) مادة «ليط»، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٥١٠ وعن ص ٣٧٢ وج ١ ص ٢٨٥ وعن ج ٤ ق ١ ص ٦٩ والوثائق ص ٧٢٠ عن ابن شبة، ونشأة الدولة =

كتاب آخر لو قد ثقيف:

وسأل وفد ثقيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يجعل وجّاً حمى لهم، فأجاب طلبهم، وكتب لهم الكتاب التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين: إن عضاه وَّجٍّ وصيده حرام لا يُعَصَّد [ولا يقتل صيده]، فمن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، ومن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي محمداً، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله. وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمد بن عبد الله رسول الله [فلا يتعدّه أحد فيظلم نفسه فيما

= الإسلامية ص ٣١٥. وراجع: فتوح البلدان ص ٦٧ وفي (ط أخرى) ص ٧٥ والإصابة ج ١ ص ١٨٤/٨٣٩ في ترجمة تميم بن جراشة الثقفي، وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص ٣٦٦ وأسد الغابة ج ١ ص ٢١٦ و ج ٣ ص ٣٧٣ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٧٤ عن السهيلي، والثقات لابن حبان ج ٢ ص ١١٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٥٠٧ و ٥١٠ والمصنف لابن أبي شبة ج ٣ ص ١٩٧ وغريب الحديث لأبي عبيد ج ٣ ص ١٩٨ والفائق للزخشي ج ٣ ص ٥٨ و ٢٣٨ والنهاية، ولسان العرب في ليط، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ٨٣ و ٩٩ ورسالات نبوية ص ١٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ص ٨٢٣ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٥٣ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٦٥ و ١٦٦ والعقد الفريد ج ٢ ص ٣٥ ومعجم البلدان ج ٤ ص ١٢ في «الطائف»، والدر المنثور ج ١ ص ٣٦٤ ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ١٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨٤ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٦٧ وراجع: مجمع الزوائد ج ٤ ص ١١٩.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١١١
أمر به محمد رسول الله لثقيف[»].

وشهد على نسخة هذه الصحيفة صحيفة رسول الله التي كتب لثقيف علي بن أبي طالب، وحسن بن علي، وحسين بن علي، وكتب نسختها لمكان الشهادة^(١). واستعمل «صلى الله عليه وآله» سعد بن أبي وقاص على حمى وَجَّ^(٢). وذكر ابن سعد في الطبقات شهادة الحسين «عليهما السلام» على

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٨ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٢ و ٧٣ عن المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص ١٩٣ وفي (ط أخرى) ص ٢٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٨٥ وفي (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٣٣ وعن ج ٤ ق ١ ص ٦٩ وإعلام السائلين ص ٥٠ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٢ عن المواهب اللدنية شرح الزرقاني ج ٤ ص ١٠ ورسالات نبوية ص ٣٠٧/١١٤ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٥٢ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٣ وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٩٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهاشم الحلبية) ج ٣ ص ١١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٣٦ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٣٥ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص ٩٩٧ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٨٧/١٨٢ عن مجموعة المكنبات للديلمي/١٧ وابن هشام، وابن سعد، والواقدي، وابن كثير، والقسطلاني في المواهب، ورسالات نبوية، وزاد المعاد، والأموال لأبي عبيد، وابن زنجويه، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ ثم قال: قابل سنن أبي داود، ووفاء الوفا ص ١٠٣٦ وانظر كابتاني ص ٥٨٩ التعليقة الرابعة واشهربر ص ٧٢ واشهرنكر ج ٣ ص ٤٨٦.

(٢) المغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٣، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ٢ ص ٨٨.

١١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
الكتاب الأول، دون الثاني^(١).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نجملها فيما يلي:

إيضاحات لا بد منها:

وقبل أن نشرع في بيان ما ربما يكون بيانه مفيداً نشير إلى بعض
الإيضاحات لنصوص الكتابين المذكورين آنفاً، فنقول:

ثقيف قبيلة من هوازن، وهم قسمان: الأحلاف، وبنو مالك. وكانوا
يعبدون اللات، ويسمونها الربة.

العضاه: كل شجر ذي شوك، وقد ذكر الكتاب: أنه لا يجوز ظلم
ثقيف في واديه، ولا السرقة، ولا الإساءة.

لا يعضد: لا يقطع.

وَجَّ: بفتح الواو وتشديد الجيم: قال في القاموس: «اسم واد بالطائف، لا
بلد به. وغلط الجوهرى [وهو ما بين جبلي المحترق والأحْيَحْدِين] ومنه آخر
وطأة وطنها الله تعالى يَوَجَّ، يريد غزوة حنين لا الطائف وغلط الجوهرى.

وحنين: واد قبل وَجَّ، أما غزوة الطائف، فلم يكن فيها قتال». انتهى.

قال في النور: قوله لم يكن فيها قتال، فيه نظر، إلا أن يريد توجهه [إلى
موضع العدو وإرهابه]^(٢).

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٠٢ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥
ص ١٢٧ و ١٢٨.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف ١١٣

لا يعبر طائفهم: أي بغير إذنهم، ولا يدخل فيه أحد بغير إذنهم.

لا يحشرون: أي لا تضرب عليهم البعوث، أو لا يحشرون إلى عامل الزكاة، بل يأخذها في أماكنها.

ولا يعشرون: أي لا يؤخذ منهم عشر أموالهم كضريبة كانت معروفة قبل الإسلام، وإنما تؤخذ منهم الصدقة الواجبة.

يلجون: أي يدخلون بلاد المسلمين حيث شاؤوا.

وما كان لهم من أسير: أي أسروه في الجاهلية، فهو لهم حتى يأخذوا فديته، فإن الإسلام أقرّ الناس على ما في أيديهم من مال، وأرض، وعبيد وإماء. وجعل لهم أن يفادوا أسراهم وحدد فداء كل أسير بست قلائص، وليس لهم بيعه بعد هذا العهد، أما ما بيع قبله، فبيعه صحيح.

واللياط: الإلصاق، أي أنهم قد ألصقوا الربا بالبيع ولاطوه به، ولأجل ذلك حكم أنه إذا كان الدين إلى عكاظ، فإنه يقضي برأسه أي برأس المال، ويسقط الربا.

وكانت ثقيف تريد أن يبيع النبي «صلى الله عليه وآله» لها الربا الذي كانت تتعامل به بكثرة، وكانت تملك أموالاً طائلة فتقرض وترهن.

وقد حكم «صلى الله عليه وآله» أيضاً بأن المديون لهم يعطيهم الدين، ولا يعطيهم الربا، فإن الربا قد ألصق بالبيع وبالرهن بغير وجه حق.

لية - بكسر اللام -: وإد لثقيف قرب الطائف.

القلوص: الناقة الشابة.

الحقة: الناقة التي دخلت في الرابعة.

وبنت اللبون: الناقة التي دخلت في الثالثة.

إلغاء سوق عكاظ:

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صرح بأن عليهم البيع بالأفنية. أي في الساحات المتسعة أمام دورهم أو في بلدهم..
 فهل هذا يهدف إلى تشبيطهم عن الإرتحال إلى سوق عكاظ الذي كان يشتمل على المفاسد، لما يكون فيه من هجاء، وافتخار بمآثر الجاهلية، وتشبيب بالنساء، وغير ذلك مما من شأنه أن يترك آثاراً سيئة على العلاقات بين الناس، وعلى أخلاقهم، وعلى حالاتهم الإجتماعية.

شهادة الحسين عليه السلام على كتاب ثقيف:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أشهد الحسين «عليهما السلام» على كتاب ثقيف، وكان عمرهما في سنة تسع خمس و ست سنين، وفي هذا تعظيم لشأنها، وإظهار لفضلها.
 وفيه أيضاً: دلالة على أن الحسين «عليهما السلام» قادران على حفظ حقوق الناس، حتى وهما في هذه السن، لأنها يملكان من الوعي والإدراك والعقل وسداد الرأي، والإتزان وقوة الإلتزام، ما يكفي لذلك، وهذه ميزة لم تكن لغيرهما ممن هو أكبر منهما سناً..
 على أن من الواضح: أن هذه الشهادة قد كانت على أمر يرتبط بمصير جماعة كبيرة من الناس، فإنها لم يشهدا على ملكية شاة أو دار، أو قطعة أرض، بل على ما هو أجل وأخطر من ذلك بكثير..
 مع ملاحظة: أن شهادتهما قد أثبتت إلى جانب شهادة أبيهما في أمر يرتبط بسياسة العباد، وبالتعهدات الملزمة فيما بين إمام المسلمين وبين جماعة

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفد ثقيف ١١٥
من الناس أصرت على مناوأة الإسلام وأهله حقبة من الزمن.
وقد أثبتت شهادتهما مع أبيهما، دون غيرهم من المسلمين، كبيرهم
وصغيرهم، مع أن الجميع كانوا موجودين، أو غير بعيدين..
فما هو السبب في ذلك يا ترى؟! فهل يراد الإلماح إلى أن من يفى بهذا
العهد، ويكون المسؤول عنه هو القائم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»
وهو علي «عليه السلام» ثم الحسن، ثم الحسين صلوات الله وسلامه
عليهما؟!..

ملك سليمان:

وتقدم: أن أحد أعضاء وفد ثقيف قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»
لو سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟!
فضحك «صلى الله عليه وآله» وقال: فلعل لصاحبكم عند الله أفضل
من ملك سليمان الخ..
ومن الواضح: أن هؤلاء الناس يرون أن العظمة والمقام والفضل إنما
يكون بالملك والسلطان في الدنيا.. وأن المثل الأعلى لذلك بنظرهم هو ملك
سليمان..

وقد ضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضحك الإستهانة بهذه
النظرة، ثم أوضح لهم أن الأمر ليس كما يظنون، فإن الملك الحقيقي
والعظيم والجليل، قد لا يكون ظاهراً لهم، وأن من يرويه فاقداً للملك قد
يكون هو الأغنى، والأعظم ملكاً، والأوسع نفوذاً، وسلطاناً، والأقوى
شوكةً، والأجل مقاماً، والأكرم والأفضل، فإن المعيار في الملك والكرامة

هو ما أعده الله تعالى لعباده، فإذا كان الناس لا يدركون بواطن الأمور فلا يحق لهم إصدار الأحكام، وليس لهم أن يقولوا:

هذا واجد، وهذا فاقد.. وعليهم أن يتوقعوا أن يكون الأمر حين تتكشف لهم الأمور على خلاف ما هي عليه في ظاهر الحال..

ثم أخبرهم زيادة على ذلك بأنه «صلى الله عليه وآله» يملك دعوة قد خبأها لأئمة، وأن ما ناله سليمان إنما ناله بدعوة مثلها، أما نبينا «صلى الله عليه وآله» فلعل الله تعالى قد أعطاه بالإضافة إلى تلك الدعوة ملكاً أعظم من ملك سليمان.. وقد أبقي دعوته لأئمة، وبذلك يكون قد بلغ منتهى الفضل، وأقصى غايات الكرامة..

علم عثمان بن أبي العاص:

وقد ذكر في ما تقدم: أن عثمان بن أبي العاص بعد أن رجع الوفد من عند رسول الله عمده إليه «صلى الله عليه وآله» فسأله عن الدين، واستقرأه القرآن حتى فقه وعلم.. فمكث الوفد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى قبلوا الإسلام..

ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد فرغ نفسه لتعليم عثمان بن أبي العاص، وكان من عادته أن يدفع من يريد التفقه في الدين إلى بعض أصحابه ليتولى هو ذلك.

ولو فرض أنه قد أعطاه من وقته، فإن هذه الأيام اليسيرة جداً لم تكن تكفي لأن يفقه عثمان ويعلم..

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف ١١٧

على أن الرواية الأخرى تكاد تكون صريحة في أن الوفد التقى بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فلما حصل على ما أراد، خرج من عنده عازماً على السير، ولم يرضوا إلا بإعطاء فرصة يسيرة جداً لعثمان بن أبي العاص ليلتقي برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمروه بالعجلة، ومعنى هذا هو أنه لم يمكث عند النبي «صلى الله عليه وآله»، لا أياماً ولا ساعات فكيف يفقه ويعلم، بتعليم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.

لا خير في دين لا صلاة فيه:

والصلاة هي الصلة بين العبد وربّه، وهي تمثل فرصة لإظهار العبودية لله، وتبلور الشعور بالوحيته وهيمنته وقاهريته، والحاجة إليه، والإحساس براقبته، وهي تهدف إلى دفع العبد نحو عمل الخير، والإبتعاد عن المنكر، والفحشاء.. فمن أجل ذلك وسواه قال «صلى الله عليه وآله»: «لا خير في دين لا صلاة فيه».

لا مساومة على أحكام الله:

وقد رفض «صلى الله عليه وآله» أن يساوم وفد ثقيف على شيء من أحكام الله تبارك وتعالى، بحيث يصدر هو قراراً بتجوز ارتكاب تلك المحرمات لهم.. لأن ذلك نقض لأحكام الله، وتضييع لشرائعه.

أما حين يبقى حكم الله تعالى ثابتاً، ويريد هذا أو ذاك أن يخالفه، فإن الأمر يصبح أقل سوءاً وخطراً، لأن ذلك العاصي المتعمد يكون قد آذى نفسه بتعريضها لعقوبة الله تبارك وتعالى، وللمفاسد التي تنشأ عن تلك المخالفة.. كما أن المضطر للمخالفة فإنه وإن كان يعرض نفسه للمفسدة في الدنيا، أو

يفوت على نفسه أجراً أو منفعة، لكن اضطارره يسقط عنه عقوبة الآخرة..
ولأجل ذلك نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجبرهم على هدم
صنمهم بأيديهم، ولكنه لم يفرط بالحكم الإلهي القاضي بلزوم هدمه، كما هو
ظاهر لا يخفى..

جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ:

وقد تقدم: أن عثمان بن أبي العاص حين قدم على النبي «صلى الله عليه
وآله» في وفد ثقيف سأل النبي «صلى الله عليه وآله» مصحفاً كان عنده،
فأعطاه إياه..

وهذا يدل على أن القرآن قد جمع في عهد رسول الله «صلى الله عليه
وآله» وجعل مصحفاً يراه ويطلبه هذا الرجل من النبي «صلى الله عليه
وآله»، فيعطيه إياه..

وهذا يكذب ما زعموه: من أن القرآن قد جمع في عهد أبي بكر بشهادة
رجلين، ورجل واحد أحياناً.

ولعل أبا بكر، أو أبا بكر وعمر كانا لا يملكان مصحفاً، ولم يرضيا
بالمصحف الذي جاءهم به علي «عليه السلام»، وكان قد كتب فيه التنزيل
والتأويل، والمحكم، والمتشابه، ومتى نزلت الآيات وفي من نزلت.

نعم.. لم يرضوا بهذا المصحف، لأن ذلك يخرجهم في كثير من الأمور،
وفي الأشخاص والرموز التي يراد إشراكها في القرار، وفي السلطة..

فلم يكن لهم من خيار سوى تكليف زيد بن ثابت بجمع مصحف لهما،
يكون خالياً عن ذلك كله، ففعل، فقيل: إن القرآن قد جمع على عهد أبي بكر..

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١١٩
وقد تكلمنا حول هذا الموضوع بنوع من التفصيل في كتابنا «حقائق
هامة حول القرآن الكريم».

ادعُ الله أن يفقهني، ويعلمني:

وقد طلب عثمان بن أبي العاص من النبي «صلى الله عليه وآله» أن
يفقهه في الدين، ويعلمه.. وهذا يستثير سؤالاً هاماً جداً، يحتاج إلى الإجابة
الصریحة، والواضحة وهو:

إنه لا شك في أن هذا الطلب قد جاء في أواخر حياة رسول الله «صلى
الله عليه وآله»، ولم يستطع عثمان أن يجالس رسول الله «صلى الله عليه وآله»
سوى فترة قصيرة جداً، ثم انصرف إلى عمله في إدارة شؤون قومه..
ولا شك في أن العلم والفقه في الدين يحتاج إلى معلم، ولا يناله عثمان
ولا غيره بالوحي، ولا يراه في المنام، فلماذا لم يرشده «صلى الله عليه وآله» إلى
من يعلمه عقائده وشرائع دينه بعد وفاته؟!
وأليس ذلك يدل على لزوم وجود من يرجع الناس إليه بعد وفاة
رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

عثمان بن أبي العاص يمدح نفسه:

قد تقدم: أن عثمان بن أبي العاص يتحدث عن نفسه بما يشير إلى
خصوصية وفضيلة له.. ونحن لا ننكر أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله»
قد ولّاه على الطائف، غير أننا نقول:
إن تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له لا تعني أنه كان من الأخيار
الأبرار، فقد ولي من لم يكن بذاك..

١٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

ومن جهة أخرى: فقد كان عثمان هذا موضع اهتمام من قبل الحاكمين، فقد استعمله أبو بكر وعمر^(١)، واستعمله عمر على عمان والبحرين^(٢).

المغيرة يقدم أبا سفيان، فيرفض:

وعن محاولة المغيرة تقديم أبي سفيان ليكون هو الذي يواجه ثقيف، حين هدم الطاغية، فلعله أراد أن يخرج أبا سفيان بهذا الأمر، ويخفف من حدة نظرة قومه إليه، بإظهاره أنه جاء تابعاً لأبي سفيان، ولكن أبا سفيان قد تلافى هذا الموقف بأن ترك المغيرة يدخل وحده على قومه، ويذهب هو إلى موضع له، وينزل فيه.

وهذا يدل على أن أبا سفيان والمغيرة كانا بعيدين عن دائرة الإيثار الصافي والصادق.. كما هو ظاهر لا يخفى.

توضيحات عن وفد ثقيف:

قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فتح الطائف، وأسقط مقاومة ثقيف، ولعل الذين أسلموا منهم كانوا ثلة قليلة لعلها لم تستطع

(١) راجع: مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٩٥ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٨٤ و ٤٢١ والإصابة ج ٢ ص ٤٦٠ والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٣ ص ٩١ واسد الغابة ج ٣ ص ٣٧٣ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٦٣ و ٩٦٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٩٩ و ٥٩٧، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٧٤، والإصابة ج ٤ ص ٣٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٧٠.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٧٤، والإصابة ج ٤ ص ٣٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٧٠.

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١٢١
الصمود أمام الكثرة التي اختارت طريق الغي، أو أنها قد عادت إليه بعد أن
كانت قد تظاهرت بالتخلي عنه.

ويبدو أن عروة بن مسعود قد ظن أنه قادر على التأثير عليهم، لمكانته
فيهم، فأخبره «صلى الله عليه وآله» بأن الأمر لم يكن على ما يظن، فلما أصر
عليه لم يشأ أن يجرمه من شرف الجهاد والشهادة. وربما يكون لشهادته
بعض الأثر في عودة رشدهم إليهم، وتنبههم إلى الأخطار الجسام التي
تنتظرهم لو أصرروا على اللجاج والعناد والجحود، بعد أن رأوا أنهم قد
أصبحوا حالة شاذة في محيطهم، وأن لا مناص لهم من مسابقة هذا الجوبيا
يحفظ لهم حياة طيبة وهادئة.

فأرسل الثقيفيون الذين كانوا قد أبطأوا في الإستجابة لنداء الحق، أو
كانوا قد نكثوا عهدهم، وعادوا إلى البغي والشرك والجحود - أرسلوا -
وفدهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» برئاسة عبد ياليل بن عمرو..

وقد لاحظنا: أن عبد ياليل لم يرض بالذهاب وحده، بل اشترط أن
يكون معه أناس آخرون من جميع طوائف لا يتمكن أحد من ثقيف أن يقدم
على عمل يثير حفيظتها، ويجعلها في موقع المعادى والمحارب، فطلب أن
يشاركه في الوفد اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك.

لكي يسمعهم القرآن ويريههم الصلاة:

وعن جعلهم في المسجد بحيث يرون صلاة المسلمين، ويسمعون القرآن،
نقول:

إننا لا نريد أن نسهب في تفصيل دلالات، وغايات هذا الإجراء، بل

نقتصر على الإشارة إلى أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أراد أن يستثير فيهم حب المعرفة، وتلمس المعاني، والدلالات القرآنية والصلواتية، بأنفسهم، بعيداً عن مظاهر الحجاج والإحتجاج، وعن الشعور بأن ثمة سعيًا لمحاصرتهم، والهيمنة على طريقة تفكيرهم أو التأثير على قراراتهم، فتتحرك فيهم نوازع الممانعة، والسعي نحو التفلت والخروج من دائرة الحصار، وتحقيق ما يشبه الانتصار..

إنه «صلى الله عليه وآله» يريد لهم ان يرجعوا إلى فطرتهم، وإلى ما يرضاه لهم وجدانهم وضميرهم، فيتدبروا هذا القرآن، ويفكروا في معاني الحركات والأقوال، والمظاهر الصلواتية ودلالاتها بعفوية وهدوء وصفاء.

استنثار أبي بكر بالبشارة:

وقد أقسم أبو بكر على المغيرة بن شعبه، الذي كان يشتد لتبشير رسول الله «صلى الله عليه وآله» بوفد ثقيف، أن لا يسبقه بالبشارة، حتى يكون أبو بكر هو الذي يبشره..

ولا ندري لماذا يحرص أبو بكر على إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر؟! ألا يعد ذلك شاهداً أو دليلاً على أن حبه لنفسه قد تجاوز الحد حتى جعله يستأثر على الآخرين حتى بمثل هذا الأمر العادي جداً والبسيط؟! ولماذا يحرم غيره حتى من إبلاغ خبر سار لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ويصدّه عنه بالقسم، ولا يترك له حرية السعي إلى ما يريد؟! فإن كان له هو رغبة في شيء من ذلك فليبذل جهده أيضاً، فأيهما سبق فقد حصل على مبتغاه، ويبقى للآخر ثواب سعيه، إلا أن يكون المقصود هو: لفت

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف ١٢٣
النظر، وإعلام الناس بأنه قد أدى خدمة، وقام بعمل وهو الذي لم يُعهد منه
القيام بشيء ذي بال!!

ويا ليت هذا الحرص على الأجر والثواب لدى أبي بكر يتجلى لنا في
ساحات الجهاد، ومقارعة الأبطال!! التي يغيب عنها غيبة من يكاد يُحسبُ
في عداد الأموات..

أسكنهم في ناحية المسجد:

وعن ضرب القبة للوفد في ناحية المسجد نقول:

إن ذلك لا يعني أنه «صلى الله عليه وآله» قد أسكنهم في داخل
مسجده، الذي تكون صلاة المسلمين فيه، ليقال: إنه قد أدخل المشركين إلى
المسجد، بل أسكنهم في ناحية منه، فلعلها دار المسجد، أو بعض الملحقات
به، ولعلها موضع الصفة المعروف أو نحو ذلك، فليس في هذا النص دلالة
على جواز دخول المشركين للمساجد..

يسينون الظن برسول الله ﷺ:

وعن أنهم كانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله «صلى الله
عليه وآله» حتى يأكل منه خالد نقول:

إن الإنسان الغادر يظن أن غيره غادر مثله، ولذلك لم يقتنع هؤلاء بأن
لمحمد «صلى الله عليه وآله» طريقة وخلقاً يختلف عما عرفوه وألفوه، رغم
أنهم قد عاينوا أو سمعوا طيلة عشرات السنين الكثير الكثير من المفردات
التي تدل على هذه المباينة فيما بينه وبينهم.. والمضحك المبكي أن هؤلاء
الغدرة أنفسهم يدّعون للناس أنهم أوفياء، كما يدّعي الجبناء أنهم شجعان،

والبخلاء أنهم أسخياء.

تأجيل هدم الطاغية:

ومن السخف الظاهر، والتفاهة الفاضحة أن يطلب وفد ثقيف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدع لهم «اللات» ولا يهدمها ثلاث سنين، فلم يقبل منهم، حتى طلبوا منه شهراً، فأبى عليهم أن يدعها لهم شيئاً مسمى..

فإنه إذا كان لا بد من هدمها، بعد ثلاث سنوات، أو أقل أو أكثر، فذلك يعني أنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن أن يكون لها أي تأثير بالنسبة لغيرها، فهي إذن فاقدة لما تستحق به العبادة ولو لحظة واحدة. فما معنى أن يتعلقوا بها إلى هذا الحد.. وما الفرق بين اللحظة وبين الألف عام؟! ومن جهة أخرى: فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يرضى بإبقائها إلا إذا رضي بأن تعبد ولو لحظة واحدة، فإذا كانت أهلاً للعبادة في تلك المدة أو اللحظة، فلا يصح هدمها بعد ذلك أيضاً، لأن حالها لم تختلف، وأهليتها لا تزال محفوظة، فإن منعت من هدمها وجوزت عبادتها لحظة، فهي تمنع من ذلك، وتجاوز عبادتها في اللحظة التي بعدها وهكذا إلى ما لا نهاية.

وقد زعموا: أن هدفهم من تأخير هدم اللات هو: أن لا يستثار سفهاؤهم، ونسأؤهم وذرياتهم، ولا يروعوا قومهم بهدمها، حتى يدخلوا الإسلام.

غير أن من البديهي: أن إبقاء رمز الكفر من شأنه أن يبقي الارتباط القلبي قائماً بين أولئك الضعفاء والسفهاء، ويبين ذلك الرمز.. ويتبلور نتيجة لذلك شعور بإمكان التعايش والإنسجام والمصالحة بين حالتي

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفد ثقيف ١٢٥
الشرك والتوحيد، والظلمة والنور، والحق والباطل، وسيزيد ذلك من
صعوبة اقتلاع آثار الشرك وطرد الباطل من العقول والنفوس.

وذلك من شأنه أن يفسد الفطرة، ويربك ويبطئ حركة العقل، ويعمي
على كثير من الناس سبيل الهداية. فلأجل هذا وذاك أصر «صلى الله عليه
 وآله» على هدم الأصنام وأن لا يبقوها ولو لحظة واحدة.

لا يكسرون أصنامهم بأيديهم:

ثم إنهم قد طلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يعفيهم من كسر
أصنامهم بأيديهم، لا لأجل أن ذلك يمثل إذلالاً لهم، وإنما لأنهم كانوا
يخشون أن يصيبهم بسبب ذلك بعض المصائب..

وقد كان إعفاؤهم من ذلك هو القرار الحكيم والصائب، إذ لو أصر
عليهم بمباشرة هدمها، فإن أي شيء يعرض لهم بعد ذلك ولو كان صداعاً
في الرأس أو شوكة تصيب رجل أحدهم سوف يعتبرونه من آثار هدمها،
وبالتالي فإن ذلك سوف يكرس مكانتها في نفوسهم، وسيعكر ذلك صفاء
توحيدهم، ويخدش في صحة إيمانهم..

نظرة في كتاب ثقيف:

وبعد.. إننا إذا ألقينا نظرة فاحصة على مضمون الكتاب الذي كتبه لهم
فسنجد: أنه قد أطل في التفاصيل ولكنه لم يزد على أمور معلومة الحكم، ظاهرة
لكل أحد، ولا مجال فيها للمناقشة، ولا سبيل للأخذ والرد فيها من أي كان.
أي أنه لم يزد على المسلمات الشرعية، والبدييات العقلية، والأمر الوجدانية
شيئاً، فهو ينص على منعهم من الظلم والسرقة والإساءة، ويحرم عليهم الربا،

ويوجب على المسلمين نصرهم إذا تعرضوا لأي ظلم وحيف من أحد.

ويوجب على الناس الاستئذان منهم إذا أرادوا أن يدخلوا عليهم، أو أن يعبروا من بلادهم، وأنهم لهم الحرية في أن يتصرفوا فيما يملكونه كيف يشاؤون، وليس لأحد أن يفرض عليهم ضريبة كضريبة الجاهلية، ولا أن يفرض عليهم الإجتماع في مكان بعينه لأداء صدقاتهم.

وأنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم أينما كانت، وأن حلفاءهم إذا أسلموا فإن لهم ما لمسلمي ثقيف، وكذلك الحال بالنسبة لمن يسلم من تجار ثقيف نفسها.

وذكر: أن الأعناب التي لقريش إذا سقاها أهل الطائف فلهم شطرها، إلى آخر ما هنالك من أحكام ذكرت في الكتاب..

والسؤال هو: لماذا يصرح بكل ما ذكرناه وسواه مما هو من البدييات العقلية، والشرعية، والوجدانية؟

قد يكون السبب في ذلك هو شعوره بأنه لا يكفي أن يكلهم إلى إيمانهم، ووجدانهم، وإلى حكم عقلهم، وقضاء فطرتهم؟! بل يحتاجون زيادة على ذلك إلى أخذ العهود والمواثيق الصريحة والواضحة.

ولعله حين رأى حرصهم على الربا وقد فاوضوه فيه، ثم خلوا بأنفسهم. ثم تظاهروا بقبول ذلك منه لم يثق بصحة نواياهم، فكان أن شدد عليهم فيه، وسجله في هذه الوثيقة، لكي يبطل تدبيرهم، إن كانوا قد اتفقوا فيما بينهم على التظاهر بالموافقة، ثم العمل بما يحلو لهم.. فيكون هذا الكتاب قد قطع الطريق عليهم، وأحرجهم، وألجأهم إلى التزام طريق الحق، وأخذهم بعهد صريح لن يسهل عليهم نقضه، لأنه يجعل له السبيل عليهم.

الفصل السادس:

وفود السنة العاشرة والحادية عشرة

1000

1000

1000

1000

1000

1000

وفود بني تغلب:

عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى، عليهم صُلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث. فصالح رسول الله «صلى الله عليه وآله» النصارى على أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم^(١).

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أمراً هاماً جداً، نشير إليه فيما يلي:

إستغلال سذاجة الآخرين ممنوع:

إن هذا الذي اشترطه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على نصارى بني تغلب، وهو: أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، يشير إلى أمرين:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٧ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣١٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٧٨، وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٨.

١٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

الأول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عامل نصارى تغلب بالرفق والعفو، حين رضي منهم أن يقرهم على دينهم، مع أن له كل الحق في معاملتهم بالشدة والعنف، ما دام أنه قد قهرهم بالحجة، فلجوا في طغيانهم، وأصرروا على باطلهم وأقاموا على الجحود على ما أصبح واضحاً أنهم يعلمون بطلانه وبواره.

الثاني: إنه «صلى الله عليه وآله» أثر أن يرفق بهم، ليحفظ حق أبنائهم في الاختيار، وليضمن لهم حرية الفكر والاعتقاد، ثم حرية الموقف والممارسة.. فطلب منهم: أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية.

الثالث: إن هذا الإشتراط يعطينا: أنه ليس من حق أحد أن يستغل سذاجة أي إنسان، حتى لو كان ولده، ليفرض عليه عقيدته، وما يدين به، بل عليه أن يفسح له المجال، ليصل إلى قناعاته الدينية واعتقاداته عن طريق الدليل والبرهان.. ولا يجوز له أن يهيمن على فكره وعقله وقلبه من خلال أجواء يثيرها، أو إيماءات يمارسها، ما دام أن الطرف الآخر غير قادر على التمييز بين الحق والباطل، أو كان ذلك مما يصرفه عن التفكير في هذا وذاك..

الرابع: إن هذا المبدأ لا يختص بصورة ما لو كان الطرف الآخر لا يدين بالإسلام، بل هو مما يفرضه الإسلام حتى على المسلمين أنفسهم، إمعاناً منه في إنصافهم، وفي إجراء سنة العدل فيهم، ففرض على كل مسلم أن يحصّل قناعاته عن طريق الحجة والدليل، ولا سيما فيما يختص بالتوحيد والنبوة، وبعض المعتقدات الأخرى.. حيث لم يرض منه بتقليد الناس جهابذة العلم، وأساطين الفكر، فإنه لا يرضى بأن يقلد أحد أحداً من غير العلماء

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٣١
حتى تقليد الأبناء لأبائهم أو لغيرهم كما هو واضح.

وفود الرهاويين:

عن قتادة الرهاوي قال: «لما عقد لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومي، أخذت بيده فودعته، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «جعل الله التقوى زادك، وغفر لك ذنبك، ووجَّهك للخير حيثما تكون»^(١).

وروى ابن سعد عن زيد بن طلحة التيمي قال: قدم خمسة عشر رجلاً من الرهاويين، وهم حي من مَذْحِج، على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة عشر، فنزلوا دار رملة بنت الحدث، فأتاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وألهمهم، فتحدث عندهم طويلاً، وأهدوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هدايا، منها فرس يقال له: المِرواح، فأمر فَسُورَ بين يديه، فأعجبه. فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض، وأجازهم كما يجيز الوافد: أرفعهم اثني عشرة أوقية ونشأ، وأخفضهم خمس أواق، ثم رجعوا إلى بلادهم.

ثم قدم منهم نفر، فحجوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة، وأقاموا حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأوصى لهم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣٩ عن الطبراني برجال ثقات وقال في هامشه: أخرجه الطبراني في الكبير ج ١٩ ص ١٥ والبخاري في التاريخ ج ٧ ص ١٨٥ وذكره الهيثمي في المجمع ج ١٠ ص ١٣١ والسيوطي في الدرج ١ ص ٢٢١، وكتاب الدعاء للطبراني ص ٢٥٩، وطبقات خليفة للعصمري ص ١٣٧، والتاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ١٨٥، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٤ وج ٥ ص ٦٥، والإصابة ج ٥ ص ٣١٩.

بِعَادَ مائة بخير في الكتبية جارية عليهم، وكتب لهم كتاباً، فباعوا ذلك في زمن معاوية^(١).

ونقول:

إننا حين نلاحظ مفردات الدعاء الذي دعا به رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقتادة الرهاوي، فسنرى: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يدعُ له بأمر دنيوي بصورة مباشرة، لكن ما دعا به من شأنه أن يمنحه أعلى درجات السعادة في الدنيا، بالرغم من أنه دعاء يخص الآخرة.. فإن من كانت التقوى زاده، وغفر الله تعالى له ذنبه، ووجهه للخير حيثما يكون، لا يمكن إلا أن يكون سعيداً مفلحاً منجّحاً في دنياه كما يكون كذلك في آخرته..

إجازات النبي ﷺ للوفود:

وقد قرأنا في مواضع كثيرة ما يدلنا على أنه كان من عادة النبي «صلى الله عليه وآله» أن يميز الوفود، وأن إجازته لهم كانت تتراوح ما بين خمس أواق إلى اثنتي عشرة أوقية ونشأً من الفضة..

ولا يمكن اعتبار هذا التفاوت تكريساً لزعامات جاهلية، كان من الضروري محاربتها وإسقاطها. بل إن هذا التفاوت اعتراف بواقع

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٧ ورسالات نبوية ص ٣٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٧٦ و (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٤٤ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٩٤ و ٢٣٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٧ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ١٩٤.

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٣٣

موضوعي قائم يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يحفظه، ليحفظ به حياة الناس ووجودهم، وأمنهم. وهو سعي إلى استصلاح تلك الزعامات، وإعطائها الفرصة لتغيير أوضاعها بما ينسجم مع الواقع الجديد، وبما يخدم الأهداف العليا البعيدة المدى، إذ إن إسقاط تلك الزعامات دفعة واحدة لن ينتج إلا هرجاً ومرجاً، ودفع أولئك المتنفذين إلى العبث بأمن الناس، وبراحتهم، وربما السعي إلى تضليلهم، وإخراجهم من دائرة الإيمان..

مع العلم بأن الذين يمكن أن يأخذوا مكانهم في حفظ الشأن العام لا يملكون تجربة تمكنهم من إنجاز هذا المهم على النحو الأكمل حتى في الظروف العادية، فكيف إذا كان هذا الإجراء سوف يستتبع وجود مشكلات ووضع عراقيل من قبل أناس يملكون التجربة الطويلة، ولديهم خبرة عميقة بأحوال الناس الذين يتعاملون معهم، ويريدون إثارة النزاعات فيما بينهم..

على أن هؤلاء الناس كانوا لا يملكون من الإمكانيات الروحية ما يميزهم عن الزعامات التي يراد إبعادها واستبدالها بهم.. بل الجميع كانوا يشربون من نفس المستنقعات، ويعيشون في محيط واحد، ويرفعون نفس الشعارات، ويمارسون ما كان يمارسه أولئك من سنن وعادات، ويشاركونهم في انحرافاتهم، وفي جرائمهم، وتعدياتهم..

على أن هذا الإجراء، بالإضافة إلى أنه سوف يثير الطموح لدى الآخرين ممن يرون أنفسهم من أقران هؤلاء، فإنه لا يحمل معه أية ضمانات لانقياد سائر الناس لهم، ما دام أن الناس لم يخرجوا بعد بصورة تامة من أجواء الجاهلية، ولا تخلصوا من وطأة مفاهيمها، وأعرافها، بصورة تضمن

سير الأمور بطريقة عفوية وطبيعية، خصوصاً إذا ترافق ذلك بتحريض ظاهر، أو مبطن من قبل من يرون أنفسهم قد تضرروا، أو الذين حرموا مما يرون أن العدل يقضي بمشاركتهم فيه..

أضف إلى ذلك كله: أنه إذا ظهر للناس في المنطقة بأسرها أن السياسة المتبعة هي إسقاط الزعامات واستبدالها بأخرى.. فإنه سيصبح من الصعوبة بمكان إتخاذ قرار بالدخول في هذا الدين، خصوصاً مع سعي تلك الزعامات إلى إبعاد الناس عن كل ما من شأنه أن يززع أركان قيادتهم وزعامتهم، وسوف تثور العصبيات، وتنطلق المشاحنات، ولربما يصبح دخول القبائل في الإسلام أمتع من العقاب، ومن أصعب الصعاب، حيث تنحصر الوسيلة إليه باستعمال السيف ولا شيء غيره.. ولن يكون من السهل أن تقبل القلوب عليه، وأن تشوق الأرواح إليه، وهذا يتنافى مع المبدأ الذي قرره الإسلام من أنه: لا إكراه في الدين، وهو نقض للغرض بلا مبرر ظاهر..

وبذلك يتضح: أن إجازات النبي «صلى الله عليه وآله» للوفود، وتفضيل أهل الشأن بالجائزة، وحفظ شأن أصحاب الشأن الرفيع، يطمئن الناس إلى أن الإسلام لم يأت لهدم عز أحد، إذا التزم السير في خط الله تبارك وتعالى، بل جاء ليزيدهم عزة، ويمنحهم كرامة، ويدفع بهم على الخروج من واقعهم، والشروع في السير على طريق السؤدد والكرامة، والكمال، ونيل المقامات السامية، وفق الهدى الإلهي، والرعاية الربانية. فالإسلام لله يجعل الجميع في ربح دائم، وفي تكامل وتقدم مستمر..

وعن التفضيل بالجائزة نقول:

إنه تفضيل دعت إليه الحاجة والمسؤولية التي لا بد لذلك الزعيم، أو الرئيس أن يضطلع بها، وليس تفضيلاً أهوائياً فرضته العناوين والأسماء.. واللافت هنا: أننا لم نجد أحداً تضر من هذا الأمر، أو اعترض عليه، إلا من شاذ قصر فهمه عن إدراك وجه الحكمة فيه، وزينه له شيطان الهوى أو دعاه إليه مرض القلب، الذي أوقعه في وهاد العمى..

وفد غامد:

وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد غامد سنة عشر، وهم عشرة، فنزلوا ببيع الغرقد، وهو يومئذ أثل وطرفاء، ثم انطلقوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سناً. فنام عنه، وأتى سارق فسرقة عيبة لأحدهم فيها أثواب له. وانتهى القوم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه، وأقروا له بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وقال لهم: «من خلفتم في رحالكم؟» قالوا: أحدثنا سناً يا رسول الله.

قال: «فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت أخذ عيبة أحدكم». فقال رجل من القوم: يا رسول الله، ما لأحد من القوم عيبة غيري. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فقد أخذت وردت إلى موضعها».

فخرج القوم سراعاً حتى أتوا رواحلهم، فوجدوا صاحبهم، فسألوه عما أخبرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

١٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

قال: فزعت من نومي ففقدت العيبة، فقممت في طلبها، فإذا رجل قد كان قاعداً، فلما رأي صار يعدو مني، فانتهيت إلى حيث انتهى فإذا أثر حفر، وإذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها.

فقالوا: نشهد أنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه قد أخبرنا بأخذها وأنها قد ردت.

فرجعوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبروه، وجاء الغلام الذي خلفوه، فأسلم، وأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أبي بن كعب، فعلمهم قرآنًا، وأجازهم «صلى الله عليه وآله» كما كان يميز الوفود وانصرفوا^(١).

ونقول:

إننا لا نرى أننا بحاجة إلى التعليق على هذا النص، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد قدم هؤلاء القوم الدليل القاطع على نبوته..

غير أننا نشير إلى ما يلي:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» أراد بمبادأتهم بهذا الخبر أن يسهل عليهم تحصيل اليقين، مراعاة منه لحالهم..

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف منهم بإظهار الإسلام، لأنه يريد لهم الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. ولو أنه كان يريد منهم ذلك وحسب، لأكتفى بإظهارهم الإسلام، ولم يخبرهم بشيء مما جرى، لأن مطلوبه يكون قد حصل، وانتهى الأمر..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٩٠ عن زاد المعاد، عن الواقدي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢٢٥ و ٢٢٦، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣١٩.

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٣٧

٣- إن هذا يدلنا على: أن هؤلاء الناس كانوا من الناحية الثقافية والفكرية في مستويات متدنية، حيث لم يعتبروا بكل ما شاع وذاع عنه مما لا يمكن من الناحية الثقافية والفكرية إلا أن يكون بتسديد إلهي، ومدد رباني..

كما أن كل ما بيَّنه من حقائق، وأدلة على بطلان الشرك، وصحة التوحيد، لم ينفع في تكوين اليقين لديهم، فضلاً عن عدم خضوعهم لمعجزة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

كما أن فطرتهم وعقولهم لم تستطع أن تجد لها دوراً في تكوين نظرهم إلى الأمور، وتقييمهم لها.. لأنها كانت محكومة بالأهواء، مقصاة عن دائرة القرار. فكان لابد من تحريك ضمائرهم ووجدانهم من خلال ملامسة واقعهم الذي يعينهم أكثر من أي شيء آخر. وأي شيء لديهم يكون أهم من أموالهم، وحفظها، فجاءهم الخطاب من هذا الطريق فأثر فيهم، ورسخ يقينهم.

وفود كندة:

عن الزهري قال: قدم الأشعث بن قيس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ثمانين، أو ستين، أو اثني عشر راكباً من كندة، فدخلوا عليه مسجده، قد رجلوا جملهم، واكتحلوا، ولبسوا جباب الحبرات، مكثفة بالحرير.

فلما دخلوا قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أولم تسلموا»؟

قالوا: بلى.

قال: «فما هذا الحرير في أعناقكم»؟

فشقوه ونزعوه وألقوه^(١).

وكان ذلك في سنة عشر، وكندة قبيلة من اليمن^(٢).

وفي نص آخر: إنهم لما دخلوا عليه قالوا: أبيت اللعن، وكانت تحيتهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لست ملكاً، أنا محمد بن عبد الله.

قالوا: لا نسميك باسمك.

قال: لكن الله سماني، وأنا أبو القاسم.

فقالوا: يا أبا القاسم، إنا قد خبأنا لك خبيثاً فما هو؟ إذ كانوا خبأوا

لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عين جراداة في ظرف سمن.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سبحان الله، إنما يفعل هذا

بالكاهن، وإن الكاهن، والكهانة والتكهن في النار.

فقالوا: يا رسول الله، كيف نعلم أنك رسول الله.

فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» كفاً من حصي، فقال: هذا يشهد

أني رسول الله.

فسبح الحصى في يده، فقالوا: نشهد أنك رسول الله.

فقال: إن الله بعثني بالحق، وأنزل عليّ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠٢ و ٢٧٦ عن زاد المعاد، عن ابن إسحاق،

والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦١ و ١٦٢ وعن البداية والنهاية

ج ٥ ص ٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٢٨، والسيرة النبوية لابن

كثير ج ٤ ص ١٤٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٩، والسيرة النبوية

لابن هشام ج ٤ ص ١٠٠٦، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٩٣.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦٠، والإصابة ج ١ ص ٥٩٧.

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٣٩

ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أثقل في الميزان من الجبل العظيم، وفي الليلة الظلماء مثل نور الشهاب.

قالوا: فأسمعنا منه.

فتلا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾. حتى بلغ ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾^(١)، ثم سكت وسكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسكن روعه، فما يتحرك منه شيء، ودموعه تجري على لحيته.

فقالوا: إنا نراك تبكي، أفمن مخافة من أرسلك تبكي؟!

قال: إن خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم، في مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت، ثم تلا: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾^(٢).

ويتابع نص آخر فيقول:

إن الأشعث بن قيس قال: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم قال: «ناسب بهذا النسب ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب».

(قال الزهري وابن إسحاق: كانا تاجرين، وكانا إذا سارا في أرض

(١) الآيات ١ - ٥ من سورة الصافات.

(٢) الآية ٨٦ من سورة الإسراء.

(٣) راجع: الدر المنثور ج ٤ ص ٢٠١ وج ٥ ص ٢٧١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٠ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦١، وإمتاع الأسماع ج ٤ ص ٣٥٦، وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٧٢.

العرب فستلّا: من أنتما؟

قالا: نحن بنو آكل المرار، يتعززان بذلك في العرب، ويدفعان به عن نفسيهما، لأن بني آكل المرار من كندة كانوا ملوكاً).

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا، ولا نتنفي من أبينا»^(١).

-
- (١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٦ و ٤٠٢، وراجع: الشرح الكبير لابن قدامة ج ٧ ص ١٠، ومسند أحمد ج ٥ ص ٢١١، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٧١، ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٥ و ج ٨ ص ٢١٨، وعمدة القاري ج ١٦ ص ٧٣، والآحاد والمثاني ج ٢ ص ١٦٥ و ج ٤ ص ٣٨٢، والمعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ٨١ و ٢٣٦، والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٢٨٦، والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٤٢، والإستيعاب ج ١ ص ١٣٣ و ٢٧٧، والدرر ص ٢٥٧، وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٦٩ و ٤٤٢، وجامع البيان للطبري ج ١٥ ص ١١٠، وتفسير الثعلبي ج ٦ ص ٩٩ و ج ١٠ ص ٣٠١، وتفسير السمعاني ج ٣ ص ٢٤١، والمححر الوجيز- في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٣ ص ٤٥٥، وتفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٠٦، وتفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٥٨ و ج ٢٠ ص ٢٠٢، وتفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٣٢، وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ٤٧٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٣، والتاريخ الكبير للبخاري ج ٧ ص ٢٧٤، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٣١، وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٤ ص ٢١٨، وأسد الغابة ج ١ ص ٩٨ و ٢٨٣ و ٢٩٠، والإصابة ج ١ ص ٥٩٨، والأنساب للسمعاني ج ١ ص ٢٧، وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٤٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٩٤، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٩٨، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٣ و ٢٥٤، و ج ٥ ص ٨٦، وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٦، وإمتاع =

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٤١

وعن الأشعث بن قيس قال: قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد كندة، ولا يرون إلا أي أفضلهم، قلت: يا رسول الله، أستم منا؟ قال: «لا، نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا، ولا نتفي من أبينا». فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلده الحد^(١).

وعن الأشعث أيضاً قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد كندة، فقال لي النبي «صلى الله عليه وآله»: «هل لك من ولد؟» قلت: غلام ولد مخرجي إليك من ابنة فلان، ولوددت أن يشبع القوم. فقال: «لا تقولن ذا، فإن فيهم قرعة عين، وأجرأ إذا قبضوا». ثم قال: «إنهم لمجبنة مبخلة»^(٢).

وعن الأشعث قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لي: «ما فعلت بنت عمك؟»

= الأسعاج ج ٢ ص ٩٩، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٩٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٨٦ وج ٤ ص ١٤١.

- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠٢ و ٤٠٣ عن مسند أحمد، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦٢ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٧٢، ومسند أحمد ج ٥ ص ٢١١، وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٧١، وإرواء الغليل للألباني ج ٨ ص ٣٥، والتاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ٣٧، وإمتاع الأسعاج ج ٣ ص ٢١٠.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠٢ و ٤٠٣ عن أحمد، وابن ماجه، والحاثر، والبارودي، وابن سعد، والطبراني في الكبير، وأبي نعيم، والضياء، وراجع: مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٥٨ عن أحمد، والطبراني.

قلت: نفست بغلام والله لوددت أن لي سبية.

فقال: «إنهم لمجنبة مبخلة، وإنهم لقرة العين، وثمره الفؤاد»^(١).

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المار من قبل أمه، وآكل المار: الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي، ويقال: كندة. وإنما سمي: آكل المار، لأن عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم. فأكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المار^(٢).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم بعض البيانات والتوضيحات، هي التالية:

عدد أعضاء الوفد:

تقدم: أن وفد كندة كان يتألف من ستين أو ثمانين أو اثني عشر ركباً.. وهذا تناقض لا مجال لقبوله، إلا إذا فرض أنهم وفدوا أكثر من مرة، وقد شارك الأشعث بن قيس في هذا الوفد وذاك..

الرسول ﷺ لا يرضى بلبس الحرير:

وقد قرأنا أيضاً: أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لم يرض منهم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠٣ عن العسكري، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣

ص ٢٦١، وكشف الخفاء للمجلوني ج ٢ ص ٣٣٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٦ و ٤٠٣، وراجع: السيرة النبوية لابن هشام

الحميري ج ٤ ص ١٠٠٦، وخزانة الأدب للبغداد ج ٨ ص ٢٨٥.

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٤٣

لبس الحرير، وقد شقوه، ونزعوه، وألقوه من أعناقهم.. ولم يعترض على لبس الثياب الخبرات، وترجيل الجسم، والإكتحال، لأن الإسلام يدعوهم إلى ذلك، وإلى كل تجمل يليق بشأنهم، بشرط أن لا يتجاوز حدود الشرع.. غير أن ما لفت نظرنا هو: وصف الرواة لحال هؤلاء، وكأن ذلك يوحي بأن هذه الحالة كانت استثنائية، وغير مألوفة في المجتمع العربي، فهي تلفت النظر، وتثير الفضول. وربما تكون ندرتها فيهم بسبب رقة حالتهم المادية، وضعفهم الإقتصادي، الذي يفرض عليهم التقشف، والخشونة.. بل لعل هذا الضعف في عامة الناس كان يجعل من تظهر عليه أمارات الرفاهية والغنى في خطر أكيد من قبل أهل الأطماع الذين يعيشون على السلب والنهب والغارة، وما أكثرهم..

أبيت اللعن تحية الملوك:

وحين حيّاه وفد كنده بقولهم: أبيت اللعن، لم يقل لهم: هذه تحية الجاهلية، بل قال لهم: لست ملكاً.. لأن مجرد أن يخطئ الإنسان في اختيار التحية الصحيحة، فيختار تحية الجاهلية، انسياقاً مع الإلف والعادة، أو جهلاً بما يجب عليه - إن ذلك - ليس بالأمر المهم، ويمكن معالجته بسهولة..

ولكن الأهم منه هو: أن يخلط الإنسان بين مفهومي الملك والنبى، فإن هذا يضر بدين ذلك الشخص وبإسلامه وبالإسلام من الأساس.. ولأجل ذلك بادر «صلى الله عليه وآله» إلى ردعهم، ونفى صفة الملك عن نفسه، فقال: لست ملكاً.

لا تناقض في فعل النبي ﷺ:

وقد رأينا: أن هؤلاء الوافدين قد خبأوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عين جرادة في ظرف سمن، فإن أخبرهم به آمنوا.. ولكنه «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لهم، وأظهر لهم عوضاً عنه معجزة تسبيح الحصى بيديه، في حين أنه استجاب لاختبار غيرهم، كما تقدم معنا. وأظهر الخبء لهم.

ولعل سبب ذلك هو: أن الكهان كانوا يستفيدون من بعض شياطين الجن، فيخبرونهم ببعض الأمور التي يرون أنها قد حصلت أو غيرها، مما يتمكنون من الوصول إليه والحصول عليه، ولو باستراق السمع لما يتحدث به الملائكة في السماء. ثم يجعلون ذلك مبرراً لإطلاق دعاوى أوسع وأكبر، مثل علمهم بالأسرار، وبما يأتي في المستقبل^(١).

فإذا تكرر منه «صلى الله عليه وآله» الإخبار عن الخبء، فقد يتكون انطباع خاطئ يؤدي إلى جعله «صلى الله عليه وآله» في مصاف الكهان لدى بعض الناس الذين لا حظ لهم من العلم والمعرفة، وتؤثر عليهم التلقينات، وتأخذ بألبابهم الشائعات، ولا يملكون القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الدر والصدف، وبين الأصل والزائف..

فكان لا بد من إظهار معجزة لا سبيل فيها إلى اللبس، ولا محل فيها للشبهة، لتكون سبيل هداية، ومنشأ حصانة لما أخبر به وعنه سابقاً، ولما قد

(١) وقد قيل: إن الفرق بين العراف والكاهن: أن الكاهن يخبر عما مضى، والعراف يخبر عما يأتي. راجع: أقرب الموارد، مادة كهن ج ٢ ص ١١١٠ عن كليات أبي البقاء.

يخبر عنه فيما يأتي.. فكان تسبيح الحصى بيديه هو تلك المعجزة القاهرة والظاهرة.

بكاء النبي ﷺ حيرهم:

وإن بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» الذي حيرهم، كان مفعماً بالدلالات، في كل اتجاه، فهو من جهة قد أظهر عمق تفاعل النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» مع الحقائق التي يتلوها، ليتضح أن شريعته، ودينه دين كرامة، وإنسانية، ومشاعر، وروح وطهر وصفاء، يثير كوامن النفس الإنسانية، لكي ترتقي من خلال كمالاتها، إلى آفاق الشرف والكرامة، لدى خالق الكون والحياة..

وأظهر أيضاً: أنه لم يأت بالدين ليكون لغيره، ويكون هو مستثنى منه، بل هو مثلهم فيه، في جميع المجالات، وسائر الاتجاهات. وأظهر من جهة أخرى - من خلال اندفاعهم للسؤال عن سبب بكائه «صلى الله عليه وآله» -: أنهم لم يتأملوا فيما يتلوه عليهم، ولا تفاعلوا معه، ولا انفعلوا به، بل هم قد تحيروا، أو تعجبوا ممن وعى معناه، وتأثر به!!

النبي ﷺ يصد الأشعث:

وقد أظهرت الروايات المتقدمة: أن الأشعث بن قيس قد حاول أن يتزلف للنبي «صلى الله عليه وآله» بطريقة مأكرة، من شأنها أن تنقص من قدره «صلى الله عليه وآله»، حيث ألقى إليه مقولة أنه «صلى الله عليه وآله» ابن أكل المرار، أي إنه يريد أن ينسبه إلى غير أبيه. وكأنه يريد أن يضع علامة استفهام على صحة انتسابه إليه.. لأن القبول بمقولة الأشعث سوف

يكرس انتسابهم لأهمهم دون أبيهم.

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» عرف ما يرمي إليه الأشعث، فعالجه بما فضح أمره، وأبطل كيده.. حين أظهر «صلى الله عليه وآله» في كلامه، أنه أراد أن يستدرجه للإعتراف بالانتساب إلى أمه دون أبيه.

ليشرف نفسه من جهة، ولينقص من قدر النبي «صلى الله عليه وآله» من جهة أخرى..

وقد عرّفه النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كان على علم بأن العباس، وربيعه بن الحارث كانا يستفيدان من اسم آكل المرار، ليأمنّا على نفسيهما، ولكي لا يتعرض لهما من ينتسب إلى آكل المرار بسوء، بل يكون المنتسبون إليه عضداً لهما على من سواهما، إن لزم الأمر..

وقد صرح الأشعث نفسه بأنه كان يرمي - فعلاً - إلى نفي انتساب النبي «صلى الله عليه وآله» وقريش إلى أبيه النضر بن كنانة.. وحاول استعادة بعض ماء الوجه حين قال: لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش، من النضر بن كنانة إلا جلّدته الحد.. حيث إن قوله هذا بمثابة تذرّع بالجهل، لينأى بنفسه عن موقع التشكيك بنسب رسول الله «صلى الله عليه وآله». لأنه بذلك يكون قد وضع على نفسه علامة استفهام كبيرة عند قومه، وسيسقط محله فيهم، وسيرون أنه لا يملك من الكرامة والفضل ما كانوا يظنون به.

الأولاد مجبنة مبخلة:

ثم إنه ليس في قول النبي «صلى الله عليه وآله» عن الأولاد: إنهم لمجبنة

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٤٧

مبخله ما يوجب الذم والانتقاص لأحد، بل هو يخبر عن واقع الناس وحالاتهم، لأن وجود الأولاد يدفع الإنسان إلى أن ينأى بنفسه عن مواطن الخطر، حيث يسعى إلى أن يحفظ حياته، وقدرته على رعايتهم، وتدبير شؤونهم، لأنه يخشى عليهم من الضياع لو غاب عنهم، ما داموا غير قادرين على حفظ أنفسهم بأنفسهم، وهذا يلتقي في نتيجته مع فعل الجبناء، ونتائج جبنهم.

كما أنه يهتم من جهة أخرى بجمع الأموال وادخارها حباً بالأولاد، ليستفيدوا منها في مستقبل أيامهم. وهذا يلتقي مع فعل البخيل الذي يجمع المال حباً بنفسه، أو حباً بالمال. وذلك ظاهر لا يخفى.

وفود بني سلامان:

قال محمد بن عمر: كان مَقْدُمُهُمْ في شوال سنة عشر.

وعن حبيب بن عمرو السلامي قال: قدمنا وفد سلامان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونحن سبعة، فصادفنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» خارجاً من المسجد إلى جنازة دُعي إليها، فقلنا: السلام عليك يا رسول الله.

فقال: «وعليكم من أنتم»؟

فقلنا: نحن من سلامان قدمنا إليك لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا.

فالتفت إلى ثوبان، غلامه فقال: «أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد». فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته، فتقدمنا إليه، فسألناه عن أشياء من

١٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

أمر الصلاة وشرائع الإسلام، وعن الرقى، وأسلمنا، وأعطى كل رجل منا خمس أواقي، ورجعنا إلى بلادنا، وذلك في شوال سنة عشر.

وفي نص آخر أنه «صلى الله عليه وآله» قال لوفد سلامان: «كيف البلاد عندكم؟»

قالوا: مجدبة، فادعُ الله أن يسقينا في موطننا.

فقال: «اللهم أسقهم الغيث في دارهم».

فقالوا: يا نبي الله، ارفع يديك، فإنه أكثر وأطيب.

فتبسّم، ورفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم رجعوا إلى بلادهم، فوجدوها قد مطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تلك الساعة^(١).

ونقول:

قد اشرنا أكثر من مرة لأموّر تضمنها هذا النص، ومنها:

١ - تعهدهم بإسلام قومهم الذين لم يحضروا معهم.

٢ - إنه قد كانت هناك دار خصصت لنزول الوفود فيها، وهي دار رملة بنت الحدث (الحارث).

٣ - إنه «صلى الله عليه وآله» كان يميز تلك الوفود بأواق من الفضة.

٤ - إنهم كانوا يرون لدعاء النبي «صلى الله عليه وآله» أثرًا في سقي الله لهم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٥ وفي هامشه عن: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٦٠ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٤٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٢٣ و ٢٢٤، وراجع: عمدة القاري ج ٧ ص ٣٦، وإمتاع الأسباع ج ١٤ ص ٣١١، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣١٧.

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٤٩

٥ - إن وفد سلامان هنا قد تدخل في طريقة دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لهم، حيث طلبوا منه أن يرفع يديه، مدّعين أن ذلك يؤثر في أمرين، هما: الكثرة والطيبة.

وقد تبسم «صلى الله عليه وآله» لهذا التطفل الذي ينم عن حاجتهم إلى المزيد من التثقيف، والتعريف بشؤون النبوة، والأنبياء..

٦ - كما أن سؤالهم عن الرقى، يشير إلى مدى تأثيرهم بكل ما من شأنه أن يطمئنهم إلى ما هو غائب عنهم، مما لا سبيل لهم إلى معرفته، فيسعون للتحرز مما قد ينالهم منه من سوء وأذى..

٧ - إنهم قد حددوا المكان الذي يريدون نزول الغيث فيه، وقد استجاب النبي «صلى الله عليه وآله» لطلبهم، محددًا المكان وفق ما طلبوه..

٨ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد سألهم عن حال البلاد عندهم.. مما أفهمهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مهتم بقضاياهم، ويريد لهم أن ينعموا بالراحة، والعيش الرغيد..

٩ - إن معرفتهم بعد رجوعهم باستجابة دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» الموافقة لما طلبوه، في نفس ساعة الدعاء، لا بد أن يترك أثره على إيمانهم، فيزيده رسوخاً وعمقاً، وصلابة..

١٠ - ثم يلاحظ أخيراً: أنهم حين ألقوا السلام على رسول الله، أجابهم «صلى الله عليه وآله» بقوله: «..وعليكم»، ولم يزد على ذلك..

ولعل السبب هو: أنه يريد أن يعرفنا كيفية التعامل مع الناس في الحالات المشابهة، إذا كان أمر الوافدين غير ظاهر لنا، إذا ألقوا علينا السلام، مع قيام احتمال أن يكونوا من غير المسلمين، حيث أجابهم إجابة لا

تفيد أنه قد سلم عليهم بتحية أهل الإسلام، كما أنها لا تأبى أن تنطبق عليها، إذ يصح أن يكون التقدير هو: وعليكم السلام. وأن يكون التقدير: وعليكم نفس ما قصدتموه.

١١ - إن ذلك يعطينا: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يتعامل مع الأمور وفق حكمها الظاهري، لا وفق ما يعلمه منها بما أظهره الله تبارك وتعالى عليه من الغيوب. وذلك ظاهر لا يخفى.

وفود خثعم:

وقالوا: وفد عثث بن زحر، وأنس بن مدرك في رجال من خثعم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ما هدم جرير بن عبد الله البجلي ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم، فقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء [به] من عند الله، فكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه.

فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخثعم:

«هذا كتاب من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخثعم من حاضر بيثنة وباديتهما: أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خبار أو عزاز تسقيه السماء، أو يرويه اللثى، فزكا عمارة في غير أزمة ولا حطمة، فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العشر، وفي كل غرب نصف العشر، شهد جرير بن عبد الله ومن حضر»^(١).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٨٦ و (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٧٨ ونثر الدر للآبي ج ١ ص ٢٦٢ ونشأة =

ونقول:

١ - قد ظهر مما تقدم: أن اللغة التي كان «صلى الله عليه وآله» يكتب بها كتبه للقبائل إنما كانت تستعمل الألفاظ التي يتداولونها فيما بينهم، وذلك أنه يريد لهم أن يفهموا مقاصده، ويفوا بتعهداتهم.

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» يطمئنهم بأنهم سوف لا يطالبهم أحد بالدماء التي سفكوها قبل أن يدخلوا في الإسلام، فإن الإسلام يجب ما قبله، ولعلهم كانوا قد أصابوا بعضاً من المسلمين في السنوات التي سبقت إسلامهم، فكانوا يخشون من ملاحقة المسلمين لهم بتلك الدماء، فأراد أن يزيل هذا الوهم من نفوسهم، ليعيشوا حال السكينة في ظل الإسلام.

وفد بني الحارث بن كعب:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل خالداً إلى بني الحارث بن كعب، فاستجابوا للإسلام، فكتب خالد بذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فطلب إليه النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقدم، ويقدم معه وفدهم، فقدم بهم خالد، وقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بِمَ كنتم تغلبون

= الدولة الإسلامية ص ٣٥١، ومكاتب الرسول للأحمدي الميانجي ج ٣ ص ٤١٣ عن: لطبقات ج ١ ق ٢ ص ٣٤ وفي (ط أخرى) ص ٢٨٦ (وأوعز إليه ص ٧٨)، وراجع نثر الدر للآبي ج ١ ص ٢٦٢، ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٥١، ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٤٠، والوثائق السياسية ص ٢٩١ و ١٨٦ عن الطبقات ونثر الدر المكنون للأهدل ص ٦٤ وقال قابل الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٧٨ وانظر كاتاني ج ١٠ ص ٢٨، واشهر نكر ج ٣ ص ٤٦٩.

من قاتلكم في الجاهلية؟

قالوا: لم نكن نغلب أحداً.

قال: «بلى [قد كنتم تغلبون من قاتلكم]».

قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم.

قال: «صدقتم». وأمر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم في

بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد رجوعهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وقال ابن إسحاق: «لما رآهم النبي «صلى الله عليه وآله» قال: من

هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟

قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب.

فسلموا عليه وقالوا: نشهد أنك لرسول الله، وأنه لا إله إلا هو.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول

الله. ثم قال «صلى الله عليه وآله»: أنتم الذين إذا زجروا استقدموا.

فسكتوا، فلم يراجعهم منهم أحد، فأعادها ثلاث مرات.

فقال يزيد بن عبد المدان بعد الرابعة: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٠ وفي هامشه عن: البداية والنهاية ج ٥ ص ٩٥،

وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٩٨ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه

للزرقاني ج ٥ ص ١٧١ - ١٧٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٣٩ و

٣٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٤١، ومكاتيب الرسول ج ٢

ص ٥١٥ نقلاً عن: ابن هشام والطبري والطبقات وتاريخ الخميس والتنبية

والاشراف وشرح المواهب للزرقاني، وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٤.

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٥٣
زجروا استقدموا.

قالها أربع مرات.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم
أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم.

فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك، ولا حمدنا خالدًا.

قال: فمن حمدتم؟

قال: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله.

قال: صدقتم، وأمر عليهم قيس بن الحصين، ورجع الوفد، فأرسل
«صلى الله عليه وآله» عمرو بن حزم ليفقههم في الدين، ويعلمهم معالم
الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم^(١).

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤
ص ٤٢٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥١٥ وقال في هامشه: راجع في
تفاصيل وفودهم: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ١٢٦ والسيرة النبوية
لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٦ وفي (ط أخرى) ص ٢٣٩ والمفصل ج ٤ ص ١٨٨ و
ج ٣ ص ٥٣٢ وحياة الصحابة ج ١ ص ٩٥ و ٩٦ والطبقات الكبرى لابن سعد
ج ١ ق ٢ ص ٧٢ وزاد المعاد ج ٣ ص ٣٥ والكامل ج ٢ ص ٢٩٣ والعبر وديوان
المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٥٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٤ والبحار ج ٢١
ص ٢٧٠ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٢٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤
ص ٣٣ و ٣٤ ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ٢٣١ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢١١
والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٢
ص ٣٨٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٤١١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٩٨ وما
بعدها.

وقد أرسله إليهم وعمره سبع عشرة سنة.

ونقول:

إن لنا هنا بعض الإيضاحات، وهي التالية:

قضايا فطرية تأتي بالنصر:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سأل بني الحارث بن كعب عن سر غلبتهم من قاتلهم، فأجابوه بأن السبب هو اجتماعهم أولاً. وعدم بدئهم بظلم أحد..

ونستفيد من ذلك:

أولاً: تكرر انتصار هؤلاء القوم على أعدائهم حتى أصبح ذلك لافتاً للنظر، بحيث يُسأل عن سببه، ولم نجد لهؤلاء القوم شهرة تاريخية في ذلك، وهذا يجعلنا نتوقف في الحكم على هذا النص بالصحة..
غير أننا نورد الكلام هنا رجاء أن يكون صحيحاً..

ثانياً: إن هذا النص يدل على أن ثمة أحكاماً يدركها الإنسان بعقله، وينساق إليها بفطرته، وتفرضها عليه حكمته، ويدعوه إليها تدبيره، ويشترك فيها جميع البشر، وتقضي بها عقولهم، من دون حاجة إلى تعليم من الشارع، ومنها: قبح الظلم، ولزوم التناصر على العدو المشترك.

ثالثاً: إن هذا التقرير لهم، ثم التصريح بصحة نظرتهم، يستبطن حثهم على الإستقامة على هذا النهج، كما أنه يشير للآخرين بلزوم الأخذ به، إن أرادوا أن يكون لهم النصر على أعدائهم.

النبي ﷺ يشهد لنفسه بالنبوة:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» أعلن بالشهادتين كما شهد بها ذلك الوفد الذي كان يكلمه.. ونستفيد من هذه المبادرة ما يلي:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد ساوى نفسه بهم، من حيث التكليف، ولزوم الإعلان بالشهادتين..

٢ - إنه قد أوضح لهم: أن الشهادة له «صلى الله عليه وآله» بالرسالة، لا تعني أن المطلوب هو تكريس الإمتيازات له كشخص، بحيث يكون هو المستفيد الأول والأخير، حيث ينتهي إليه إيمان الناس، ثم لا يتعداه، ولذلك ليس لأحد أن يمنّ عليه بإسلامه وإيمانه..

تهديد النبي ﷺ لبني الحارث:

ثم إنه لا مجال لتصديق ما تذكره الرواية المتقدمة من تهديد النبي «صلى الله عليه وآله» لبني الحارث بن كعب بالقتل بعد أن قررههم - ثلاث مرات - بأنهم هم الذين إذا زجروا استقدموا، فأجابوا بالإيجاب..

فأولاً: المفروض: أن ما يتهددهم من أجله إنما كان منهم قبل إسلامهم، والإسلام يجب ما قبله. ولا يطالب المسلم بشيء منه، ولا يعاقب عليه.

ثانياً: لا فرق في هذا الحكم بين أن يسلموا بعد القتال أو من دون قتال.. فما معنى أن يقول لهم - حسب زعم الرواية -: «إنكم أسلمتم ولم تقاتلوا»..

ثالثاً: إنهم حتى لو فعلوا ذلك بعد أن أسلموا، فهل يكون القتل هو

١٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
جزاء من يفعل هذا الذي يلومهم عليه؟!

وفود محارب:

عن أبي وجرة السعدي قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع، وهم عشرة نفر، منهم سواء بن الحارث، وابنه خزيمة بن سواء، فانزلوا دار رملة بنت الحدث. وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً من الظهر إلى العصر، فأسلموا وقالوا: نحن على من وراءنا، ولم يكن أحد في مواسم الحج التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرض دعوته فيها على القبائل، ويدعوهم إلى الله وإلى نصرته، أفض ولا أغلظ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم.

وكان في الوفد رجل منهم، فعرفه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأمدّه النظر، فلما رآه المحاربي يديم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله توهمني، قال: «لقد رأيتك».

قال المحاربي: أي والله، لقد رأيتني وكلمتني، وكلمتك بأقبح الكلام، ورددت عليك بأقبح الرد بعكاظ، وأنت تطوف على الناس. فقال «صلى الله عليه وآله»: «نعم».

فقال المحاربي: «يا رسول الله، ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني»، فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل».

فقال: يا رسول الله، استغفر لي من مراجعتي إياك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الإسلام يجب ما كان قبله من الكفر». ومسح رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجه خزيمة بن سوا، فكانت له غرة بيضاء. وأجازهم كما يجيز الوفد، وانصرفوا إلى أهلهم^(١).

عن أبان المحاربي، ويقال له: أبان العبدى، قال: «كنت في الوفد، فرأيت بياض إبط رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رفع يديه يستقبل بهما القبلة»^(٢).

ونقول:

آثار لقاءات عكاظ ظهرت في المدينة:

إن هذا النص يظهر لنا عمق ما تركته لقاءات النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة للقبائل التي كانت تفد لحضور سوق عكاظ. فإنها أظهرت لهم: كذب ما كانت تتهمه به قريش، من أنه مجنون، كما أنها هيأت لهم الفرصة ليشاهدوا سلوك أهل الإيوان، وصلاح وجمال أقوالهم وأفعالهم، وانسجام ما يدعون إليه مع فطرتهم، وموافقته لما تقضي به عقولهم، ثم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠٩ عن ابن سعد، وفي هامشه عن: الطبقات لابن سعد، (ط ليدن) ج ٢ ص ٤٣٦ وفي (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٩٩، والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٧٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٠٩ عن ابن شاهين، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن خلاد في الجزء الثاني من فوائده، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٧، والإصابة ج ١ ص ١٧١.

مقارنة ذلك كله مع ما هم فيه من انحراف، وزيف، ومتابعة للأهواء، وبعد عن الحق والعدل، وانغماس في الرذيلة والشر، ليقودهم ذلك كله بعد أن تحف الضغوط عليهم في المحيط الذي يعيشون فيه، إلى قبول دعوة الحق والخير والهدى.. ويجعلهم يندمون على ما فرط منهم..

وفود زبيد في السنة الحادية عشرة:

لما كانت السنة التي توفي فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، رأت زبيد قبائل اليمن تقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مقرين بالإسلام، مصدقين برسول الله، يرجع راجعهم إلى بلادهم وهم على ما هم عليه. وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» استعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقاتهم - وأرسله مع فروة بن مسيك كما قلنا - فقالوا: «والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس. وصدقنا بمحمد «صلى الله عليه وآله»، وخلينا بينك وبين صدقات أموالنا، وكنا لك عوناً على من خالفك من قومنا».

قال خالد: قد فعلتم.

قالوا: فأوفد منا نفرأ يقدمون على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخبرونه بإسلامنا، ويقبسوننا منه خيراً.

فقال خالد: ما أحسن ما عدتم إليه وأنا أجيكم، ولم يمنعي أن أقول لكم هذا إلا أنني رأيت وفود العرب تمر بكم فلا يهيجنكم ذلك على الخروج، فسأني ذلك منكم، حتى ساء ظني فيكم، وكنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشرك، فحسبت أن لا يكون الإسلام راسخاً في

١٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

وقال ابن سعد: كان آخر من قدم من الوفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد النخع، وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رملة بنت الحدث، ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، فكان فيهم زرارة بن عمرو.

قال: أخبرنا هشام بن محمد هو زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي، وكان نصرانياً^(١).

وقالوا: وفد رجل من النخع يقال له زرارة بن عمرو على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إني رأيت في سفري هذا رؤيا هالتي.

قال: «وما رأيت؟»

قال: رأيت أتاناً تركتها في الحي كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل لك من أمة تركتها مصرة حملاً؟»

قال: نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت.

قال: «فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك».

فقال: يا رسول الله، ما باله أسفع أحوى؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٣ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٤٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ عنه، وعن ابن شاهين، وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ١٣.

قال: «ادن مني».

فدنا منه. فقال: «هل بك برص تكتمه»؟

قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك.

قال: «فهو ذلك».

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان، ودملجان، ومسكتان.

قال: «ذلك ملك العرب عاد إلى أحسن زيه وبهجته».

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض.

قال: «تلك بقية الدنيا».

قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض، فحالت بيني وبين ابن لي يقال له: عمرو، ورأيتها تقول: لظى لظى، بصير وأعمى، أطعموني آكلكم آكلكم، أهلككم وما لكم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «تلك فتنة في آخر الزمان».

قال: وما الفتنة يا رسول الله؟

قال: «يقتل الناس إمامهم ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس - وخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصابعه - يحسب المسيء أنه محسن، ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها ابنك».

فقال: يا رسول الله، ادع الله ألا أدركها.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم لا يدركها».

فمات وبقي ابنه، وكان ممن خلع عثمان^(١).

ونقول:

إن لنا مع النص المتقدم وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

فتنة آخر الزمان:

تقول الرواية المتقدمة: إنه «صلى الله عليه وآله» قد فسر رؤيا النار التي حالت بين ذلك الرجل وبين ابنه بفتنة في آخر الزمان، يقتل فيها الناس إمامهم.. ثم طبق تلك الفتنة على قتل عثمان.

ويرد على ذلك:

أن قتل عثمان لم يكن في آخر الزمان، وقد حاول الزرقاني حل هذا الإشكال فقال: «سماء آخراً مع أنها قتل عثمان، على معنى أنه لغلظ أمره وفحشه بمنزلة ما يكون في آخر الزمان، الذي تدرس فيه الأحكام وتزول حتى كأنها لا أثر لها، أو أن المراد آخر زمان الخلافة الحقيقية التي جروا فيها على سنن المصطفى، وسمائها آخراً مع أنه بقي منها مدة علي وابنه، لقرب قتل عثمان من آخرها»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٣ و ٤٢٤ عن ابن شاهين من طريق المدائني، وابن الكلبي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢٣٥ - ٢٣٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٥٣٢، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ١٤، وعبون الأثر ج ٢ ص ٣٢١، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٩.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٣٧.

غير أننا نقول:

إنها محاولة فاشلة:

أولاً: لأن الأحكام لم تدرس بقتل عثمان حتى كأنها لا أثر لها، بل اندرست في زمن عثمان، وزمن من سبقه، وقد أعادها علي «عليه السلام»، وستعود إلى الإندراس في أزمنة لاحقة على زمان علي «عليه السلام»، وقد أشار صلوات الله عليه إلى هذه الأمور الثلاثة حيث قال لأهل العراق: «وركزت فيكم راية الإيمان، وعرفتكم حدود الحلال والحرام»^(١).

وقال «عليه السلام»: «إن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا»^(٢).

وعنه «عليه السلام» أنه قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه»^(٣).

وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب نصوصاً أخرى في هذا السياق، فلا حاجة لإعادتها. فذلك كله يشير إلى أن الإسلام كان قبل قتل عثمان، وحينه قد تعرض لأعظم الأضرار نتيجة للسياسات التي انتهجها أسلاف أمير المؤمنين «عليه السلام»^(٤). ولكن علياً «عليه السلام» أعاد إليه رونقه..

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ١٥٣، والبحار ج ٣٤ ص ٢٠٩، وشرح النهج

للمعتزلي ج ٦ ص ٣٨٠، وأعلام الدين في صفات المؤمنين للدليمي ص ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٩٥ من عهده «عليه السلام» للأشتر.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٤ ص ٨٧ الحكمة رقم ٣٦٩ و ١٩٠.

(٤) راجع: الجزء الأول من هذا الكتاب فصل: «الدوافع والأهداف، والآثار

والنتائج».

ثانياً: دعواه: أن خلافة عثمان هي آخر زمان الخلافة الحقيقية التي جروا فيها على سنن المصطفى «صلى الله عليه وآله».. مردودة عليه، فإن الأحكام والأمور قد جرت في خلافة علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم في خلافة ولده الإمام الحسن «عليهما السلام» على سنن المصطفى «صلى الله عليه وآله»، بعد أن خالف من سبقهما سنته وحادا عن طريقته ونهجه «صلى الله عليه وآله».. بل خلافتها هي التي أعادت الناس إلى ما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأعلن أصحاب الأطماع عليهما الحروب في الجمل وصفين والنهروان. وبعد ذلك حين استولى معاوية على البلاد، وأذل العباد.

ثالثاً: إن الزرقاني يريد تطبيق مفهوم الفتنة على حروب البغاة على علي «عليه السلام»، مع أن الفتنة هي التي لا يعرف وجه الحق فيها، في حين أن وجه الحق معروف في حروب الجمل وصفين والنهروان، فإن الحق كان مع علي «عليه السلام»، وكان محاربوه بغاة عليه.

ويزيد الأمر وضوحاً كثرة ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شأن الناكثين والقاسطين والمارقين، وفي شأن الخوارج، وفيما أخبر به «صلى الله عليه وآله» عائشة والزبير، من أنها سيحاربان علياً «عليه السلام»، مع ذكره «صلى الله عليه وآله» حتى لبعض جزئيات ما يجري، مثل ركوبها الجمل الأدب، ونباح كلاب الحوآب عليها، وغير ذلك..

متى قدم زرارة بن عمرو؟!

تقدم في رواية أسيد: أن زرارة بن عمرو قدم على النبي «صلى الله عليه

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة ١٦٥
وآله» سنة إحدى عشرة، ولكن آخرين يقولون: إنه قدم في نصف رجب
سنة تسع^(١). قال الزرقاني: «فيحتمل أنه وفد فيها، ثم وفد مع قومه سنة
إحدى عشرة»^(٢).

غير أن النص المتقدم قد صرح: بأن اللواء الذي عقده النبي «صلى الله
عليه وآله» لزرارة بن عمرو على قومه قد كان مع زرارة يوم الفتح، وهذا
معناه: أن وفادته على النبي «صلى الله عليه وآله» قبل فتح مكة في سنة ثمان،
وكان زرارة قبل ذلك نصرانياً.

ويدل هذا أيضاً على: أن النخع قد أرسلوا رجلين منهم إلى النبي «صلى
الله عليه وآله» قبل فتح مكة، ثم قدم عليه منهم مائتا رجل في المحرم سنة
إحدى عشرة»^(٣).

حديث رؤيا زرارة:

وعن رؤيا زرارة نقول:

١ - ما المقصود بملك العرب فيها؟! هل هو ملك أبي بكر وعمر وعثمان!
أم ملك بني أمية؟! وهل هذا الملك كان حسناً بنظر رسول الله «صلى الله عليه
وآله»؟!!

٢ - وما معنى أن يحال بين زرارة وبين ولده، في حين أن ولده كان ممن

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٣٤ عن ابن عبد البر، والذهبي، والوافي
بالوفيات ج ١٤ ص ١٢٩، والإصابة ج ٢ ص ٤٦٣.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٣٤ وقال: كذا في النور.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٣.

١٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

خلع عثمان وبائع علياً «عليه السلام».. فهل من يبايع علياً «عليه السلام» يهلك، وتأكله نار الفتنة؟!

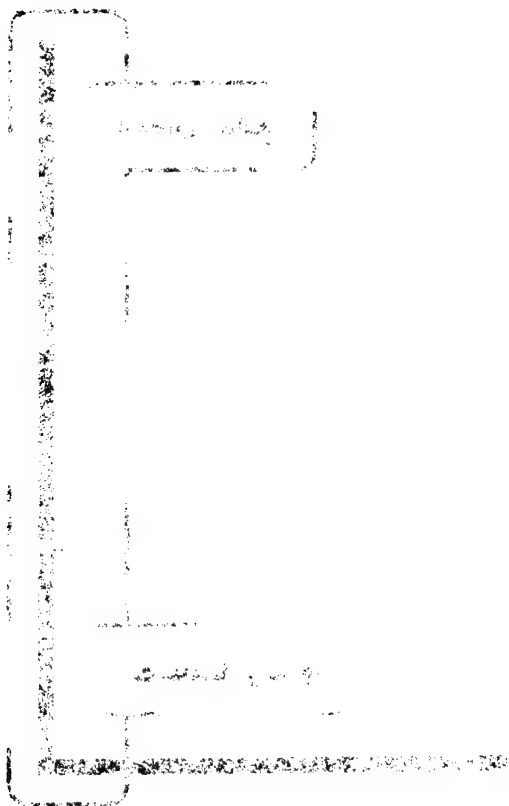
ولماذا وبهاذا نجا زرارة؟! هل نجا لأنه شارك في حرب القادسية، وقتل

فيها؟!

٣- أضف إلى ذلك ما قدمناه مما يرتبط بالفتنة، كما يزعم هؤلاء.

الفصل السابع:

خمسة وفود بلا تاريخ



١- وفد أزد شنوءة:

عن مُنير بن عبد الله الأزدي قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» صرد بن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد، بضعة عشر رجلاً (خمس عشرة)، فنزلوا على فروة بن عمرو، فحباهم وأكرمهم. وأقاموا عنده عشرة أيام، فأسلموا، وكان صُرد أفضلهم، فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن (وكان ذلك سنة عشر).

فخرج صُرد يسير بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى نزل بجرش (مخلاف من مخاليف اليمن)، وهي يومئذ مدينة حصينة مُغلقة، وبها قبائل من اليمن قد تحصنوا بها، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم. فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فحاصروهم شهراً أو قريباً منه، وكان يغير على مواشيهم فيأخذها.

ثم تنحى عنهم إلى جبل يقال له: شكر، فظنوا أنه قد انهزم، فخرجوا في طلبه حتى أدركوه.

فصف صفوفه، فحمل عليهم هو والمسلمون، فوضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا، وأخذوا من خيلهم عشرين فرساً، فقاتلوهم عليها نهاراً طويلاً.

وقد كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلين منهم يرتادان وينظران (أي يطلبان الأخبار).

فبينما هما عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشية بعد العصر، إذ قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بأي بلاد الله شكر؟»

فقال الجرشيان: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كشر بذر يسميه أهل جرش.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليس بكشر، ولكنه شكر».

قالا: فما شأنه يا رسول الله؟

قال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن».

وأخبرهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» بملتحاهم، وظفر صرد بهم. فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمان، فقالا لهما: ويحكما، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لينعي لكما قومكما، فقوموا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما.

فقاما إليه، فسألاه أن يدعو الله أن يرفع عنهم.

فقال: «اللهم ارفع عنهم».

فخرجا من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

قال ابن سعد: فقصّا على قومهما [القصة]، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلموا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مرحباً بكم، أحسن الناس وجوهاً،

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ١٧١

وأصدق له لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانةً، أنتم مني وأنا منكم». وجعل شعارهم مبروراً، وأحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة، [وللمثيرة] بقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فماله سحت^(١).

وقد سميت الأزد: أزد شنوءة لشنآن كان بينهم.

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة هي التالية:

بُذُنُ الله تنحر عند شكر:

إننا لم نعرف سبب وصف النبي «صلى الله عليه وآله» لأولئك المشركين الذين يُقتلون بأيدي المسلمين بأنهم «بُذُنُ الله» تبارك وتعالى!! مع أن البدن لا يبغضها الله تبارك وتعالى، بل هي محبوبة له، وهي من شعائر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ٦ ص ٢٦٢ عن ابن سعد، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٣٧٢ و ٣٧٣، وابن هشام في سيرته ج ٤ ص ٢٣٤.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٩ - ١٧١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٣٠ و ١٣١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧٤ وصحبة النبي «صلى الله عليه وآله» ص ١٢٠ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٢٤ والإصابة ج ٢ ص ١٨٢ وأسد الغابة ج ٣ ص ١١٧ والدرر لابن عبد البر ص ١٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ و (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٧١ و ٦٣ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٧ و (ط دار المعرفة) ص ٢٦٢ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٢٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٩٥.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج.

وهؤلاء كفرة أرجاس محاربون لأهل الإسلام، مبغضون له تبارك وتعالى..
على أنه لو كان المقصود مجرد تشبيههم بالبدن في عدم الوعي، وفقد الإدراك، فلماذا أضاف البدن إليه تبارك وتعالى؟! فإن إضافتهم إليه تفيد التشريف والتكريم لهم!!..

وبذلك يظهر: عدم صحة ما زعمه الزرقاني: من أن «إطلاق البدن عليهم استعارة، أو تشبيه بليغ، وأصله: أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الإدراك، حيث لم يؤمنوا، وحاربوا المسلمين، وإضافتهم إلى الله إشارة إلى تحقيق الاستعارة، حيث جعلوا كالبدن التي تنحر تقرّباً، أو إشارة إلى أنهم مخلوقون لله، مغمورون بأنعامه، فأضافهم إليه توبيخاً لهم على عدم الإيمان..»^(١).

فإن هذه الأقوال لا تعدو كونها تمحلات سمجة، وممجوجة؛ فإن ما زعمه من الإضافة التي تفيد تحقيق الاستعارة!! إذا كانت موجبة لتشويش المعنى، وإيهام خلاف المقصود تصبح معيبة، ولا يمكن أن تصدر عن أحكم الحكماء، وأعقل العقلاء، وأبلغ البلغاء. أعني رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأما ادّعاء: أن إضافتهم إليه تعالى لتوبيخهم على عدم الإيمان، فلا نجد له مبرراً أيضاً سوى التحكم، والإقتراح، وفرض التوجيهات والتأويلات السخيفة، من دون دلالة عليها، أو إشارة إليها..

تفويض حرب المشركين لـصرد الأزدي:

وتحدثت الرواية المتقدمة أيضاً عن: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فوض لـصرد الأزدي حرب من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.. مع أن هذا الرجل قد أسلم لتوه، ولم يتفقه بعد في الدين، ولا تأدب بآداب الإسلام، ولا عرف أحكامه؛ فما معنى تفويضه بحرب المشركين من قبائل اليمن؟ وللحرب حدودها وأحكامها في الإسلام..

كما أن من المفروض هو أن يدعوهم إلى الإسلام أولاً، وأن يقدم لهم الأدلة والبراهين عليه، وأن ينشر لهم أعلامه، ويعلمهم أحكامه، في حين أنه هو نفسه كان جاهلاً بها، والحال أن فاقد الشيء لا يعطيه، بل هو غير قادر على أن يطبقه على نفسه ويراعيه.. فكيف يدعو الناس إليه، ويحملهم عليه؟!..

هل فتحت جرش عنوة أو صلحاً؟!

ويبقى أماننا سؤال محير، يحتاج إلى جواب، وهو:

كيف فتحت مدينة جرش؟! هل فتحت عنوة، بعد حصارها، ثم بعد معركة هائلة تعرض فيها الجرشيون للقتل الذريع؟! حيث وضع المسلمون فيهم سيوفهم حيث شاؤوا؟ أم أنها فتحت صلحاً؟
إن الرواية التي نحن بصدد معالجتها لعلها تشير إلى أنها فتحت عنوة، وبعد حصار وقتال وأعداد كبيرة من القتلى..

مع أنهم يقولون: إنها فتحت سنة عشر في حياة النبي «صلى الله عليه

١٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
وآله « صلحاً على الفيء، وأن يتقاسموا العُشر، ونصف العُشر^(١) ».

وعن الزهري: «أسلم أهل بئالة وجرش من غير قتال، فأقرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين، وولى أبا سفيان بن حرب على جرش^(٢) ».

أو بعث عليهم عبد الله بن ثور، أحد بني الغوث^(٣) .
وروى الواقدي: أنه «صلى الله عليه وآله» توفي وعامله على جرش صُرد بن عبد الله الأزدي^(٤) .
فأي ذلك هو الصحيح؟!

أسئلة أخرى تحتاج إلى جواب:

وهناك أسئلة عديدة، ترتبط بنصوص الرواية التي نحن بصدددها، لا نجد لها جواباً مقنعاً ومقبولاً، فلاحظ ما يلي:

١ - إذا كان صُرد بن عبد الله قد حاصر بمن معه مدينة جرش، فمعنى ذلك: أن لا يخرج أحد منهم من المدينة، وأن لا يدعوا ماشيتهم تخرج إلى خارج المدينة أيضاً، لأن ذلك سيعرضها ويعرضهم للخطر الأكيد.
فما معنى قولهم: «وكان يغير على مواشيهم فيأخذها»؟!

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٦ والمفصل ج ١ ص ١٧١.

(٢) فتوح البلدان ص ٧١ ومعجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٢٧ والكامل ج ٢ ص ٤٢١.

(٤) الإصابة ج ٢ ص ١٨٢.

فهل كانت مواشيهم ظاهرة لهم، وفي متناول أيديهم؟!

٢ - والمحاصر هو: المهزوم، في واقع الأمر، فإنه لعجزه عن مواجهة عدوه، أخفى نفسه عنه وراء الأحجار، والأسوار، والذين يحاصرونه، هم المنتصرون الذين يلاحقونه، ويجهدون للوصول إليه بمزيد من التصميم والإصرار، فإذا انصرف هذا المنتصر عن حصار عدوه، فذلك لا يجعله منهزماً، بل يكون منكفئاً عنه.

فما معنى قول الرواية السابقة: «فظنوا أنه قد انهزم»؟! إلا إذا أريد بالهزيمة هنا معنى آخر، يختلف عما يعطيه ظاهر هذه الكلمة.

٣ - ومع غض النظر عن هذا وذاك، فإنه إذا كان الجرشيون قادرين على مواجهة عدوهم، ولديهم الجرأة على الوقوف في وجهه، فلماذا اختبأوا منه داخل حصونهم طيلة شهر كامل؟!

ولماذا لم يبرزوا لقتاله من أول يوم حل فيه بساحتهم؟!

٤ - وبعد قتالهم يوماً كاملاً، وبعد أن وضع المسلمون سيوفهم فيهم حيث شاءوا، وبعد أن أخذوا من خيلهم عشرين فرساً.. وأوقعوا فيهم تلك الضربة القاصمة والهائلة، نعم.. بعد ذلك كله، ماذا كانت النتيجة؟! وماذا صنع المسلمون تجاه أعدائهم؟ هل تركوهم يرجعون إلى حصنهم بصورة طبيعية؟ أم أنهم طاردوهم إلى باب الحصن؟! وحين بلغوا إلى الباب هل زاحوهم على الدخول فيه؟ أم انكفأوا عنهم؟! وهل تمكنوا من عرقلة دخولهم، أو دخول بعضهم إليه؟!..

وإذا كان ذلك قد حصل فعلاً، أو حتى لو كان ذلك لم يحصل أيضاً، فالسؤال هو: كم من الناس أسر المسلمون في تلك الوقعة؟! وهل عادوا إلى

١٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

حصار جرش، بعد أن حققوا هذا الانتصار الكبير عليهم؟! أم أنهم تركوها غارقة في مصائبها التي حلت بها؟!..

٥ - وعن الرجلين الذين كانا يتجسسان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لصالح أهل جرش، نسأل: هل كان المسلمون يعرفون شيئاً عن هذين الرجلين الغريبيين؟! وإذا كان الجواب بالإيجاب فلماذا تركوهما يسرحان ويمرحان بلا حسيب ولا رقيب..

وإن كان الجواب بالنفي، فهل حاولوا أن يتعرفوا عليها؟! وهل سألهما أحد عن بلدهما، وعن سبب قدومهما، وعن دينهما، وما إلى ذلك؟ وبماذا أجابا؟! وهل كان جوابها مقنعاً؟! وهل؟ وهل؟

إن الحقيقة هي: أن سياق ما جرى لهما في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدل على أنها كانا يتجاهران بالانتساب إلى بلدهما، ويتحدثان عنه ويشفعان لأهله لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمام جماعة المسلمين، ويتصرفان بصورة عادية وطبيعية!!

علاقة الجاسوسين بأبي بكر وعثمان:

وأغرب شيء سمعناه وقرأناه في هذه الرواية، هو تصريحها بوجود علاقة مميزة فيما بين هذين الجاسوسين وبين أبي بكر وعثمان. فقد أظهر ذلك النص، الأمور التالية:

١ - ما معنى: أن يختلي جاسوسان جاء لرصد حركة المسلمين برجلين هما بنظر الكثيرين، من الكبار والأعيان، ويعيشان الطموح ويخططان للحصول على أعظم مقام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ١٧٧

٢ - لماذا اجتمع هذان الجاسوسان بأبي بكر وعثمان فقط؟! وأين كان عمر بن الخطاب عن هذا الاجتماع؟ ونحن نجد الإقتران الدائم بين أبي بكر وعمر في مختلف الحالات والوقائع..
ثم أين كان أبو عبيدة، وابن عوف.. وسالم وغير هؤلاء ممن يعدون فريقاً واحداً؟!!

٣ - لماذا يحرض أبو بكر وعثمان ذينك الجاسوسين على الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله لرفع البلاء عن قوم مشركين، محاريين لله ولرسوله؟! ولماذا يسعى أبو بكر وعثمان لرفع القتل عنهم، ومنع المسلمين من الظفر بهم؟!..
وما معنى هذا العطف منها على أولئك المشركين؟!.

٤ - وفي محاولة للتخفيف من سهاجة هذا الواقع الهجين، قال الزرقاني: إن قوله «صلى الله عليه وآله»: اللهم ارفع عنهم، إنما أُجيب في الذين في القرية، دون من في الجبل، لوقوعها بعد قتلهم^(١).

والهدف من هذا التوجيه هو: تجنب القول: بأن المطلوب أبي بكر وعثمان والجاسوسين هو رفع البلاء عن الذين أخذتهم سيوف المسلمين، ليسلم منهم من لم تحصده تلك السيوف، بل يكون المطلوب هو: مجرد رفع البلاء عن الذين بقوا في الحصن، ولم يخرجوا منه، فإنهم هم الذين حين علموا بما جرى للجاسوسين مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أرسلوا وفدهم إليه «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم..

(١) شرح المواهب للزرقاني ج ٥ ص ١٧١.

غير أن هذا التوجيه غير مقبول ولا معقول، لأنه يتنافى، بل يتناقض مع صريح الرواية.. كما لا يخفى على من لاحظ كلماتها، وعباراتها..
فإن أبا بكر وعثمان قد طلبا من الجاسوسين أن يطلبوا من النبي الدعاء برفع البلاء عن الذين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم، بأنهم ينحرون كالبدن، ويتعرضون للقتل والفناء، بسيوف المسلمين..

على أن قول الزرقاني: إن دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» برفع البلاء عنهم، إنما حصل بعد قتل من قتل، لا يحل الإشكال، فإن المفروض: أن بعضهم قد قتل، ولكن المعظم قد بقي، فجاءت الدعوة لكي تحفظ وتنجي من بقي وكان في معرض القتل، وأما الذين بقوا في الحصن فلا داعي للدعاء لهم، فقد كانوا في مأمن من كل سوء..

٦ - ألا يعد هذا الموقف من أبي بكر وعثمان من مفردات تولى الكافرين، الذي حذر الله تعالى المؤمنين والمسلمين منه، وبين لهم آثاره السيئة؟!..

٧ - لماذا يريد أبو بكر وعثمان منع المسلمين من ممارسة حريتهم في قمع عدوهم، إلى حد أنها يطلبان من الله أن يتدخل لمنعهم من ذلك بصورة جبرية قاهرة؟!..

٨ - وهل صحيح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استجاب لطلب ذينك الجاسوسين وطلب من الله رفع البلاء عن المشركين، الساعين إلى إطفاء نور الله وقتل المؤمنين؟!..

٩ - وإذا كان البلاء قد ارتفع فعلاً، فهل ارتفع عنهم بطريق الجبر الإلهي، ومنع الأيدي من التحرك، أو التصرف بحركتها لكي تصبح ضرباتهم خائبة؟!..

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ١٧٩

وإذا كانت أيدي المسلمين قد يبست، ومُنعت من الحركة، أو أصبحت ضرباتهم خائبة، فكيف واجه المشركون ذلك؟! هل اغتتموا الفرصة، وأوقعوا بالمسلمين، وقتلوههم وطردهم من ديارهم؟! أم أنهم تركوهم وهربوا إلى الحصن؟! ولماذا هربوا إذا كان عدوهم قد قيّد عن الحركة؟! أو أن ضرباته قد أصبحت خائبة؟!

مدائح النبي ﷺ لأهل جرش:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين قدم عليه وفد جرش، وصفهم بما لم نعهد أنه وصف به أحداً من الناس، حيث قال: «أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانةً، أنتم مني وأنا منكم».

ونقول:

قد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أطلق هذه الأوصاف بالذات، أو بعضها على قبائل وفئات أخرى أيضاً، فقد روي أنه قال في حق قبيلة دوس: «أحسن وجوهاً، وأطيب الناس أفوهاً، وأعظمهم أمانةً»^(١). وروي أنه «صلى الله عليه وآله» قال في حق المهاجرين والأنصار من بني عمه: «أحسن الناس وجوهاً، وأعظم الناس أحلاماً»^(٢).

(١) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٥٠ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ١٧٢ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣٦، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٢٠٦، ولسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ٣١٣.

(٢) تفسير الثعلبي ج ٩ ص ٧٤ وأسد الغابة ج ١ ص ١٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار =

١٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

وروي أيضاً أنه قال لوفد الأزد: «مرحباً بالأزد، أحسن الناس وجوهاً، وأشجعهم قلوباً، وأطيبهم أفواهاً، وأعظمهم أمانةً، وشعاركم يا مبرور»^(١).
فأي ذلك هو الصحيح!؟

فإن الأحسن، والأعظم، والأطيب.. و.. منحصرة في واحد، ولا يمكن إثباتها لاثنين، فضلاً عن إثباتها لثلاثة، أو أربعة!! فإذا كان فلان أحسن الناس فلا يمكن أن يكون فلان الآخر أحسن الناس أيضاً.

في وفد أزد عمان:

وقالوا: أسلم أهل عمان، فبعث إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»
العلاء بن الحضرمي يُعلّمهم شرائع الإسلام، ويُصدّق أموالهم.
فخرج وفداهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيهم: أسد بن بريح
الطاحي. فلقوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسألوه أن يبعث معهم

= المعرفة ج ٣ ص ٢١٧ وأسباب النزول للواحدي ص ٢٥٩ وكنز العمال ج ١٠
ص ٦١٣ وفيه (من بني نمر) وهو تصحيف، والبحر المحيط (تفسير) ج ٨
ص ٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ١٨٨.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٨١ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٦ والإصابة ج ٤
ص ٣١٠ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٠٦ ولسان الميزان ج ٤ ص ٣١٣ وأعيان
الشيعة ج ١ ص ٢٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٤ والمستدرک علی
الصحيحين ج ٢ ص ١٠٦ والآحاد والمثاني ج ٤ ص ٢٦٩ والمعجم الأوسط ج ٣
ص ١٦٦ وكنز العمال ج ١٢ ص ٥٦ و ٥٨ و ج ١٤ ص ٨٩ والضعفاء للعقيلي ج ٣
ص ١٧٤ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ٣٠ وعلل الحديث لابن أبي حاتم ج ٢
ص ٣٥٨.

رجلاً يقيم أمرهم.

فقال مخربة العبدى - واسمه مدرك بن خوط -: ابعثني إليهم، فإن لهم عليّ منة، أسروني يوم جنوب، فمنا عليّ. فوجهه معهم إلى عمان.
وقدم سلمة بن عياذ الأزدي (ملك عمان) في أناس من قومه، فسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عما يعبد وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: «ادع الله لي أن يجمع كلمتنا وألفتنا». فدعا لهم، وأسلم سلمة ومن معه^(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم الوفد الأزد، طيبة أفواههم، برة أيماهم، تقيّة قلوبهم»^(٢).
ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة هذه المدائح أو الذموم التي ينقلونها عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حق بعض القبائل أو الفئات، أو البلاد، فإنها مظنة الجعل والإفتراء لدوافع لا تخفى..

غير أننا قد لا نتحفظ كثيراً، إذا كان ما يذكرونه عنه «صلى الله عليه وآله» كان قد قاله في أعقاب عمل صالح صدر عنهم، وإساءة اقترفوها، فيأتي المدح للترغيب في تلك، وللردع عن هذه.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٤ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦٤ عن أحمد بسند حسن، وراجع: كنز العمال ج ١٤ ص ٨٥، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٧٦.

غير أن المدح الذي ذكر في النص الآنف الذكر إنها هو لأناس بأعيانهم، وهم خصوص أعضاء الوفد الذين قدموا عليه «صلى الله عليه وآله».. فلعل هذا الوفد بالخصوص كان يتشكل من رجال صالحين، يستحقون هذا الثناء النبوي الكريم مع بقاء احتمال الكذب فيه قائماً..

وفد الأزدي في حديث آخر:

عن سويد الأزدي: أنه كان سابع سبعة من قومه وفدوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقال: ما أنتم؟! قلنا: مؤمنون.

فتبسم «صلى الله عليه وآله» وقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟!

قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا رسولك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن نكره منها شيئاً.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟!

قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت.

قال: وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟.

قالوا: أمرتنا أن نقول: لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً.

قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟

قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمُر القضاء،

والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشّامة بالأعداء.

فقال «صلى الله عليه وآله» حكماء علماء، كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمساً فتمم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون وفيه تخلدون، فانصرفوا وقد حفظوا وصيته «صلى الله عليه وآله» وعملوا بها^(١).

وما قلناه حول صحة هذا النقل أو عدم صحته هو نفس ما قلناه في سابقه، فإنه زاد على سابقه ثناء آخر وهو أنهم كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء قبل أن يعملوا بالخمس التي زادهم إياها..

ولسنا ندري إن كانوا بعد أن عملوا بالخمس الباقية هل وصلوا إلى مقام النبوة أم لا؟! غير أننا لم نجد هؤلاء الناس أي نشاط يميزهم عن غيرهم ممن لم يكن مثلهم في الفقه والحكمة والعلم..

٢- وفود مهرة:

قالوا: قدم وفد مهرة. عليهم مهري بن الأبيض، فعرض عليهم رسول

(١) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢٢٧ - ٢٣٠ ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ١٦ والإصابة ج ٢ ص ٩٨ عن أبي أحمد العسكري، والرشاطي، وابن عساكر، وأبي سعيد النيسابوري في شرف المصطفى، وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ١٩٨ و ٢٠١، وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٩، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٨١.

الله «صلى الله عليه وآله» الإسلام، فأسلموا ووصلهم وكتب لهم:
 «هذا كتاب من محمد رسول الله لمهري بن الأبيض على من آمن به من
 مهرة: ألا يؤكلوا ولا يعركوا، وعليهم إقامة شرائع الإسلام، فمن بدل فقد
 حارب، ومن آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله، اللقطة مؤداة، والسارحة منداة،
 والتفت السيئة، والرفث الفسوق». وكتب محمد بن مسلمة الأنصاري.

وعن عمران المهري قال: وَقَدْ إِلَى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجل
 من مهرة يقال له: زهير - وفي لفظ: ذهبن - ابن قرضم بن العجيل [ابن
 قثات]، فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدينه ويكرمه لبعده مسافته،
 فلما أراد الإنصراف بَنَتْهُ وحمله، وكتب له كتاباً فكتابه عندهم [إلى اليوم] (١).
 لا يعركون: أي لا يحملون ما يوجب عُدْمهم.

منداة: أي لا تمتنع من الرعي والسقي.
 ثم فسر لهم «صلى الله عليه وآله» معنى كلمتي: التفت الرفث.

قدوم نافع بن زيد الحميري:

عن أبياس بن عمرو الحميري: أن نافع بن زيد الحميري قدم وافداً على
 النبي «صلى الله عليه وآله» في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لتتفق في الدين،
 ونسأل عن أول هذا الأمر.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٤ عن ابن سعد في الطبقات (ط ليدن) ج ٢
 ص ١١٧ و (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٨٦ و ٣٥٥ ومجموعة الوثائق السياسية
 ص ٢٥١ ورسالات نبوية ص ٢٨٧ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٣٩ وراجع: البداية
 والنهاية ج ٥ ص ٣٥٤ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ١٩٩.

قال: «كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما بينهما، واستوى على عرشه»^(١).

ونقول:

١ - إن وفد حمير قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ليتفقهوا في الدين، احتياطاً منهم لأنفسهم، ولدينهم، فإن وجوب التعلم لما به تكون النجاة من العقاب، مما تحكم به الفطرة ويحتمه الوجدان، وتقضي به العقول.

حديث القلم.. والجبر والعدل:

قد ذكر آنفاً: حديث كتابة القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة.. ولهذا الحديث ألفاظ مختلفة منها ما رواه أبو هريرة قال: قال لي النبي «صلى الله عليه وآله»: «جف القلم بما أنت لاق»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٥ عن ابن شاهين، وراجع: جهرة أنساب العرب ص ٤٤٠.

(٢) راجع: البحار ج ٥٤ ص ٣٦٢ وج ٥٧ ص ٩٣ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٣ وفتح الباري ج ٦ ص ٢٠٦ ونسخة وكيع ص ٥٦ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٧٩ وكتاب السنة ص ٤٨ و ٤٩ وكنز العمال ج ١ ص ١٢٦ وج ٦ ص ١٢٢ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٣٠٧ وجامع البيان ج ٢٩ ص ١٨ و ١٩ و ٢١ وتفسير السمرقندي ج ٣ ص ٢٠٩ و ٤٥٨ وتفسير الرازي ج ١٣ ص ٢٢٨ وج ٣٠ ص ٧٨ وتفسير القرطبي ج ١ ص ٢٥٧ وج ١٨ ص ٢٢٥ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٢٧ و ٤٢٨ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٦٠ وتهذيب الكمال ج ١٨ ص ٤٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٢ و ٣٤ و ٣٥.

ومنها ما روي: من أن «أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب.

فقال: ما أكتب؟

قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١).

وفي نص آخر: فجرى من ذلك اليوم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة،

ثم طوى الكتاب وارتفع القلم»^(٢).

وقال سراقه بن جشعم: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما

العمل اليوم؟

أفما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير؟! أم فيما نستقبل؟!

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٢٢ و (ط دار الفكر) ج ٦ ص ١١٩ و ج ٧ ص ٢١٠
وسنن النسائي ج ٦ ص ٥٩ و ج ٧ ص ٧٩ وفتح الباري ج ١١ ص ٤٣١ وعمدة
القاري ج ٢٠ ص ٧٣ و ج ٢٣ ص ١٤٧ وكتاب السنة لعمر بن أبي عاصم
ص ٥١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٢٦٤ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٤٩
ومسند الشهاب لابن سلامة ج ١ ص ٣٥٣ وتغليق التعليق لابن حجر ج ٤
ص ٣٩٦ وكنز العمال ج ١ ص ١١٦ و ٣٥٨ وكشف الخفاء ج ١ ص ٣٣٢ وتاريخ
مدينة دمشق ج ٥ ص ٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٢٩٠ والدر المنثور ج ٦
تفسير سورة القلم، عن ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وعن الترمذي
(القدر) باب ١٧.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٩ عن عبد الرزاق، والفرباي، وسعيد بن منصور،
وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وأبي
الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وتاريخ
بغداد للخطيب، والضياء في المختارة، وفتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٢٦٩
وتفسير ابن أبي حاتم ج ١٠ ص ٣٣٦٤ والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ٤٩٨.

قال: لا، بل فيما جفت فيه الأقلام، وجرت به المقادير^(١).

وعنه «صلى الله عليه وآله» في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن وَالْقَلَمِ﴾. والقلم الذي خط به ربنا عز وجل القدر، خيره وشره، ونفعه وضره^(٢).

وعن أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن أول شيء خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له: اكتب.

قال: وما أكتب؟

قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل، أو أثر، أو رزق، فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) ثم ختم عليه في القلم، فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة. ثم خلق الله العقل^(٤).

(١) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٩ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٩٣ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٤٧ والديباج على مسلم ج ٦ ص ١١ ومسند ابن أبي الجعد ص ٣٨٤ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٤٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٢٢٦، وحديث خيثة للأطرابلسي ص ١٨٧، وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٢٢٧، والمعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ١٢١ و١٢٨، وفوائد العراقيين للنقاش ص ٤٢، وإرواء الغليل للألباني ج ٤ ص ٢٠٤، وتفسير البغوي ج ٤ ص ٤٩٢، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٧٥، وراجع: سنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٥، وفتح الباري ج ١١ ص ٤٣١.

(٢) راجع: البحار ج ٥٧ ص ٩٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠، وفتح القدير ج ٥ ص ٢٧٠.

(٣) الآية ١ من سورة القلم.

(٤) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص عن الحكيم الترمذي، وأدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص ١٧٧، وكشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٢٦٤، وتفسير الميزان =

وفي نص آخر: أنه سبحانه وتعالى أخذ القلم بيمينه - وكلتا يديه يمين - وخلق النون، وهي الدواة، وخلق اللوح فكتب فيه^(١).

والروايات حول القلم التي تذكر: أنه كتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كثيرة، فراجع على سبيل المثال، ما أورده السيوطي منها في كتابه الدر المنثور عن ابن عباس، وأبي هريرة. وعن قرّة، وعبادة بن الصامت^(٢).

استفادة الجبرية من أحاديث القلم:

وقد ضم أنصار عقيدة الجبر الإلهي، وهم غير الشيعة، إلى أحاديث القلم المذكورة، روايات أخرى نسبوها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخرجوا بنتيجة تقضي بتعميم القدر والجبر الإلهي لأفعال العباد أيضاً..

ولكنهم يرفضون تسميتهم بـ «الجبرية» و «القدرية» و «المجبرة»، لكي يتفادوا انطباق حديث: «القدرية مجوس هذه الأمة» عليهم.

رغم أن الخلّال، وهو أحد علماء الحنابلة قد أطلق كلمة «القدرية» على القائلين بالجبر^(٣).

= ج ١٩ ص ٣٧٧، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ٣٠٤، وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٢٣، وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٤٦٤، والدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٢٥٠، والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٢٦٩، وتاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ١٧٤ وج ٥٦ ص ٢٠٨ وج ٦١ ص ٣٨٥.

(١) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠ عن ابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٩ و ٢٥٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ص ٦٦ عن الخلّال.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ١٨٩
لماذا كانت القدرية مثل المجوس؟!:

ووجه الشبه بين القدرية والمجوس: أن المجوس يقولون بإلهين مؤثرين، والقدرية يقولون: بأن الله تعالى مؤثر، وخالق، ورازق، وشاف وغير ذلك..

والقدر أيضاً مؤثر، حيث إنه يجري حتى على أفعال الله تعالى، فهو تعالى محكوم بقدره مكره على إجرائه، فإن عليه أن يجري ما كتبه القلم، ثم إنه لما جف القلم أصبح الله غير قادر على فعل أي شيء.
والقدر الذي - كتبه القلم - هو الذي حرم ناساً من الجنة، وأدخل آخرين النار..

نماذج من أحاديث الجبر:

ومما أوردوه للتدليل على ما يذهبون إليه من جبر وقدر:

١ - أن آدم «عليه السلام» قد احتج على موسى «عليه السلام» بقوله: أتلومني على أمرٍ (عملٍ) قدّر الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة.. أو قبل أن يخلق الله السماوات والأرض^(١).

٢ - جاء في أحاديث عالم الذر: «خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي»^(٢).

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٧ ص ٢١٤، وصحيح مسلم (شرح النووي) ج ١٦ ص ١٩٦ والجامع الصحيح للترمذي ج ٣ ص ٣٠١،

(٢) المستدرك للحاكم ج ١ ص ٣١ وشرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٤٥ وراجع: فيض القدير ج ٢ ص ٢٩٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٧٩ وأسد الغابة =

١٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

٣ - روايات كيفية خلق الخلق، وأنه بعد نفخ الروح في الإنسان يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، وسعيد. زاد في نص آخر: ثم تطوى الصحف، فلا يزداد بها ولا ينقص^(١).

= ج ٥ ص ٢٤٣ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٧ ص ٢١٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١ ص ١٠٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ٤٩، وكتاب الموطأ لمالك ج ٢ ص ٨٩٩، والبحار ج ٥ ص ٢٦٩، ومسند أحمد ج ١ ص ٤٤، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤١٤، وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٣١، والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٢٥ و ٥٤٤، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٨٧، والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٤٧، وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٣٨، والإستذكار لابن عبد البر ج ٨ ص ٢٦٠، والتمهيد لابن عبد البر ج ٦ ص ٢ وج ١٨ ص ٨٣، وموارد الظمان للهيتمي ج ٦ ص ٣٨، وكتر العمال ج ١ ص ١١٣ وج ٢ ص ٤٠٩، وجامع البيان للطبري ج ٩ ص ١٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم ج ٥ ص ١٦١٢، وتفسير السمرقندي ج ١ ص ٥٧٧، وتفسير السمعي ج ٦ ص ١٧١، وتفسير البغوي ج ٢ ص ٢١١، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٣٣٣، وتفسير الرازي ج ١٥ ص ٤٦، وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٣١٤ وج ١٤ ص ٢٨، ودقائق التفسير لابن تيمية ج ٢ ص ١٦٨، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٣، والدر المنثور ج ٣ ص ١٤٢، وتفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٩٠، وفتح القدير ج ٢ ص ٢٦٣، وتفسير الآلوسي ج ٩ ص ١٠٣، وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٤ ص ٧٠، وتاريخ الطبري ج ١ ص ٩١، والبداية والنهاية ج ١ ص ٩٩، وقصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ٤٨، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٦٦.

(١) راجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٤٤ و ٤٥ وشرح صحيح مسلم للنووي (ط دار الكتب العلمية) ج ١٦ ص ١٩٠ و ١٩١ والمحلى لابن حزم =

٤ - أحاديث: أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها^(١).

= ج ١١ ص ٣٤ ومغني المحتاج للشربيني ج ٣ ص ٣٣٨ وراجع: نيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٨٣ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٣٠٢ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٨ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ١٠٢ وتفسير الميزان ج ١٤ ص ٣٥٤ وتفسير القرطبي ج ١ ص ١٩٤ وج ١٢ ص ٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٢٠ وراجع ج ٣ ص ٢١٧ والدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٥ وفتح القدير ج ٣ ص ٤٣٨ وتفسير الألوسي ج ٧ ص ٨٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ٢٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٤ ص ١٩٥ وراجع: الديباج على مسلم ج ٦ ص ٧ وتفسير البغوي ج ١ ص ٢٧٨ وج ٣ ص ٢٣.

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٧٩ و ١٠٤ وج ٧ ص ٢١٠ وج ٨ ص ١٨٨ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٤٤ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٩ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٢١ وج ١٠ ص ٢٦٦ وشرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ١٩٢ وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٢٩ و ١٣٠ و ٢١٣ وج ٢٣ ص ١٤٥ وج ٢٥ ص ١٣٩ والديباج على مسلم ج ٦ ص ٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٩ ومسند ابن الجعد ص ٣٨٠ وكتاب السنة لعمر بن أبي عاصم ص ٧٧ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٨ ص ١٠١ والأذكار النووية ص ٤٠٦ ورياض الصالحين ص ٢٣٤ والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٣٣٣ وجامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١١٤ وفيض القدير ج ٢ ص ٢٢٤ وج ٦ ص ٣١٤ وفتح القدير ج ٣ ص ٤٣٨ وتفسير الميزان ج ١٤ ص ٣٥٤ وتفسير ابن زنين ج ٢ ص ٣٠٩ وتفسير السلمي ج ١ ص ٣٣٨ =

وقد سئل «صلى الله عليه وآله»: فلم يعمل العاملون؟
فقال: كُلُّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ لِمَا يَسَّرُ لَهُ^(١). أَوْ اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيَّسَّرٌ لِمَا
خُلِقَ لَهُ^(٢).

= وتفسير السمعاني ج ٢ ص ١٧٧ وتفسير البغوي ج ١ ص ٢٧٨ وأحكام القرآن
لابن عربي ج ٢ ص ٣٣٥ وتفسير الرازي ج ٢ ص ٤٧ وتفسير القرطبي ج ١
ص ١٩٤ وج ١٨ ص ١٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٩١ وج ٢ ص ٢١٨
وج ٣ ص ٢٥١ و ٢٥٩ والدر المشور ج ٤ ص ٣٤٥ والكامل لابن عدي ج ٣
ص ٢٩٩ وكنتز العمال ج ١ ص ١١٢ و ١٢٢ و ٣٦٠ وأضواء البيان للشنقيطي
ج ٨ ص ١٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٤ ص ١٩٥ وتهذيب الكمال ج ١٠
ص ١١٤.

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٧ ص ٢١٠ وفتح الباري ج ١١ ص ٤٣٢
وعمدة القاري ج ٢٣ ص ١٤٨ والمعجم الكبير ج ١٨ ص ١٣١ ومسنند أحمد ج ٤
ص ٤٢٧ ومسنند أبي داود الطيالسي ص ١١١ وراجع: منتخب مسند عبد بن
حميد ص ٣٧ وسنن أبي داود (مطبوع مع عون المعبود) ج ١٢ ص ٤٥٨ و ٤٧٦
والذهب الأبريز ص ٢٦.

(٢) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٦ ص ٨٦ وج ٨ ص ٢١٥ وصحيح مسلم (ط
دار الفكر) ج ٨ ص ٤٧ و ٤٨ ومسنند أحمد ج ١ ص ٦ و ٨٢ و ١٥٧ وج ٣
ص ٣٠٤ وج ٤ ص ٦٧ و ٤٣١ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٠ و ٣٥ وج ٢ ص ٧٢٥
وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤١٥ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٣٠٢ وشرح مسلم
للنووي ج ١٦ ص ٢١٤ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٤ و ١٩٥
وفتح الباري ج ١١ ص ٤٣٥ وعمدة القاري ج ٢٥ ص ١٩٥ والديباج على مسلم
ج ٦ ص ١٠ ومسنند أبي داود ص ١١٣ والأدب المفرد للبخاري ص ١٩٣ =

أي أنه إذا كان قد خلق للعمل الصالح، فإن العمل الصالح هو الذي يكون ميسوراً له، ويكون هو قادراً عليه، ولا يقدر على غيره، وكذلك الحال لو كان قد خلق للعمل السيء، فإنه يكون قادراً عليه، ولا يقدر على عمل الخير..

الشيعية بريئون من الجبر:

ومهما يكن من أمر، فإن طائفة كبيرة من المسلمين ترى أن القدر يشمل أفعال العباد، بل يشمل أفعال الله أيضاً.. وينكر الشيعة ذلك في الموردين، فيرون - وفقاً لتعاليم أئمتهم «عليهم السلام» - أن الله قادر على إجبار عباده، ولكنه لا يفعل ذلك.. كما أن له المشيئة فيما قضاه وقدره تبارك وتعالى.. وليس محكوماً بقدره.

من سلبيات تعميم القدر لأفعال العباد:

ومن الواضح: أن تعميم القدر إلى جميع أفعال العباد، يجعل كل كفر وشرك، ومعصية، بقدر وبقضاء حتمي، ولا يمكن لأي عبد أن يتخلف عما قدره الله تعالى له.

= وخلق أفعال العباد للبخاري ص ٥٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٥١٧
 والمعجم الأوسط ج ٤ ص ١٤٤ وج ٥ ص ١٣٥ والمعجم الصغير ج ١ ص ٢٥٥
 والمعجم الكبير ج ١ ص ٦٤ و ٢٣٧ وج ٧ ص ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ وج ١٨
 ص ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ وعوالي اللآلي ج ٤ ص ١٢٢ والبحار ج ٤ ص ٢٨٢
 وج ٦٤ ص ١١٩ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٩٠ ومصادر أخرى كثيرة.

وقد صرح الأشعري بذلك، حين أعلن توبته عن مذهب الإعتزال والتزام خط أهل السنة، التي هي عقائد أهل الحديث، مع شيء من التلطيف والتخفيف، والعدول عن التصريح إلى التلويح، فقد قال إنه تاب عن قوله: «إن أفعال الشر أنا أفعالها»^(١).

فهذا يشير إلى أنه أصبح يرى أن الله هو الذي يفعل أفعال الشر. وصرحوا أيضاً: بأنه «لا خالق إلا الله، وأن سيئات العباد يخلقها الله»^(٢). فإذا كان القدر حاكماً على تلك الأفعال، التي هي في الحقيقة أفعال الله، لأنه هو خالقها، فالقدر حاكم على الله مباشرة، وقد سلبه الإختيار، ولم يعد قادراً إلا على فعل ما جرى به القدر، على قاعدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعِ اللَّهُ مَغْلُولَةً﴾^(٣).

قال ابن الحجاج:

المجبرون يجادلون بباطل	وخلاف ما يجدونه في القرآن
كل مقالته الإله أضلني	وأراد بي ما كان عنه نهائي
أيقول ربك للخلائق آمنوا	جهرأً ويحبرهم على العصيان
إن صح ذا فتعودوا من ربكم	وذروا تعودكم من الشيطان ^(٤)

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٣١ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٨٥

وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢٤ ص ١٥٥ والوافي بالوفيات ج ٢٠ ص ١٣٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٢١ والإلهيات للسبحاني ص ٦٠٨.

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة.

(٤) راجع: الطرائف لابن طاووس ص ٣٢٠.

وما أجرأهم أيضاً بقول الآخر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

الجبر واليهود، والمشركون:

وقد ذكرنا في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير»: أن عقيدة الجبر هي من بقايا عقائد أهل الكتاب، وقد صرحت بها كتبهم المحرفة بصورة واضحة، فراجع: التوراة، والتلمود، والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(١).

وقد كان سكان الجزيرة على احتكاك متواصل باليهود، الذين يعتقدون بالجبر، وخصوصاً الفريسيين منهم، فقد كان: «الفريسيون من اليهود لا يرون للإنسان إرادة، ولا اختياراً، ولا تأثيراً، ولا جزءاً كسبياً، ولذا لا يرونه جديراً بالمدح والثناء، لأن فعل الله فعل بيده»^(٢).

الحكام ومقولة الجبر:

وقد راقمت مقولة الجبر الإلهي هذه للحكام والمتسلطين، فسعوا إلى نشرها، وتحمل الناس عليها، لأن هذه العقيدة تجعل الناس يستكينون لحكمهم، ويخضعون لسلطانهم، مهما صدر منهم من ظلم وعسف، وبه

(١) الآية ٣٥ من سورة النحل.

(٢) هل نحن مسيرون أم نخيرون للزعبي ص ٢٦.

يبررون للناس كل ما ارتكبه من جرائم وموبقات، وهم يفرضون على الناس من خلال هذه العقيدة كل ما يحلو لهم، أو يخطر على بالهم، وبه احتج معاوية لصحة ما أقدم عليه من فرض ولده يزيد المجرم والطاغى والفساد، على الناس من بعده، فقد قال لعائشه تارة ولابن عمر أخرى: «وإن أمر يزيد قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرة في أمرهم»^(١).

واحتج به عمر بن سعد «لعنه الله» لقتله الإمام الحسين «عليه السلام»، فقد قال له ابن مطيع: اخترت همدان والريّ على قتل ابن عمك؟! فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: كانت أموراً قضيت من السماء. وقد أعذرت إلى ابن عمي قبل الواقعة^(٢).

وحين ذكرت عائشة لأبي قتادة ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله»، في حق الخوارج، وأن الذي يقتلهم أحبهم إليّ، أحبهم إلى الله. فقال لها أبو قتادة: يا أم المؤمنين، فأنت تعلمين هذا فلم كان منك؟! قالت: يا أبا قتادة! ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(٣).

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٨٢ و ١٨٣ و (ط مؤسسة الحلبي) تحقيق الزيني ج ١ ص ١٥٨ و ١٦١ و (ط أمير قم) تحقيق الشيري ج ١ ص ٢٠٥ و ٢١٠ والغدير ج ١٠ ص ٢٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ١١٠ و (ط دار صادر) ص ١٤٨، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٥٥.

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأحزاب.

(٤) تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ١٧٢ والمحاسن والمساوي للبيهقي ج ١ ص ٤٧١ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ٣٨ و ٣٩ ونور الثقلين =

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ١٩٧
فهي تبرر حرب الجمل وقتل المئات أو الألوف من المسلمين بالقدر
الإلهي !!

وحين سألت أم الحارث الأنصارية عمر بن الخطاب عن سبب فراره
يوم حنين، قال: أمر الله^(١). وأجاب نسيبة بنت كعب المازنية بذلك أيضاً^(٢)،
وكذا الحال بالنسبة لأبي قتادة الأنصاري^(٣).

وبهذه العقيدة استدل خالد بن الوليد لقتل مالك بن نويرة، وبرر بها
عثمان تمسكه بالحكم إلى أن قتل، وبرر بها معاوية والمنصور منع الناس

= (تفسير) ج ٤ ص ٢٧٦ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥٧ والبحار ج ٣٥ ص ٢٢٢
وعن الطرائف ص ٣٠، والدر النظيم ص ٣٣٥.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦٢٤ وراجع ص ٦٢٣ عن البخاري،
وبقية الجماعة، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٣٦ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٨٧
والبحار ج ٢١ ص ١٥٠ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٠٤.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٧ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٣١ وشجرة طوبى ج ٢
ص ٣٠٨ والبحار ج ٢١ ص ١٥٠ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٠٦ وتفسير
نور الثقلين ج ٢ ص ١٩٩.

(٣) السيرة النبوية لدحلان (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٠٩ والسيرة الحلبية ج ٣
ص ١٠٨ و (ط دار المعرفة) ص ٦٥ والآحاد والمثاني ج ٣ ص ٤٣٥ والمتقى من
السنن المستندة ص ٢٧٠ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٢٦ وصحيح ابن حبان
ج ١١ ص ١٣١ و ١٦٨ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٥ ص ١١٧
والإستذكار ج ٥ ص ٥٩ والتمهيد ج ٢٣ ص ٢٤٢ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٩٥
وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٤٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٨٤
والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦٢٣.

حقوقهم في بيت مال المسلمين..

وبها برر عمر بن الخطاب تمزيقه لكتاب كان قد كتبه في إرث الجدة.
إلى غير ذلك من موارد كثيرة.. لا مجال لحصرها، غير أننا ذكرنا طائفة
من المصادر لها في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير»^(١).
والبحث في هذه الموضوعات طويل ومتشعب، نكتفي منه بما ذكرناه..

رواية أهل البيت ﷺ لحديث جف القلم:

وبعد.. فإن جميع ما ذكرناه لا يعني أن حديث «جف القلم» مكذوب
ومختلق من أساسه.

إذ إن أهل البيت «عليهم السلام» وهم سفينة نوح، قد رووا لنا النص
الصحيح لأحاديث القلم^(٢)، وفسروه وبينوا معناه، فأخذه عنهم شيعتهم،
فأمنوا من الوقوع في الشبهات..

(١) راجع: أهل البيت في آية التطهير (الطبعة الثانية) ص ١٣٠ و ١٣١.

(٢) راجع: تفسير القمي (مطبعة النجف) ج ٢ ص ١٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٨
ص ٥٨٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي
ج ٩ ص ١٩٣ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ١٣٤ والتفسير الصافي ج ٤ ص ٢١٠
وج ٥ ص ٢٠٧ وج ٦ ص ٨٠ وج ٧ ص ٢٥٨ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٩
وج ٥ ص ٣٨٩ وراجع ج ١ ص ٤٣٢ وراجع: علل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية)
ج ١ ص ١٩ والبحار ج ١١ ص ٢٢٣ وج ٥٤ ص ٣٦٩ وجامع أحاديث الشيعة
ج ٢٠ ص ٣٩٤ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٣٤٠ ومعاني الأخبار ص ٢٣
ومجمع البيان ج ١٠ ص ٨٨.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ١٩٩

ولكن غير أتباع أهل البيت «عليهم السلام» لم يوردوا الحديث على وجهه، بل قد زيد فيه ونُقِّص، أو أُعطي معنى غير معناه.

إذ إن بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام» قد صرحت بما يدفع شبهة الجبر الإلهي، وتخطئة من حاول أن يلصق هذه العقيدة بمعنى هذا الحديث.

فقد روى محمد بن مروان عن الإمام الصادق «عليه السلام»، أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١): «نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن. قال: فأمر الله القلم، فجرى بها هو كائن، وما يكون فهو بين يديه موضوع، ما شاء منه زاد فيه، وما شاء نقص منه، وما شاء كان، وما لا يشاء لا يكون»^(٢).

وهذا يدل على: أن ما جرى به القلم إنما هو ما تقتضيه السنن التي أودعها الله تعالى في الكائنات، بحسب ما لها من استعدادات، ووفق اقتضاء ما فيها من ميزات وخصائص..

غير أن هذه السنن لا تمنع من التدخل الإلهي، ولو من خلال الهيمنة عليها بسنن أرقى منها، فيكون البدء فيها حتى لو كتبها القلم في لوح المحو والإثبات..

أما ما كتبه القلم في أمّ الكتاب، وهو الكتاب المكنون، والمطابق لعلمه

(١) الآية ١ من سورة القلم.

(٢) راجع: تفسير العياشي ج ١ ص ٤٧ و (ط المكتبة العلمية الإسلامية) ص ٣٠

ومدينة المعاجز ج ٥ ص ١٨٩ والبحار ج ٥٤ ص ٣٦٩ وج ٩٦ ص ٢٠٤

ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٨٤.

٢٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

تعالى وهو أم الكتاب، والأصل الذي يقاس عليه ما سواه، فإنه لا بداء فيه، بل يكون البداء منه، ويجب مطابقة ما في لوح المحو والإثبات له.. من حيث إجراء السنن أو التحكم فيها.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن الروايات قد صرحت: بأنه بعد أن يكتب القلم فيه يختم على فم القلم، فلا ينطق أبداً.. وهذا ما أشارت إليه رواية عبد الرحيم القصير عن الإمام الصادق «عليه السلام»^(١).

ورواية يحيى بن أبي العلاء^(٢)، فراجع.

فتلخص أن روايات أهل البيت «عليهم السلام» تفيد: أن للقلم كتابتين في لوحين:

إحدهما: في لوح المحو والإثبات، وفيه يكون البداء. ولا يكون منه.
والأخرى: في الكتاب المكنون، الذي هو أم الكتاب، ومنه يكون البداء.. ولا يكون فيه.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ٣٧٩ والبحار ج ٥٤ ص ٣٦٦ ومستدرک البحار ج ٨ ص ٥٨٣ وتفسير الميزان ج ٨ ص ١٦٩ وج ١٨ ص ١٨٢ وج ١٩ ص ٣٧٦ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٩ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٨ وج ٥ ص ٥ و ٢٢٥ و ٣٨٨، ومجمع البحرين للطريحي ج ٤ ص ٢٥٨.

(٢) راجع: علل الشرايع ج ٢ ص ١٠٥ و(ط المكتبة الحيدرية) ص ٤٠٢ والبحار ج ١١ ص ١٠٨ وج ٥٤ ص ٣٦٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج ٩ ص ١٩١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٢٠٧ وج ٧ ص ٢٥٧ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٨ وج ٥ ص ٦١ و ٣٨٧.

المخلوق الأول:

ويبقى هنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو: أن أحاديث القلم قد صرحت: بأنه هو أول ما خلقه الله تعالى، مع أن ثمة روايات تفيد غير ذلك، فقد روي:

١ - عن سماعة عن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن الله عز وجل خلق العقل، وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرمتك على جميع خلقي...^(١).

٢ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قلت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير^(٢).

(١) راجع: الكافي ج ١ ص ٢٠ والخصال للصدوق ص ٥٨٩ وعلل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١١٤ وشرح أصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ ومشكاة الأنوار ص ٤٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٢٩١ والجواهر السنية ص ٣٣١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٢٩١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج ٢ ص ٤١٢ وج ٦ ص ٢١٠ وج ١٢ ص ١٥٥.

(٢) راجع: البحار ج ١٥ ص ٢٤ وج ٢٥ ص ٢٢ وج ٥٤ ص ١٧٠ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ١٤ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص ٤٠٠ وكشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٥ وتفسير الميزان ج ١ ص ١٢١ وتفسير الآلوسي ج ١ ص ٥١ وينابيع المودة للقندوزي ج ١ ص ٥٦ ومجمع النورين للمرندي ص ٢٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٢٤٠.

وفي رواية أخرى: أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمتة^(١).

وفي رواية ثالثة: أول ما خلق الله نوري، ففتق منه نور علي، ثم خلق العرش واللوح، والشمس وضوء النهار، ونور الأبصار والعقل والمعرفة^(٢).
ونقول في الجواب:

١ - أما بالنسبة للعقل، فقد صرحت الرواية المتقدمة: أنه أول خلق من الروحانيين.

٢ - إن هذه الكلمة: «أول ما خلق الله القلم» لم ترد إلا في رواية القمي عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام. وهي لا تعارض الروايات الآنفة الذكر. فإن روايات القلم قد صرحت: بأنه قد كتب ما كان وما يكون. وهذا يدل على: أن ثمة ما هو مخلوق وكائن قبل ذلك. وهو نور رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو النور، أو العقل أو غير ذلك..
ولعلك تقول:

إن خلق القلم لا يعني الكتابة، فلعله خلق القلم أولاً، ثم بعد برهة أمره بكتابة ما كان وجري، منذ خلق القلم إلى حين الكتابة به..

(١) راجع: البحار ج ١٥ ص ٢٤ و ٩٧ وج ٢٥ ص ٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٤ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص ٤٠٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٢٤٠ ومشارك أنوار اليقين للبرسي ص ٥٧.

(٢) راجع: البحار ج ٢٥ ص ٢٢ وج ٥٤ ص ١٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٤ والخصائص الفاطمية ج ١ ص ٣١٩.

فإنه يجاب:

بأن الرواية قد عطفت الأمر بالكتابة على خلق القلم بواسطة الفاء الدالة على التعقيب المباشر، ومن دون مهلة..

على أن روايات أولية خلق العقل، وكذلك روايات خلق النور، أو خلق نور النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» لا تتعارض مع روايات أولية خلق القلم، فإن بعض الروايات قد صرحت بإرادة معان منها، تؤدي إلى التوافق بينها، فالقلم، والعقل، والنور قد فسرت أو طبقت على النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» بصورة أو بأخرى. ومع غض النظر عن ذلك كله، فإن وجود هذه الروايات يشير إلى أن المقصود بالأولية هو: الأولوية النسبية. أي أنه بالنسبة لتقدير شؤون الخلق، فالمخلوق الأول هو القلم ولا غيره..

كما أن المقصود بأولية خلق العقل هو أوليته بالنسبة للروحانيين.

قال المجلسي: «وقيل: أول المخلوقات النار. كما مر، وقد مر (في) بعض الأخبار: أن أول ما خلق الله النور، وفي بعضها: نور النبي «صلى الله عليه وآله»، وفي بعضها: نوره مع أنوار الأئمة «عليهم السلام»، وفي بعض الأخبار العامة عن النبي «صلى الله عليه وآله» أول ما خلق الله روعي، فيمكن أن يكون المراد بالجميع واحداً، ويكون خلق الأرواح قبل خلق الماء وسائر الأجسام، وتكون أولية الماء بالنسبة إلى العناصر والأفلاك، فإن بعض الأخبار يدل على تقدم خلق الملائكة على خلق العناصر والأفلاك كما مر، ودلت الأخبار الكثيرة على تقدم خلق أرواحهم وأنوارهم «عليهم

٣- وفد بني شيبان:

عن قيلة بنت مخزومة العنبرية التميمية^(٢) قالت: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله مع وفد شيبان، وهو قاعد القرفصاء، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله متخشعاً في الجلسة أُرعدت من الفرق. فقال جليسه: يا رسول الله أُرعدت المسكينة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله - ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره -: «يا مسكينة عليك السكينة».

فلما قالها أذهب الله ما كان أدخل قلبي من الرعب.

وتقدم صاحبي أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه، ثم قال: يا رسول الله، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء، لا يجاوزنا إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور.

فقال: «يا غلام، اكتب له بالدهناء».

فلما رأيته أمر له بأن يكتب له بها شخص بي، وهي وطني وداري، فقلت: يا رسول الله، إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدهناء عندك مقيد الجمل ومرعى الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك.

(١) البحار ج ٥٤ ص ٣٠٩.

(٢) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٥ والإصابة ج ٤ ص ٣٩١ والاستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٤٩٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣١٩، وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١٠٨.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢٠٥

فقال: «أمسك يا غلام، صدقت المسكينة، المسلم أخو المسلم، يسعها الماء والشجر، ويتعاونان على الفتان»^(١).

فلما رأى حريث (بن حسان الشيباني وافد بكر بن وائل) أن قد حيل دون كتابه ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: كنت أنا وأنت كما قيل: «حتفها تحمل ضأن بأظلافها».

فقلت: أما والله إن كنت لدليلاً في الظلماء، جواداً بذى الرحل، عفيفاً عن الرفيقة، حتى قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن لا تلمني على حظي إذ سألت حظك.

فقال: وما حظك في الدهناء لا أبا لك؟

فقلت: مقيد جملي تسأله لجمال امرأتك.

فقال: لا جرم أني أشهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أني لك أخ ما حييت، إذ أثنت هذا عليّ عنده.

فقلت: إذ بدأتها فلن أضيعها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أيلام ابن ذؤ أن يفصل الخطة ويتنصر من وراء الحجرة»، فبكيت ثم قلت: «والله، كنت ولدته يا رسول الله حازماً، فقاتل معك يوم الربرة، ثم ذهب يحيرني من خير فأصابته حماها وترك علي النساء».

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١ والمجموع للنووي ج ١٥ ص ٢٢٩ ونيل الأوطار ج ٦ ص ٥٩ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٥٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ١٥٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣١٩ والإصابة ج ٨ ص ٢٩٠.

فقال: «والذي نفس محمد بيده لو لم تكوني مسكينة لجررتك اليوم على وجهك، أو لجررت على وجهك» شك عبد الله، «أغلب أحيدهم أن يصاحب صويجه في الدنيا معروفاً، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع». ثم قال: «رب أنسني ما أمضيت، وأعني على ما أبقيت، والذي نفس محمد بيده إن أحيدهم ليبيكي فيستعبر إليه صويجه، فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم».

وكتب لها في قطعة من أديم أحمر لقيمة وللنسوة بنات قيمة: «ألا يظلمن حقاً، ولا يكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم لمن نصير، أحسن ولا تسئن»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٨ عن ابن سعد، وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٥٨، وذكره الهيثمي في المجمع ج ٦ ص ١٢ - ١٥. وقد نقل العلامة الأحدي «رحمه الله» هذا الكتاب أيضاً في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٣٩٨ عن: كنز العمال ج ٢ ص ٢٨٧ وفي (ط الهند) ج ٤ ص ٢٧٤ (عن الطبراني في الكبير) واللفظ له، والطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ٥٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٢ والإصابة ج ٤ ص ٣٩٣ ورسالات نبوية ص ٢٤٦ وبلاغات النساء ص ١٢٧ والعقد الفريد ج ٢ ص ٤٧ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٤٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٥٦ / ١٤٢ (عن الطبقات، وسنن أبي داود ج ١٩ ص ٣٦ والعقد الفريد، وقال: قابل الاستيعاب ص ٤٢٩، نساء ٢٤٠، ومعجم الصحابة لابن قانع (خطية) ورقة ٣١ - ألف - ب وانظر كاتاني ٩١/٩.

وقالوا: إن سبب إعطاء الكتاب لقيلة أنها كانت تحت حبيب بن أزر، فولدت له ثلاث بنات، فتوفي عنها زوجها، فانتزع ابن أخي زوجها (عمرو بن أثوب بن أزر) بناتها منها، فوفدت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تبتغي الصحبة، فلما أرادت السفر بكت جويرية منهن، وهي أصغرهن، فحملتها معها، فلما ركب الطريق، فإذا أثوب يطلبها ليأخذ الجارية منها، فأخذها. فسارت قيلة مع وافد بكر بن وائل إلى أن وردت المدينة، فكتب لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا الكتاب^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة:

تشابه الأحداث:

إن ما ذكره آنفاً عن قيلة بنت مخزومة يشبه إلى حد بعيد ما ذكره في وفادة الحارث بن حسان - وقد ذكرنا هذه الوفادة في فصل «وفادات الأفراد». بل الظاهر: أن هذه الوفادة هي نفس تلك، إذ كما كانت مشكلة الحارث بن حسان مع امرأة تميمية وهو بكري، وكانت المشكلة مع بني تميم، كذلك الحال بالنسبة لقيلة فإنها تميمية، ومشكلة حريث كانت مع بني

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٤٠٠ عن المصادر التالية: مجمع الزوائد ج ٦ ص ٩ و ١٠ والإصابة ج ٤ ص ٣٩٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٥٨ ورسالات نبوية ص ٢٤٦ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٥.

تميم أيضاً وحريث أيضاً بكري..

وكما أن الحارث بن حسان قد حمل المرأة التميمية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكانت منقطعاً بها، فكذلك الحال بالنسبة لقيلة، فإن صاحبها هو الذي حملها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا كان اسم الأول الحارث بن حسان، فإن اسم الآخر: حريث بن حسان أيضاً، وكلاهما كان بكرياً.

وكما أن الأول تأسف وندم، واعتبر نفسه مصداقاً لمعزى تحمل حتفها.. كذلك فإن هذا الآخر تأسف وندم لأنه فعل ذلك، واعتبر نفسه كضأن تحمل حتفها بأظلافها.

وكان محور التنازع في تلك هو جعل الدهناء حاجزاً لتميم وهذا نفسه هو محور التنازع هنا أيضاً..

فهما واقعة واحدة اشتبه الرواة في بعض عناصرها، وتطبيقاتها، ثم جاء جماعو الأحاديث فظنوا تعددها، ودونوها وفق هذا التصور؟!

وربما تكون الأغراض القبلية أو سواها وراء تنقل بعض الأحداث أو بعض الفضائل من شخص إلى شخص أو من موقع إلى موقع، وفق ما يتيسر لطلابها، والمستفيدين منها غير أننا لا نشك في أن الكلام في الموردين إنما هو عن واقعة واحدة اشتبه الأمر فيها على بعض قاصري النظر، فظن تعددها ولا شيء أكثر من ذلك..

أرعدت من الفرق:

وقد ذكرت الرواية آنفاً: أن قيلة بنت مخزومة قد أرعدت من الفرق لما

رأت النبي «صلى الله عليه وآله» جالساً متخشعاً.

ونحن نشك في صحة ذلك، فإن تخشع الرجل في جلسته لا يوجب الرعب لدى الآخرين، ولا يكون سبباً في إصابتهم بالرعدة.. يضاف إلى ذلك: أن الناس وإن كانوا يهابون رسول الله «صلى الله عليه وآله». لكنها هبة الإكرام والاحترام، والمحبة، والإكبار، ولم يكونوا يخافون منه إلى حد الرعب، وإصابتهم بالرعدة من الفرق.. فهو «صلى الله عليه وآله» كان بين أصحابه، بحيث إن الرجل كان يدخل على المسلمين فلا يميز رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غيره ويسأل أيكم محمد؟^(١) أو أيكم رسول الله؟^(٢)

الطعن في النبوة:

وقد تضمنت الرواية السابقة طعناً في النبوة:

أولاً: لأنها تنسب للنبي «صلى الله عليه وآله» التسرع في اتخاذ القرار،

(١) الثاقب في المناقب للطوسي ص ٣١٦ والبحار ج ٤١ ص ٢٣٠ وج ٤٣ ص ٣٣٤ وج ٩١ ص ٥ ومسند احمد ج ٣ ص ١٦٨ وج ٥ ص ٦٤ وصحيح البخاري ج ١ ص ٢٣ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤٩ وسنن أبي داود ج ١ ص ١١٧ وسنن النسائي ج ٤ ص ١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٤٤ وعمدة القاري ج ١ ص ٢٦٧ وج ٢ ص ١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٦٢ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ١٧١ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٦٣.

(٢) مسند احمد ج ٣ ص ١٦٨ وج ٥ ص ٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤٤٤ وعمدة القاري ج ١ ص ٢٦٧ وج ٢ ص ١٩ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٥١٧ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٢٨٨ وتهذيب الكمال ج ١٩ ص ٢٧٠.

دون الثبوت من أصحاب العلاقة، واستيضاح الأمر..

ثانياً: إنها تنسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» الخطأ ثم التراجع عنه.

ثالثاً: إنها تصرح بصدق المرأة، وصحة رأيها الذي جاء على خلاف رأي «صلى الله عليه وآله»، ربما لتصدق مقولة عمر: «امرأة أصابت ورجل أخطأ».

رابعاً: إن كلام حريث بن حسان قد تضمن ما يدل على أنه يريد أن يحرم تمياً من الدهناء، وهي مرعى غنمها، ومقيل جالها، ويريد أيضاً أن يقيد حريتها في التحرك، ويحجزها عن بني بكر، مع أن العدل قد يقضي بعكس ذلك، أو على الأقل أن يجعل الدهناء نصفين، فلماذا يعطي البكرين مواضع يكون التميميون أحق بها؟! ولماذا لم يلتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن حسناً لم يكن عادلاً حين لم يطلب منه السوية في الأرض؟! بل طلب أن يعطيه وطن غيره وداره، مع أن كل أحد يدرك أن هذا الطلب غير منصف.

لو لم تكوني مسكينة:

وأما بالنسبة لتهديد النبي «صلى الله عليه وآله» لقيلة بأنها لو لم تكن مسكينة لجروها على وجهها، فهو أعجب وأغرب..

أولاً: لأنها لم ترتكب ذنباً تستحق العقوبة عليه، بل غاية ما صدر منها هو أنها تحسرت على ابنها الذي قاتل معه يوم الربرة، ثم ضربته الحمى، فقتلته، وترك النساء عبثاً عليها. وليس في هذا الكلام أي غضاضة، أو جرأة أو اعتراض على مقام العزة الإلهية، ولم يظهر منها أنها تأبى عن

الاسترجاع، بل فيه تدمير من ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها.

ثانياً: لنفترض أن هذا الكلام تضمن اعتراضاً على الله الذي أمات ولدها وترك عليها البنات، فهل يكون الجر على الوجه من جملة العقوبات التي جاءت بها الشريعة؟!

ثالثاً: لم نعرف ما قصده من يوم الربذة الذي قاتل فيه المسلمون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان ابنها معهم..

رابعاً: هل الفقر يعفي الإنسان من العقوبة على ما يصدر منه من مظالم ومآثم؟! فإن يكن الجواب بنعم، فلماذا إذن كان «صلى الله عليه وآله»، وكذلك كل من جاء بعده لا يفرقون في عقوباتهم بين مسكين وغيره؟.. وإن كان الجواب بلا، فلماذا أعفى النبي «صلى الله عليه وآله» قيلة من العقوبة هنا؟

٤- وفد الأشعريين:

عن معمر قال: بلغني أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان جالساً في أصحابه يوماً، فقال: «اللهم انج أصحاب السفينة». ثم مكث ساعة فقال: «استمدت».

فلما دنوا من المدينة قال: «قد جاؤوا يقودهم رجل صالح». قال: «والذين كانوا معه في السفينة الأشعريون، والذين قادهم عمرو بن الحمق الخزاعي».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أين جئتم؟» قالوا: من زبيد.

قال: «بارك الله في زيد».

قالوا: وفي زمع.

قال: «وبارك الله في زيد».

قالوا: وفي زمع.

قال في الثالثة: «وفي زمع»^(١).

وروا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلباً».

فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون:

غداً نلقى الأحبة
محمداً وحزبه^(٢)

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٣ وفي هامشه عن عبد الرزاق (١٩٨٩٠) والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٤٩٦ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ١٠٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٣ عن ابن سعد، وأحمد، والبيهقي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٤ عن أحمد وغيره، ومسند أحمد ج ٣ ص ١٠٥ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٧٣ ومنتخب مسند عبد بن حميد لابن نصر الكشي ص ٤١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٩٣ ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٤٥٤ وصحيح ابن حبان ج ١٦ ص ١٦٥ وكتاب الأوائل للطبراني ص ٤١ وتفسير السلمى ج ١ ص ٦٣ وتفسير البحر المحيط ج ١ ص ٣٤٢ و٤٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٤٨ وج ٤ ص ١٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٤٧٥ وتهذيب الكمال ج ١٥ ص ٤٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ١٤١.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢١٣

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «أناكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيثار، والحكمة بيانية، السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر»^(١).

وعن جبير بن مطعم قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «أناكم أهل اليمن كأنهم السحاب، وهم خيار من في الأرض». فقال رجل من الأنصار: إلا نحن يا رسول الله؟ فسكت.

ثم قال: إلا نحن يا رسول الله؟
(وفي الثالثة قال:) فقال: «إلا أنتم كلمة ضعيفة»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٤ عن البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢١٩، وأحمد في المسند ج ٢ ص ٢٣٥ و ٤٧٤، والطبراني في الكبير ج ٢ ص ١٣٤، والبيهقي في السنن ج ١ ص ٣٨٦، والخطيب في التاريخ ج ١١ ص ٣٧٧، وسنن الدارمي ج ١ ص ٣٧ وصحيح مسلم ج ١ ص ٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣٨٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٤ ومسنند ابن راهويه ج ١ ص ٢٣ وصحيح ابن حبان ج ١٦ ص ٢٨٦ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٤ ص ١٣٠ ومسنند الشاميين للطبراني ج ٤ ص ١٧٢.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٤ وفي هامشه عن: دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٥٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦٤ عن أحمد، والبخاري، والطبراني وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص ١٢٧ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٣١٠.

٢١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

زاد محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قوله: ولما لقوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسلموا وبايعوا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك»^(١).

قال الزرقاني: ولا إشكال، لأن المراد في أرضهم^(٢).

ونقول:

لا مجال لقبول هذه المدائح لقوم لم يقدموا شيئاً للإسلام، فهي من موضوعات محبيهم لسبب أو لآخر..

ثم إن مجيء الأشعريين مع أبي موسى كان عند فتح خيبر سنة سبع، وقد تقدم ذكر ذلك في غزوة خيبر، غير أننا نذكر هنا ما لم نعرض له هناك، فنقول:

هل الأشعريون أفضل أهل الأرض!؟:

زعمت الرواية المتقدمة: أن أهل اليمن، أو الأشعريين هم خيار أهل الأرض، وقد سكّت النبي «صلى الله عليه وآله» حين سأله الأنصاري أن

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٤ عن زاد المعاد، وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٧٩، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٩٧٥).

والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٤ و ١٦٥ والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٤٧٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦٤ و ١٦٥.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢١٥

يستثني الصحابة أو الأنصار، ثم استثناهم بعد الإصرار عليه بكلمة ضعيفة، مع أن من المقطوع به أن في صحابته «صلى الله عليه وآله» من هو أفضل من جميع الأشعرين، مثل: سلمان، وعمار، والمقداد وكثير من غيرهم.

وقد حاول الزرقاني أن يجيب عن ذلك فقال: «وأما سكوته مرتين عن استثناء الأنصار مع أن فيهم من هو أفضل قطعاً، لأن فيهم من هو من أهل بدر وبيعة الرضوان، فلعله لثلا يغتروا أو يتكلموا على التفضيل. ولذا قال بعد الثالثة كلمة ضعيفة الخ...»^(١).

ونقول:

أولاً: إن هذا لا يبرر أن يغط الناس حقهم، وتنسب فضائلهم إلى غيرهم.

ثانياً: إذا كان ذلك يضر بحال الأنصار والمهاجرين فهو يضر أيضاً بحال أهل اليمن والأشعرين، إذ قد يتكلمون على هذا التفضيل أيضاً.

الإيمان والحكمة يمانيان:

وقد يقال: لا مجال لقبول وصف هؤلاء القادمين بأنهم هم أهل الإيمان والحكمة، وكأن غيرهم لا يدانيهم في هذين الأمرين، بل لا مجال لقبوله حتى لو كان المراد به أن موطن الإيمان والحكمة اليمن، وليس كذلك غيرها من البلاد والعباد.

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦٥.

ونقول:

إن هذا الكلام صحيح في نفسه إن كان المقصود باليمن هو تلك البلاد المعروفة البعيدة عن مكة والمدينة..

ولا يصلحه ما زعمه الزرقاني من أن هذا الكلام لا مفهوم له^(١)، لأنه هو نفسه قد زعم أن النبي «صلى الله عليه وآله»، وصف أبا عبيدة بالأمانة، ووصف غيره بأوصاف أخرى وهذا يفيد: أن له تميزاً وخصوصيةً في الأمر الذي وصفه به^(٢).

والصحيح هو: أن المقصود باليمن في كلامه «صلى الله عليه وآله» ما يشمل مكة، إن لم نقل جميع بلاد العرب..

بيان ذلك:

أولاً: قال ابن الأثير: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية». إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة، وهي من تهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال: «الكعبة اليمانية»^(٣).

ولا يتنافى ذلك قوله لعبيدة بن حصن حين كان يعرض الخيل: «لولا الهجرة لكنت أمراً من أهل اليمن»^(٤). إذ يمكن أن يكون المقصود لولا أني

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٦٦.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص.

(٣) النهاية في اللغة ج ٥ ص ٣٠٠ والبحار ج ٢٢ ص ١٣٧ وج ٣٤ ص ٤٥١ وج ٥٧ ص ٢٣٣ وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٩٢ وج ١٦ ص ٢٨٣ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٥ ص ٣٠٠ ومجمع البحرين للطبري ج ٤ ص ٥٨٣.

(٤) البحار ج ٢٢ ص ١٣٦ وج ٥٧ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ والكافي ج ٨ ص ٦٩ - ٧٠.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢١٧

هجرت مكة لكنت اليوم من أهل اليمن. أو لولا أن الهجرة أشرف لعددت نفسي من اليمن، ويؤيده قوله في حنين: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار»^(١).

ثانياً: قيل: أنه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة»^(٢).

ثالثاً: قيل: أراد بهذا القول الأنصار، لأنهم يمانيون، وهم من نصرُوا الإيمان والمؤمنين فأووهم، فنسب الإيمان إليهم»^(٣).

رابعاً: قال الجوهري: «اليمن بلاد العرب»^(٤).

خامساً: وما يزيل كل شبهة وريب هنا أن الذي روي في كتاب جعفر بن محمد بن شريح، هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعبيثة بن حصن، حين كان يعرض الخيل: «كذبت، إن خير الرجال أهل اليمن، والإيمان بيان

(١) البحار ج ٢٢ ص ١٣٧ وج ٥٧ ص ٢٣٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٨٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٨ ص ٤٤.

(٢) النهاية ج ٥ ص ٣٠٠ وشرح مسلم للنووي ج ٢ ص ٣٢ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٧٢ وج ٢٠ ص ٢٩٤ والديباج على مسلم للسيوطي ج ١ ص ٦٧ وتحفة الأحوذ ج ٦ ص ٤٢٣ وغريب الحديث لابن سلام ج ٢ ص ١٦٢.

(٣) النهاية ج ٥ ص ٣٠٠ والبحار ج ٢٢ ص ١٣٧ وج ٥٧ ص ٢٣٣ وفيض القدير للمناوي ج ٣ ص ٢٤٢ والديباج على مسلم للسيوطي ج ١ ص ٦٧ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ٢٩٤ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج ١١ ص ٤٢٨.

(٤) البحار ج ٢٢ ص ١٣٧ وج ٥٧ ص ٢٣٣ وعمدة القاري ج ١ ص ٢٥٤ وج ٢ ص ١٦٨.

٢١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
وأنا يمانى»^(١).

الأشعريون والإعتقادات:

قالوا: وقدم نافع بن زيد الحميري وافداً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لتتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر.

قال: «كان الله ليس شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، فقال له: أكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن، واستوى على عرشه»^(٢).

وقد كان قدوم وفد حمير في سنة تسع، ولهذا اجتمعوا مع بني تميم، فیدل هذا:

أولاً: على أن الحميريين هم الذين سألوا عن أول هذا الأمر، فلا يصح قولهم: إن السؤال عن ذلك كان من الأشعريين، حتى لقد «استنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة «أن الكلام في أصول الدين، وحدوث العالم مستمر لذريتهم، حتى ظهر ذلك في أبي الحسن الأشعري»^(٣)

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٣٢ والأصول الستة عشر ص ٨١.

(٢) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٣ و ١٦٤ عن كتاب الصحابة لابن شاهين، وأسد الغابة ج ٥ ص ٩، والإصابة ج ٦ ص ٣٢٠، وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٥.

(٣) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٤، وفتح الباري ج ٨ ص ٧٦.

(٤) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٦٧ و ١٦٨، وفتح الباري ج ٦ ص ٢٠٧.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢١٩

ولكن قد ذكرنا بعض الكلام المهم حول حديث كتابة القلم لما كان وما يكون إلى يوم القيامة في موضع آخر من الكتاب، فراجع (وفود نافع بن زيد الحميري).

وقلنا هناك: إن من التزم بعقيدة الجبر الإلهي إنما استند في ذلك إلى حديث القلم ونظائره.

فظهر من ذلك:

١ - أن ما زعمه من أن الكلام في العقائد مستمر في ذرية الأشعرين لا يصح، لأن هذا الكلام لم يثبت أنه صدر من الأشعرين.

٢ - قد تقدم: أن الكثيرين قد سألوا عن أول هذا الأمر، وعن كثير من الأمور العقائدية، وكانوا يريدون التفقه في الدين، فراجع.

ثانياً: إن أبا الحسن الأشعري قد حاول أن يتستر على عقيدة الجبر التي أراد الجبريون تأييدها بحديث القلم ونظائره، فلجأ إلى التمويه والتعمية، فجاء بنظرية لا تسمن ولا تغني من جوع، وهي نظرية الكسب التي اقتصر دورها على كونها قد صعبت فهم الجبر على السذج والبسطاء من الناس.

قال ابن روزبهان: «مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري: أن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله تعالى، مكسوبة للعبد. والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته، من غير أن يكون هناك تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له»^(١).

فوجود قدرة العبد مقارنة لفعل الله وخلقه للفعل كعدمها، فهي كالحجر

٢٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

في جنب الإنسان. والفاعل الحقيقي للطاعات والمعاصي عند هؤلاء هو الله وحده. وليس للإنسان في ذلك أي دور.. وهذا القول باطل بلا ريب فراجع كتاب دلائل الصدق وغيره من الكتب العقائدية والكلامية.

عمرو بن الحمق قائد الأشعرين:

وقالوا: إن عمرو بن الحمق الخزاعي كان قد هاجر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بعد الحديبية^(١).

وتقدم: أنه هو الذي قاد وفد الأشعرين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا يلقي ظلالاً من الشك على الروايات الأخرى التي تجاهلت ذكر هذا الشهيد السعيد، الذي وصفه النبي «صلى الله عليه وآله» بالصلاح، وتعمدت ذكر أبي موسى الأشعري، والتنويه به، رغم أنه كان الأصغر سناً وربما شأناً في ذلك الوفد الكبير^(٢).

(١) راجع: الإصابة ج ٢ ص ٥٣٣ وج ٤ ص ٥١٤، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ١٠٠ و(ط دار الجيل) ج ٣ ص ١١٧٣٥٢٤، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٠٠، وفيض القدير ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٥ عن عدد من المصادر وقد ذكرنا شرطاً منها في غزوة خيبر، وذخائر العقبى ص ٢١٣ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٥٥ وج ٥ ص ٧٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧١ وعمدة القاري ج ١٥ ص ٦٠ وج ١٧ ص ٢٥١ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٢ ص ١١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٢ ص ٣١ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٨٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٣٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٩.

وذنّب عمرو بن الحمق الذي استحق به هذا التجاهل أمران:

أحدهما: أنه كان لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ولياً.
والآخر: أنه كان معادياً للنهج الأموي المعادي للإسلام وأهله،
ويوضح ذلك: أنه كان لعلي «عليه السلام» كما كان سلمان لرسول الله «صلى
الله عليه وآله»^(١)، وكان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين «عليه
السلام»، وكان من حواريه وأصفيائه^(٢).

وقد قال لأمر المؤمنين «عليه السلام»، في كلام له: «أولى الناس بالناس،
وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو الذرية التي هي بقية رسول الله «صلى
الله عليه وآله»، وأعظم سهماً في الإسلام من المهاجرين والأنصار.

والله، لو كلفني نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي أبداً
حتى يأتي عليّ يومي، وفي يدي سيفي أهز عدوك، وأقوي به وليك، ويعلو
(ويعلي) الله به كعبك، ويفلج به حجتك، ما ظننت أني أديت من حقك كل
الذي يجب لك عليّ».

فقال «عليه السلام»: «اللهم نور قلبه، واهده إلى الصراط المستقيم،
ليت أن في شيعتي مائة مثلك»^(٣).

(١) البحار ج ٣٤ ص ٢٧٤ والإختصاص ص ٧ و ١٤ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٨٢
وشجرة طوبى ج ١ ص ٨١ ومعجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٩٩ والإختصاص
للمفيد ص ٧.

(٢) رجال الكشي ص ٩ و ٣٨.

(٣) قاموس الرجال ج ٨ ص ٨٢ و ٨٣ عن صفين للمنقري ص ١٠٣ والبحار ج ٣٤
ص ٢٧٦.

وجاء في رسالة أرسلها الإمام الحسين «عليه السلام» إلى معاوية قوله: «أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، واصفر لونه، بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله وموائقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك، واستخفافاً بذلك العهد»^(١).

وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام^(٢).

وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو بن الحمق زماناً، فلما جيء برأس زوجها أرسله إليها فألقي في حجرها، فارتاعت^(٣).

(١) قاموس الرجال ج ٨ ص ٨٧ عن رجال الكشي ص ٤٧ - ٥٢ وعن الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨٠ والاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٠ والبحار ج ٤٤ ص ٢١٣ واختيار معرفة الرجال للطوسي ج ١ ص ٢٥٣ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص ٥٣٣ وصلاح الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص ٣٤٥.

(٢) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٥٢٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ وشرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج ٢ ص ٣٢ والبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٠١ وج ٤١ ص ٣٤٢ والغدير ج ١١ ص ٤١ وكتاب الأوائل للطبراني ص ١٠٧ والإستيعاب ج ٣ ص ١١٧٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٩٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٢٥ والثقات لابن حبان ج ٣ ص ٢٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ٤٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ وبلاغات النساء لابن طيفور ص ٥٩ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٣.

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ١٠١ وبلاغات النساء ص ٥٩ والإختصاص ص ١٧ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٩٥ وراجع: الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٦.

وكان معاوية قد أمر بأن يطعنوه تسع طعنات كما طعن عثمان، ففعل به ذلك، فمات في الأولى منهن أو الثانية^(١).

وهو أحد الأربعة الذين دخلوا الدار على عثمان^(٢)، ووثب فجلس على صدره، وبه رمق قطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن، فإني طعنتهن إياه لله، وأما ست فأني طعنتهن إياه لما كان في صدري عليه^(٣)، وصار من شيعة علي، وشهد معه مشاهدته كلها^(٤).

دعاء النبي ﷺ لزبيد:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا لزبيد بالبركة، ولكنه لم يرض بالدعاء لزمع رغم إصرارهم عليه حتى راجعوه ثلاث مرات.. ونحن نشك في صحة أمثال هذه الأقاويل، فإن زبيداً لم تسلم إلا بعد

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٧٧ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٨٩ و ٩٠ والغدير ج ١١ ص ٤١ وتاريخ الطبري ج ٤ ص ١٩٧ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٧٧.
(٢) أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٠ والغدير ج ٩ ص ٤٦ والاستيعاب ج ٣ ص ١١٧٤
والبداية والنهاية ج ٨ ص ٥٢.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٩٤ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٧٩ والغدير ج ٩ ص ٢٠٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٤٠٩ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٢٤ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٧٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧.

(٤) أسد الغابة ج ٤ ص ١٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٩١ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٦٢ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة للسيد علي خان المدني ص ٤٣٢
وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٨٨ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٦٢.

٢٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

قتال، وقتل وأسر، وبغض النظر عن ذلك، فإنهم كانوا كغيرهم من الناس، ولم يظهر لهم أي تميز في الالتزام بالشرع وبالعامل على حفظ هذا الدين والدفاع عنه، فضلاً عن حمل علومه، والدعوة إليه ونشره.

فهل يصح الثناء على قوم، والدعاء لهم، من دون أن يقدموا أي شيء يبرر ذلك؟!

وأما زعم فلماذا وبماذا استحقوا هذا الجفاء، وامتناع النبي «صلى الله عليه وآله» عن الدعاء لهم بالبركة؟!

ولماذا يثير «صلى الله عليه وآله» حولهم علامات استفهام؟! وما هو المبرر لفضحهم بين الناس؟ وهم لم يعملوا شيئاً بعد.. ولماذا؟! ولماذا؟!

٥- وفود بني حنيفة ومسيلمة الكذاب:

وفي سنة عشر^(١)، أو في سنة تسع^(٢)، وقيل: في سنة ست أو سبع^(٣)، قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد بني حنيفة (وهي قبيلة تسكن في اليمامة بين مكة واليمن) فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب، وكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار، هي رملة بنت الحدث بن ثعلبة بن

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٤٦ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٦.

(٢) راجع: فتح الباري ج ٨ ص ٦٨ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٥١ والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٩٨ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٩٩.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ١١٨.

الحارث بن زيد، زوجة معاذ بن عفراء.

فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستر بالثياب - تعظيماً له - ورسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس مع أصحابه، في يده عسيب من سعف النخل، فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكلمه مسيلمة وسأله (أن يجعل له الأمر من بعده).

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه»^(١).

قال ابن إسحاق: فقال لي شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة أن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا، يحفظها لنا. فأمر له رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمثل ما أمر للقوم، وقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً»^(٢). يعني حفظه ضَيْعَةً أصحابه وهي حوائجهم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٦ عن زاد المعاد، عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٣٣٠ وابن كثير في البداية ج ٥ ص ٥٠، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٩٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦١ وج ٦ ص ٢٢٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٩٨ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٤ والدرر ص ٢٥٤.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٤٦ و ١٤٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٦ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ =

٢٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

وظهرهم. [وذلك الذي يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله»].

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاؤوا بالذي أعطاه. فلما قدموا اليامة ارتد عدو الله، وتنبأ وقال: إني قد أشركت في الأمر معه، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: «أما إنه ليس بشركم مكاناً؟» وما ذاك إلا لما كان يعلم أي قد أشركت في الأمر معه.

ثم جعل يسجع فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن. لقد أنعم الله على الحلبي، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاقي وحشاً^(١).

ووضع عنهم الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا^(٢)، وهو مع ذلك يشهد

= ص ٣٣١ وابن كثير في البداية ج ٥ ص ٥٢، وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٥١
والدرر ص ٢٥٤ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٩٣ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٢٢٩
وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٩٦ والسيرة الحلبية
ج ٣ ص ٢٥٤.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٤٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥
ص ١٤٨ والدرر ص ٢٥٤ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٥ وتاريخ الطبري ج ٢
ص ٣٩٤ و٤٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٣ والبداية والنهاية ج ٥
ص ٦١ و٦٦ ص ٣٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٩٩ وعيون الأثر
ج ٢ ص ٢٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٩٧ والسيرة الحلبية ج ٣
ص ٢٥٥ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٦ وإمتاع الأسماع ج ١٤
ص ٢٤٢.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٨٦ عن المصادر التالية: زاد المعاد ج ٣ ص ٣١ والسيرة
الحلبية ج ٣ ص ٢٥٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٢٢ والبداية والنهاية =

لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه نبي، فأصفت معه بنو حنيفة على ذلك.

قال ابن إسحاق: وقد كان كتب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: أما بعد فأني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، وليس قريش قوماً يعدلون». فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب. فكتب إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(١). وكان ذلك في آخر سنة عشر.

= ج ٥ ص ٥١ و ٥٢ والعقد الفريد ج ٢ ص ٦٦ والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٥٩
متناً وهامشاً، والمفصل ج ٨ ص ٧٥٥ - ٧٥٩ وج ٧ ص ٢٩٦ وج ٦ ص ٩٢
والمنتظم ج ٤ ص ٢١ و ٢٢، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٦ وقال في هامشه: ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٨٤. والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥١ و ١٥٢ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٨٣ و ٣٨٤ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٤٠٠ وفي (ط أخرى) ج ٣ ص ١٤٦ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٩٧ وفي (ط أخرى) ص ١٢٠ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٣ وفي (ط أخرى) ج ١ ق ٢ ص ٢٦ والمفصل ج ٨ ص ٧٥٧ والكشاف ج ١ ص ٦٤٥ في تفسير الآية ص ٥٤ وتفسير النيسابوري (بهامش الطبري) ج ٦ ص ١٦٣ وتفسير الرازي ج ١٢ ص ١٩ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد همداني قاضي أبرقوه ص ١٠٥٩ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣١٥ عن الطبراني، وكنز العمال ج ١٧ ص ١٦١ و ٥٦٣ وفي (ط أخرى) ج ١ ص ٢٧٣ والكافي ج ٢ ص ١١٥ وفي (ط أخرى) ص ٣٠٠ ونهاية الإرب للقلقشندي =

٢٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

وعن نعيم بن مسعود قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين جاءه رسولا مسيلم الكذاب بكتابه يقول لهما: «وأنتما تقولان بمثل ما يقول»؟

قالا: نعم.

= ص ٢٢٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥١ وج ٦ ص ٢٠٠ و ٣٤١ وتاريخ
اليقوبي ج ٢ ص ١٠٩ وفي (ط أخرى) ص ١٢٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤
ص ٢٧٢ وفي (ط أخرى) ص ٢٤٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٣ وإعلام
السائلين ص ٣٦ والمحاسن والمساوي للبيهقي ص ٣٣ وفي (ط أخرى) ج ١
ص ٤٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ص ٨٣٩ وفي (ط أخرى)
ج ٢ ق ٢ ص ٥٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٥٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني
ج ٤ ص ٢٢ وفتوح البلدان لدحلان ص ١٤ ورسالات نبوية ص ٢٦٠/٩٤
والبدء والتأريخ ج ٥ ص ٩٥ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨١ وفي (ط أرى)
ص ٣٦٧ والبحار ج ٢١ ص ٤١٢ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٦٧ وزاد المعاد
ج ٣ ص ٣١ والمفصل ج ٦ ص ٩١ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٦٤ وتاريخ المدينة
لابن شبة ج ٢ ص ٥٧٢ وراجع: الجمهرة لهشام الكلبي ص ١٥٤ والمنظوم ج ٤
ص ٢٢ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٤٧ والوثائق السياسية ص ٣٠٥/٢٠٦ عن
جمع ممن تقدم، وعن إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٥٠٨ و ٥٠٩ وقال: قابل
طبقات ابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٢٥ ومعجم الصحابة لابن قانع (خطية) ورقة
١٨٢ - ألف، وتاريخ الردة من الإكتفاء للكلاعي (ط الهند) ص ٥٨ وانظر
كابتاني ج ١٠ ص ٦٩ واشهرنكر (التعليقة الأولى) ج ٣ ص ٣٠٦ وراجع أيضاً
ص ٧٢١ عن تاريخ المدينة لابن شبة.

فقال: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم»^(١).

عن عبد الله [بن مسعود] قال: جاء ابن النواحة، وابن أثال رسولين لمسيمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهما: «تشهدان أي رسول الله؟»

فقالا: نشهد أن مسيمة رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «آمنت بالله ورسوله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكم»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧ عن ابن إسحاق، وفي هامشه عن: أبي داود (١٦٥)، والبيهقي ج ٩ ص ٢١١، وكنز العمال (١٤٧٧٩)، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥١. وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٢ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٨٢ ومسنند احمد ج ٣ ص ٤٨٨ وسنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٨ ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٤٣ وج ٣ ص ٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢١١ وجمع الزوائد ج ٥ ص ٣١٥ والآحاد والمثاني ج ٣ ص ٢٤ وشرح معاني الآثار لابن سلمة ج ٣ ص ٣١٨ وكنز العمال ج ٦ ص ٤٥ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ٣٦٠ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٧٧ وتهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٤٩٣ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٠٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٢ وراجع: تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٠ والإصابة ج ٦ ص ٣٦٣ وتفسير الألوسي ج ٦ ص ١٦١ وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧ عن أبي داود، والطيلاسي في مسنده، وعن مسند أحمد ج ١ ص ٣٩١ و٣٩٦ و٤٠٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٢ والمجموع للنووي ج ١٤ ص ٤٢ وج ١٩ ص ٢٩٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ١٨١ ومسنند احمد ج ١ ص ٣٩٦ وعون المعبود للعظيم =

قال عبد الله [بن مسعود]: «فمضت السنة بأن الرسل لا تقتل»^(١).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: لما بُعث النبي «صلى الله عليه وآله» فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب بالنار، وكُنَّا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه ألقينا ذلك وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، وكنا إذا دخل رجب قلنا: جاء مُنْصَلُّ الأُسنة، فلا ندع سهماً فيه حديدة ولا حديدة في رمح إلا نزرعناها وألقيناها»^(٢).

وعن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، (قال الواقدي: عدد من كان معه سبعة عشر

= آبادي ج ٧ ص ٣١٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٩٨ وراجع: تذكرة الفقهاء (ط.ج) للعلامة الحلي ج ٩ ص ٦٨ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٥ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣١٤ ومسند أبي يعلى ج ٩ ص ٣١ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ١٢٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٢ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٩٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧ عن البخاري ج ٦ ص ٤ (٤٣٧٦) وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٥ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٦٢.

فأقبل إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي «صلى الله عليه وآله» قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدوا أمر الله فيك. ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني^(٢)». ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «إنك أرى الذي أريت فيك ما أريت»، فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «بيننا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحى إلي في المنام: أن انفخهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان من

-
- (١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٢ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٢.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧ عن الصحيحين، وفي هامشه عن البخاري ج ٥ ص ٥٤ (٣٦٢١) والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥٢ و ١٥٣ عن البخاري في علامات النبوة، وفي المغازي، وعن مسلم في الرؤيا. وفتح الباري ج ٨ ص ٧٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٤ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٢ وج ٥ ص ١١٨ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٥٧ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٥١ وجزء مؤمل لابن إيهاب الرملي ص ١٢٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٠ ص ٣٠٨ ودلائل النبوة للأصبهاني ج ٣ ص ٨٢٩ ودفع شبه التشبيه بألف التنزيه لابن الجوزي ص ٣٠ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ١ ص ٤٤٣ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٧٣ وإمتاع الأسعاع ج ١٤ ص ٥٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧.

بعدي، أحدهما: العنسي صاحب صنعاء، والآخر: مسيلمة صاحب اليمامة^(١).

ومن حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بيننا أنا نائم أتيت بخرائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبرا عليّ، فأوحى إلي أن أنفخهما فنفختهما فذهبا، فأولتها الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة^(٢).

وصاحب صنعاء هو الأسود العنسي وهو عيهلة صاحب صنعاء، وقتله فيروز الديلمي في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله»، قبل وفاته

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧ وقال: هذا أصح من حديث ابن إسحاق المتقدم. وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢١٦ ومسلم (١٧٨١) وكنز العمال (٣٨٣٦١) والبداية والنهاية ج ٥ ص ٤٩ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥٣ - ١٥٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٧٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٨٤ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٥٧ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٥١ وجزء مؤمل لابن إيباب الرمي ص ١٢٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٠ ص ٣٠٨ ودلائل النبوة للأصبهاني ج ٣ ص ٨٢٩ ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ص ٣٠ وتخريج الأحاديث والآثار للزبيدي ج ١ ص ٤٤٣ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٥٧٣ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٥٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢٨ عن الصحيحين والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٥٣ - ١٥٨. ومسند أحمد ج ٢ ص ٣١٩ وصحيح البخاري ج ٥ ص ١١٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٥ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٤ وصحيفة همام بن منه ص ٤٤.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢٣٣

«صلى الله عليه وآله» بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر أصحابه بذلك.
وأما مسيلمة فقد ادّعى النبوة في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»،
وشهد له الرجال الحنفي زوراً بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد شرّكه معه
في النبوة.

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد رأى الرجال مع فرات بن حيان
وأبي هريرة، فقال «صلى الله عليه وآله»: «خرس أحدكم في النار مثل
أحد». فما زالوا خائفين حتى ارتد الرجال، وآمن بمسيلمة، وشهد له زوراً
كما أسلفنا.

ثم أرسل أبو بكر جيشاً إلى مسيلمة فقتل هو وجميع أصحابه^(١).

هل رأى مسيلمة رسول الله ﷺ:

قال الزرقاني: إن قلت: كيف يلتئم خبر ابن إسحاق في كون مسيلمة لم
يجتمع بالنبي «صلى الله عليه وآله» بل بقي في الرجال، مع الحديث الذي
يقول: بأنه اجتمع به، وقد قال له «صلى الله عليه وآله»: بأنه لو سأله السعفة
التي في يده ما أعطاه إياها؟!!

فالجواب: أن الأخذ بالرواية الثانية أولى لصحة سندها، وقد وردت في
صحيح البخاري. أما خبر ابن إسحاق فضعيف منقطع.

ويمكن الجمع بينهما بأن من المحتمل أن يكون قدم مرتين: إحداها
كان فيها تابعاً، والأخرى كان فيها رئيساً متبوعاً..

(١) راجع فيما تقدم: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٥ والشفا بتعريف
حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ١ ص ٣٤٢.

ويرد على هذا الجمع: أن أمر مسيلمة كان أكبر من أن يكون تابعاً، فقد كان يقال له منذ الجاهلية: رحمان اليامة.

ويمكن أن يقال: إن إقامته في رحله كانت أنفة منه واستكباراً من أن يكون هو الساعي إلى النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

ونقول:

لعل الأولى أن يقال: إنه لم يلق النبي «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر، ثم لقيه بعد ذلك كما سنوضحه عن قريب إن شاء الله.

تعظيم مسيلمة خرافة:

ادعت الروايات المتقدمة: أن مسيلمة جاء مع وفد بني حنيفة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يستر بالثياب تعظيماً له، وأنهم خلفوه في رحالهم (وزعم بعضهم: أنه استكبر عن السعي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»).

ونحن لا نستطيع أن نؤكد صحة هذا الزعم:

فأولاً: إن من يكون بهذه المكانة في قومه فالتوقع هو أن يكتفي هو بإرسال الوفود، ولا يفد هو بنفسه.

ثانياً: لو كان بهذه المثابة، فإنهم لا يخلّفونه في رحالهم ليحفظها لهم، حسبما تقدم التصريح به..

ثالثاً: ما زعمه البعض من أنه تخلف في رحالهم، استكباراً عن السعي

(١) المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٦ عن العسقلاني.

إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لا يمكن قبوله، إذ لماذا لم يستكبر عن السعي من اليمامة (وهي بين مكة واليمن) إلى المدينة، ثم يستكبر عن هذه الخطوات اليسيرة من موضع نزوله في المدينة إلى مسجددها؟!

النبي ﷺ يفضح نوايا مسيلمة:

والذي نظنه هو أنه تخلف في بادئ الأمر عن الذهاب معهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لكي يتحاشى أن يكشف النبي «صلى الله عليه وآله» أمره، بما أعطاه الله من علم الغيب، لكي يتمكن بعد ذلك من أن يتدبر الأمر مع الرجال الحنفي، ليشهد له زوراً أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشركه معه في النبوة^(١).

من أجل ذلك نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد ضيع الفرصة على مسيلمة، حيث إنه حينما أخبروه بأن أحدهم قد بقي في الرجال أمر له من العطاء بمثل ما أمر لهم.. وقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً».

أي أن وجوده في الرجال لا يجعله في موضع يوجب حرمانه من العطاء، ليكون وجودهم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتيازاً لهم يخولهم أخذ العطاء دونه، فإن استحقاق العطاء وعدمه له موازين أخرى غير هذا، إذ هو يرتبط بالمعطي الذي يريد أن يعم عدله وفضله الجميع، ويريد أيضاً أن يشجع الناس على الثبات على طريق الحق، ونبذ كل ما هو

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٥٥.

انحراف وشر، وتكون له الحجة عليهم، ولا يكون لأحد أية حجة عليه..
 كما أنه يرتبط فيما يظهره الآخذ من مواقف، وما ينتهجه من سلوك يبرر إعطاءه، ولو في خصوص تلك البرهة التي نال فيها من العطاء ما نال.
 أما بعد تلك البرهة، فإن الإنسان الذي استفاد من عطاء النبوة، ورأى من خلقها الرفيع ما رأى، وعرف من سيرتها ومبادئها، وشرائعها ما قامت به الحجة عليه، هو الذي يكون مسؤولاً عما يصدر منه في ضوء هذا كله.
 فاتضح أن كلمة النبي «صلى الله عليه وآله» عن مسيلمة: «ليس بشركم مكاناً» قد جاءت في السياق الصحيح والمؤثر، الذي يعطي الضابطة الحاسمة والدقيقة في موضوع القيم، وفي الأخلاق، ليصبح سبيلاً لإقامة الحجة، وسطوع البرهان على الحق لمن أراد أن يستنير بنور الحق.
 فما زعمه مسيلمة بعد رجوعه إلى اليمامة من أنه إشرك في النبوة معه استناداً إلى قوله «صلى الله عليه وآله» عنه: «ليس بشركم مكاناً» مما لا ريب في بطلانه، فإن قول القائل: فلان ليس بشركم مكاناً يغني: أنه مساو لكم، وقد أراد «صلى الله عليه وآله» أنكم لا تمتازون عنه في موضوع العطاء.
 وليس معناه: أنه شريك في النبوة أو في غيرها، ولا يشير إلى شيء من ذلك من قريب، ولا من بعيد.

مسيلمة يريد ولاية الأمر بعد النبي ﷺ:

ولا نريد أن ننأى بأنفسنا عن قبول الرواية التي تقول: إنهم جاؤوا بمسيلمة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو يستر بالثياب، فسأله أن يجعل له الأمر من بعده، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «لو سألتني هذا

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢٣٧
العسيب الذي في يدي ما أعطيتكه».

وهذا أقوى تصريح من شأنه أن يحصن الناس من خداع مسيلمة، فإنه بهذه الكلمة قد نفى إشراكه في النبوة، ونفى أهلية مسيلمة لأدنى شيء يمكن أن يخطر على قلب بشر، فإنه إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» المتصل بالغيب الإلهي، وأحلم الناس، وأكرمهم، وأرحمهم، وأحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم رفقاً بالناس، ومراعاةً لمشاعرهم - إذا كان - يجبه مسيلمة بهذه الحقيقة، فذلك يعني أن مسيلمة كان يستحق هذه الإهانة حين صدورها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه كان ينطوي على أمر عظيم، لا بد من فضحه فيه ويجب على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعريه أمام الناس، ويكشف عن حقيقته، ويبين قيمته لكل أحد.

بل إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا يراه أهلاً للعسيب، بل هو يرى أنه لا يجوز حتى أن يعطى ذلك العسيب، رغم أن الكريم قد يعطي من لا يستحق أيضاً..

وهذا يكشف لنا عن خبث عظيم يجعل من إعطاء العسيب له ولو تفضلاً وكرماً جريمة عظيمة، لا يمكن أن تصدر عن النبي «صلى الله عليه وآله».

مسيلمة يستثير الغرائز والأهواء:

وقد سار مسيلمة «لعنه الله» في خططه التفصيلية في ثلاثة اتجاهات:
الأول: تأييد دعواه بأكاذيب ينسبها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشهادات يزورها عليه، وبذلك يكون قد حفظ لنفسه العنصر الغيبي الذي يخضع له الناس بصورة تلقائية.. فاستمر يشهد لرسول الله

«صلى الله عليه وآله» بالنبوة، ويزعم أنه «صلى الله عليه وآله» قد أشركه معه فيها، واستشهد على ذلك الرجال الحنفي كما تقدم..

ولم يأبه لتكذيب النبي «صلى الله عليه وآله» وجميع المسلمين لمزاعمه هذه.. ثم كتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه أشرك في الأمر معه، وليس قريش قوم يعدلون.. وقد تقدم ذلك..

الثاني: إنه خاطب غرائز الناس، واستثار شهواتهم، وأرضى ميولهم حين وضع عنهم الصلاة، التي يراها أهل الدنيا عبئاً ثقيلاً، يودون التخلص منه، ثم هو قد أباح لهم الزنا وشرب الخمر، وذلك يرضي غرائزهم، ويتناغم مع شهواتهم وأهوائهم التي تريد التفتل من كل قيد في مثل هذه المجالات..

الثالث: إنه استفاد من بعض الألاعيب التي كان الناس يجهلون رمزها وسرها، لكي يوهمهم بأنه قادر على اجتراح المعجزات، مثل وضعه البيضة في الكلس مدة حتى تلين، ويسهل التصرف فيها، ثم يدخلها في زجاجة ويتركها لتعود إلى حالتها الأولى، ثم يريهم إيها، فيثير ذلك عجبهم، فإن عنق الزجاجة ضيق، ولا يمكن أن تمر فيه البيضة من دون أن تنكسر.. فيتأكد لديهم الشعور بأن لديه قدرات خارقة، ويتوهمون أن ذلك من دلائل صحة ما يدعيه..

مفارقة مثيرة:

وإننا في حين نرى مسيلمة يقر للنبي «صلى الله عليه وآله» بالنبوة، ويدّعي لنفسه الشراكة معه، ويكتب له: ان الأمر بينه وبينه، ولكن قريشاً

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢٣٩
قوم لا يعدلون..

نرى أن رسوليّ مسيلمة اللذين جاءا إليه - على الظاهر - بنفس هذا الكتاب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرضيا بالإقرار والشهادة بالنبوة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

الأرض لله يورثها من يشاء:

وعن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» على رسالة مسيلمة نقول:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد سلّم على من اتبع الهدى.. ولا ريب في أن مسيلمة الكذاب لم يكن من هؤلاء، ولكن ليس من حق أحد أن يمنعه من اتخاذ قرار العودة إلى سلوك طريق الهداية.

وانطلاقاً من مسؤولية النبوة في فتح أبواب الهداية أمام جميع البشر، جاء التلويح حتى لمسيلمة الكذاب بأن باب الهداية مفتوح أمامه، فما عليه إلا أن يلجّه، كي يشملّه الله بسلامه الغامر وينور الهداية الباهر..

٢ - هناك نص يقول: إن مسيلمة كتب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن لنا نصف الأمر».

ونص آخر يقول: «إنه كتب إليه أن الأرض لي ولك نصفان»، وجواب النبي «صلى الله عليه وآله» يشير إلى صحة النص الثاني دون الأول.

٣ - نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لمسيلمة: بل الأرض لي، وأنت ليس لك شيء، بل أرجع الأمر إلى من يكون البشر جميعاً سواسية أمام عظمته، وفي قبضته، وفي ملكه، ولا فرق في ذلك بين نبي وغيره، ولا بين مطيع وعاص، ولا بين كبير وصغير، ولا بين ملك أو سوقيه، قوي وضعيف.

ولم يكن بإمكان مسيلمة أن ينكر أو حتى أن يناقش في هذا الأمر.

٤ - وإذا بلغ الأمر هذا الحد، فالنتيجة الطبيعية لذلك هي: أن يكون الأمر يرجع إلى المالك الحقيقي، فهو الذي يجعل ذلك لمن يشاء من عباده، فليس لأحد أن يفتت عليه في ذلك، لا في الأرض كلها، ولا في نصفها، ولا في أي شيء منها، وهذا هو المقصود بقوله: يورثها من يشاء من عباده..

٥ - وإذا كان ذلك كله يظهر تعدي مسيلمة على العزة الإلهية، والتصرف بها لا يحق له التصرف فيه، فذلك يعني أمرين:

أحدهما: أنه كاذب فيما يدّعيه من نبوة، فإن من يجترئ على الله سبحانه لا يصلح لشيء مهما كان تافهاً، فضلاً عن أن يصلح لمقام النبوة الأسمى..

الثاني: أن ابتعاده عن خط التقوى يحرمه من أن يمنحه الله شيئاً من الأرض.. وهذا ما أشار إليه قوله «صلى الله عليه وآله»: والعاقبة للمتقين..

تهديد الرسولين:

إن تهديد النبي «صلى الله عليه وآله» لرسولي مسيلمة لمجرد قولها إنها يقولان بمثل ما يقول مسيلمة، يشير إلى أنها كانا قد أسلما ثم ارتدا، فاستحقا هذا الوعيد والتهديد، إذ لا يمكن أن نتصوره «صلى الله عليه وآله» يواجههما بهذه الحدة والشدة قبل أن يقيم الحجة عليهما، ثم من دون أن تظهر عليهما بعدها أمارات التحدي والمحاربة.

مع العلم بأنه «صلى الله عليه وآله» كان قد استقبل الكثيرين من الرسل، ولم نجده سألهم عما يشبه ذلك في موضوع الإيمان والكفر، فضلاً عن أن يكون قد واجههم بمثل هذه الشدة.

وبذلك يتبلور لدينا شك في صحة الرواية التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لرسولي مسيلمة: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم»، فقد يكون ذلك غير دقيق، أو غير صحيح..

منام رسول الله ﷺ:

ونحن نشك أيضاً في صحة زعمهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في منامه أنه وُضع في كفيه سواران من ذهب الخ..

فأولاً: لماذا يكون مسيلمة والعنسي بمثابة سوارين من ذهب؟! وما معنى وضعهما في يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وما معنى نفخه لهما؟!

ثانياً: إن مسيلمة والأسود العنسي قد ادّعى ما ادّعاه في حياة النبي وليس بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».. كما ورد في الرواية الأولى، وإن أخذنا بالرواية الثانية فقد صرح «صلى الله عليه وآله» بأنه بينهما، وهذا معناه: أنها خرجا قبل وفاته، مع أن الروایتين معاً قد رويتا عن أبي هريرة!! إلا أن يكون المقصود هو: أنها يعلنان الحرب بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» وهو مجرد احتمال لا شاهد له، ولا دليل عليه.

ثالثاً: إذا كانت اليمامة بين مكة واليمن، وكانت صنعاء أيضاً في قلب اليمن، فما معنى قوله «صلى الله عليه وآله»: «الكذابين اللذين أنا بينهما»، فإن معنى كونه بينهما هو أن يكون أحدهما إلى جهة اليمن، والآخر إلى جهة الشام، لا أن يكونا معاً في جهة واحدة..

إلا أن يقال: ليس المراد البيئـة المكانية، بل المقصود بيئـة مقامه ومحله «صلى الله عليه وآله»، فهو نبي حقيقي مبعوث من الله، بين متبئـين كذابين

مفتريين عليه، فلاحظ.

رابعاً: إن الأسود العنسي - وهو عيهلة - قد قتل في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله»، وقتله فيروز الديلمي قبل وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بيوم، أو يومين، فأتاه الوحي بذلك، فأخبر أصحابه^(١). أما مسيلمة فقتل في زمن أبي بكر، فما هو الجامع بين الرجلين في هذا المنام المزعوم؟! وأما ما رواه الطبراني عن فيروز الديلمي من أنه قال: «أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأس أسود العنسي»^(٢)، فنقول فيه:

١ - إن سائر الروايات تتناقض معه، ونقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر بموت الأسود ومات قبل أن يصل إليه من يخبره بذلك، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يرضى بحمل رأس أحد إليه كما هو واضح. بل ذكر الذهبي: أنه «وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأس الأسود فيما بلغنا فوجده توفي»^(٣).

٢ - قال ابن حجر في الإصابة: «وهذا تفرد به ضمرة، فإن رأس

(١) شرح المواهب اللدنية ج ٥ ص ١٥٥ وتفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣٣٧ وأسد الغابة ج ٢ ص ١٣٥ والإصابة ج ٥ ص ٢٩١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ١٢٤ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٣٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٢٠٤ ومسند الشاميين ج ٢ ص ٣٨ والإستيعاب ج ٣ ص ١٢٦ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٣٧ وج ١٤ ص ٥٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٩ ص ٥ و ١٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٨٦ والإصابة ج ٥ ص ٢٩١.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٨٦ والوافي بالوفيات ج ٢٤ ص ٧٢.

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢٤٣
الأسود لم يحمل إلى النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

ضررس أحدكم في النار مثل أحد:

وقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى الرحال الذي شهد لمسيلمة الكذاب بالنبوة مع أبي هريرة، وفرات بن حيان، فقال: «ضررس أحدكم في النار مثل أحد»، فكان أبو هريرة وفرات بن حيان خائفين.. فارتد الرحال، وآمن بمسيلمة وقتل معه، فعرفوا أنه هو المقصود من بين الثلاثة^(٢). وسجدا لله شكراً^(٣)..

ونقول:

أولاً: إن الكلام الأخير يدل على أنهم يفترضون أنه «صلى الله عليه وآله» يتحدث عن شخص واحد من الثلاثة، وهو الرحال.. وهذا ليس صحيحاً، فإن الحديث يدل على أن الأشخاص الثلاثة جميعاً من أهل النار، كما هذا هو مفاد سياق الكلام، فإذا قيل: رأيت جماعة من بلد كذا يأكل أحدهم خروفاً، أو قيل: رأيت جماعة قلب أحدهم أقسى من الصخر، أو يفيض طهراً وحناناً، أو وجه أحدهم أقبح من وجه القرد، أو أضوا من القمر، فإن معناه: أن جميعهم كذلك.. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ١٨٦.

(٢) راجع: الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ٢٠٣ والإصابة ج ٣ ص ٢٠١ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٢١٤.

(٣) راجع: الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ٢٠٣ والإصابة ج ٣ ص ٢٠١ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٢١٤.

٢٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

بِالْأَثْنَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ^(١). والمقصود: أنهم جميعاً كانوا كذلك.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ^(٢)﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ^(٣)﴾.

فإن المقصود بهذه التعابير هو: الجماعة كلها، فرداً فرداً..

ثانياً: إن حرمة المؤمن عظيمة عند الله، ولا يمكن التفريط فيها خصوصاً من قبل نبي الله «صلى الله عليه وآله» فلو كان مقصوده «صلى الله عليه وآله» واحداً من الثلاثة، وهو الرجال، فلا يصح ولا يجوز أن يتكلم بكلام يلقي فيه الشبهة على غيره من الأبرياء، ويضعهم في قفص الإتهام مع علمه ببرائتهم.. لأن إلقاء الكلام بهذا النحو يسقط الثلاثة عن درجة الاعتبار، ويدفع الناس إلى الحذر منهم وإلى إقصائهم عن أي شأن من الشؤون، فلا يصلي أحد خلفهم جماعة، ولا يقبل أحد شهادتهم .. والنخ.. فلماذا لا يحدد النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك الرجل المقصود بصورة مباشرة، إن كان هناك ضرورة لتحديده؟!

إلا أن يفترض: أن الله تعالى قد أمره بأن يثير الشبهات، ويسقط محل هؤلاء الثلاثة جميعهم، فلا بد أن يكونوا قد فعلوا ما يستحقون به ذلك.

(١) الآية ٥٨ من سورة النحل.

(٢) الآية ٩٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٧ من سورة الزخرف.

وإذا كان هذا القول سوف يشيع بين الناس، فلا بد لدفع الشبهة عن المتضررين من إبلاغ النتيجة النهائية لكل من بلغه القول الأول.. وهذا ما لم يحصل، بل لعله كان متعذراً بالنسبة لبعض الموارد.

ولعلك تقول: لعله «صلى الله عليه وآله» قد عيّن شخص الرجل المقصود بقرينة حالية لم تصل إلينا، أو لعل أبا هريرة و فرات بن حيان أيضاً لم يلتفتا إليها..

ونجيب: إن ذلك غير معقول:

إذ لو كان ثمة قرينة لما خفيت على أبي هريرة و فرات، فإن المتكلم لا يعتمد على القرينة الحالية إلا حين يطمئن إلى أن المخاطب ملتفت إليها، لأنها تكون جزءاً من وسيلة خطابه له.. فإذا أعلن المقصود بالخطاب أنه لا يجد أمامه سوى الخطاب اللفظي، فليس لنا نحن أن نتوقع العثور على قرينة، أو أن نحتمل وجودها إلى حد إسقاط ظهور الخطاب اللفظي عن صلاحية الدلالة.

ولعلك تقول أيضاً: إن المراد قد اتضح بعد ارتداد الرحال وقتله مع مسيلمة.. وهذا يكفي في دفع غائلة الإبهام المشار إليه.

ونجيب: بأن ظهور أمر الرحال قد تأخر مدة طويلة، كان فيها أبو هريرة، وكذلك فرات محرومين من حقوقهما، مشكوكاً في أمرهما. فلماذا فعل بهما النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؟! فإن كان «صلى الله عليه وآله» قد اعتمد على هذه القرينة الخارجية، فهي قرينة منفصلة، تؤدي إلى تأخير البيان عدة سنوات عن وقت الحاجة، وهذا غير مقبول، ولا سيما إذا كان يلحق الضرر بالأبرياء إلى حد الإسقاط..

ورابعاً: إن هؤلاء يفترضون: أن أمر فرات بن حيان، وأبي هريرة محسوم فيما يرتبط بصحة إيمانها، مع أن ذلك يصطدم بأمرين:

أحدهما: أن أمر فرات مشكوك، بملاحظة: أنه كان قد هجا النبي «صلى الله عليه وآله» وكان عيناً لأبي سفيان، فأمر «صلى الله عليه وآله» بقتله، فأسلم حقناً لدمه، فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» أنه يقول: إنه مسلم، فقال «صلى الله عليه وآله»: إن فيكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم، منهم فرات بن حيان. وحسب نص ابن عقدة على ما في الإصابة: إن منكم من أتالفهم على الإسلام، وأكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان^(١).

الثاني: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل أبا هريرة في دائرة الخطر مرة أخرى، حيث قال له ولسمرة بن جندب، وأبي مخذرة الجمحي: «آخركم موتاً في النار»^(٢).

(١) الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٢٠٣ والإصابة ج ٣ ص ٢٠١ عن أبي داود والبخاري في تاريخه ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٦٦ وتلخيصه للذهبي (مطبوع مع المستدرك). والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٢٧٣.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٧٩. والاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٧٨ وأسدا الغابة ج ٢ ص ٣٥٥ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٩٥ والبحار ج ١٨ ص ١٣٢ والنص والاجتهاد للسيد شرف الدين ص ٢٢٢ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٩٠ وجزء أشيب للبغدادي ص ٥٨ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٦ ص ٢٠٨ والمعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ١٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٧٨ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٢١٥ والتاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ١٣٣ وتهذيب الكمال ج ١٢ ص ١٣٣ والإصابة ج ٣ ص ١٥٠ وتهذيب =

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ ٢٤٧

فزعموا: أن سمرة بن جندب سقط في قدر مملوء ماءً حاراً فمات، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

غير أننا نقول:

أولاً: قال ابن جرير: «فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير، فمات شر ميتة»^(٢).

فأين الزمهرير من النار، ومن الماء الحار؟!!

فلا يصح قولهم: إنه مات في قدر حار. فضلاً عن أن يكون آخر الثلاثة موتاً.

ثانياً: إن الموت في الماء الحار شيء، والموت في النار شيء آخر، فإن الماء الحار ليس ناراً.

ثالثاً: لو كان المقصود هو: موته بواسطة النار، أو الماء الذي يغلي بها، لكان عليه أن يقول: آخركم موتاً بالنار. أي بواسطتها، أما قوله: في النار،

= التهذيب ج ٤ ص ٢٠٧ وج ١٢ ص ٢٠٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٣٢ والوافي بالوفيات ج ١ ص ٨٢ وج ١٥ ص ٢٧٧ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٥٣ وإمتاع الأسماع ج ١٢ ص ٢٢٣ وج ١٤ ص ١٣٢ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ١ ص ٣٣٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٤.

(١) الإصابة ج ٢ ص ٧٩. والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٧٨ وراجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٢٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٩٢ والغدير ج ١١ ص ٣٠ وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٢١٧ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٩٥.

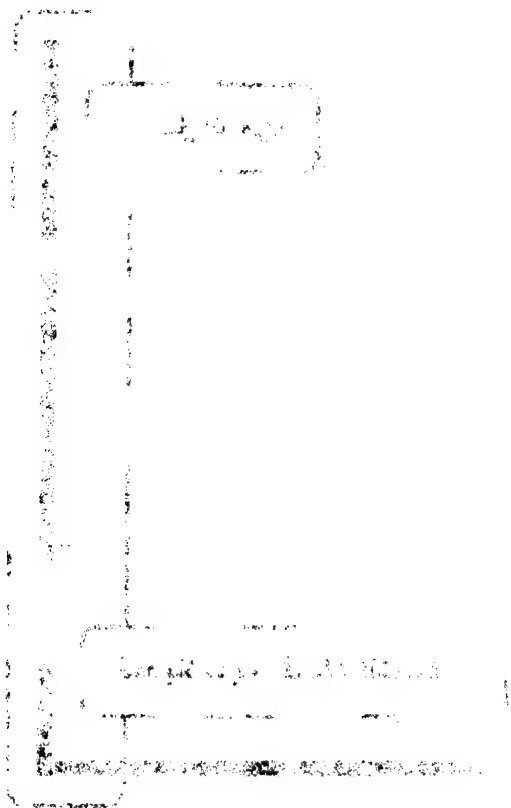
فيدل على أنه سوف يدخل النار، ويكون من أهلها.

رابعاً: إن هذا النص يبين أن هؤلاء الثلاثة جميعاً هم من أهل النار، إذ لو لم يكن الأمر كذلك، لم يصح وضع الأبرياء في موضع الشبهة طيلة حياتهم إلى حين موتهم كما يعلم بمراجعة حالهم في كتب التراجم، بل هي لم تفارقهم إلى يومهم هذا، لأن الأقوال في آخرهم موتاً متناقضة، لا يمكن حسم الأمر فيها بأي وجه..

خامساً: إن حال هؤلاء الثلاثة كانت في غاية السوء من حيث ممارستهم، وارتكابهم ما لا يجوز ارتكابه، ولا سيما إسهامهم في وضع الحديث على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشهاداتهم على إمامهم بالزور والبهتان، فراجع تراجمهم في قاموس الرجال، وفي كتاب أبي هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» وغير ذلك.

الفصل الثامن:

وفود بلا تاريخ قليلة التفاصيل



وفد أحمس:

قال ابن سعد: قدم قيس بن عَزْبَةَ^(١) الأحمسي في مائتين وخمسين رجلاً من أحمس، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أنتم؟! فقالوا: نحن أحمس الله. وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية. فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأنتم اليوم لله». وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لبلال: «أعط ركب بجيلة، وابدأ بالأحمسين». ففعل.

وعن طارق بن شهاب قال: قدم وفد بجيلة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اكتبوا البجليين، وابدأوا بالأحمسين».

فتخلف رجل من قيس، قال: حتى أنظر ما يقول لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فدعا لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسمى مرات: «اللهم جد عليهم، اللهم بارك فيهم».

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦١ عن الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٧٨. والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٤٧.

وفي رواية: قدم وفد أحس، ووفد قيس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ابدأوا بالأحسين قبل القيسين».

ثم دعا لأحس، فقال: «اللهم بارك في أحس، وخيلها، ورجالها» سبع مرات^(١).

ونقول:

إن لنا هنا بعض البيانات نعرضها فيما يلي:

أنتم اليوم لله:

قد ظهر: أن الأحسين حين عرّفوا أنفسهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، كانوا يريدون إظهار ما يعتبرونه امتيازاً لهم، مستفيدين من التعبير الذي كان يطلق عليهم في الجاهلية، فقالوا: نحن أحس الله. أي أشداء الله تبارك وتعالى.

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم ينكر عليهم ذلك صراحة، ما دام أنهم ينسبون أنفسهم لله تبارك وتعالى، ولكنه أدخل تصحيحاً على المفهوم الذي أطلقوه، من شأنه أن يعيد الأمور إلى نصابها، ويفرض حالة من التوازن، والواقعية، والدقة حين قال لهم: «وأنتم اليوم لله..»، فأفهمهم أن عليهم أن يتعدوا عن الإفراط والشطط فيما يدعونه لأنفسهم، فهم أحس لله. أي أشداء في سبيل الله سبحانه، لا أنهم أشداء الله، وهذا هو الأنسب بمقام العبودية، والأقرب للطاعة والإنقياد.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٦١ عن أحمد بن حنبل. ومسند أحمد ج ٤ ص ٣١٥ وجمع الزوائد للهيتمي ج ١٠ ص ٤٩.

ابدأوا بالأحمسيين:

ثم إن من يراجع حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا بد أن يقطع بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يميز فريقاً على فريق، إلا إذا ميزته التقوى، والعمل الصالح..

ولم نجد للأحمسيين هذا التميز عن غيرهم من البجليين والقيسيين في هذا أو ذاك. فلماذا يكون هذا التفضيل لهم على بجيلة أولاً، وعلى القيسيين ثانياً؟!

ألا يثير ذلك حساسيات سلبية لا مبرر لإثارتها لدى قيس وبجيلة تجاه أحمس؟!

ولماذا لم يبادر القيسيون والبجليون إلى الاعتراض، أو إلى الإستفهام عن سبب تقديم الأحمسيين عليهم على أقل تقدير؟!

الحماس في الدعاء لأحمس:

ثم إننا لم نستطع أن نعرف سبب تخصيص أحمس بالدعاء بالبركة فيها، وفي خيلها، ورجالها!! ولماذا كرر دعاءه هذا لها سبع مرات؟!

فهل كانت خيل أحمس موصوفة ومعروفة، ومتميزة في ساحات القتال؟! وفي أية معركة ظهر لها هذا التميز والتفرد دون قيس وبجيلة؟!

وهكذا يقال بالنسبة لرجال أحمس، حيث لا بد من السؤال عن مواقفهم المشهورة، التي أظهروا فيها تفوقهم على القيسيين وعلى إخوانهم من البجليين في ساحات الجهاد!!

وفود قيس بن عربة:

إن الرواية المتقدمة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» سأل الوفد الذي قدم مع قيس بن عربة: من أنتم؟! فأخبروه أنهم أحسن الله..

وهذا يشير إلى: أن هذه كانت أول مرة يفدون فيها إليه «صلى الله عليه وآله».. ولذلك سألهم أن يعرفوا له أنفسهم، ولو أنه كان قد رآهم قبل ذلك، أو رأى زعيمهم قيس بن عربة لعرفه وعرفه، أو لخصه هو بالسؤال عن سبب مجيئه، وعن هوية الذين جاؤوا معه..

مع أن ثمة نصاً آخر يقول: إن قيس بن عربة كان قد قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر منه «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك،

قال الراوندي: «روى أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب إلى قيس بن عربة (عربة) البجلي يأمره بالقدوم عليه، فأقبل ومعه خويلد بن الحارث الكلبي، حتى إذا دنا من المدينة هاب الرجل أن يدخل..

فقال له قيس: أما إذا أبيت أن تدخل، فكن في هذا الجبل حتى آتية، فإن رأيت الذي تحب أدعوك، فاتبعني، فأقام. ومضى قيس حتى إذا دخل على النبي «صلى الله عليه وآله» المسجد، فقال: يا محمد، أنا آمن؟! قال: نعم، وصاحبك الذي تخلف في الجبل الخ..»^(١).

(١) الخرائج والجرائح (ط مؤسسة الإمام المهدي - قم) ج ١ ص ١٠٣ والبحار ج ٢٢ ص ٧٦ وج ١٨ ص ١١٧ عنه، ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٠٤.

ثم إن ملاحظة الروايات تعطي: أن ثمة اختلافاً فيما بينها، في عدد ذلك الوفد، فرواية ابن سعد المتقدمة، تقول: إن قيس بن غربة وفد في مائتين وخمسين رجلاً من أحمس..

وفي نص آخر: وفد إليه في خمس مائة من أحمس، وقدم جرير بن عبدالله البجلي في مائتين من قيس، والحجاج بن ذي الأعنق الأحمسي في رهطه^(١).
فأي ذلك هو الصحيح؟!

على أننا لا نجد ما يدعو لإيفاد هذا العدد الهائل من الناس.. خمس مائة يضاف إليها مئتان من قيس، ثم يضاف إلى هؤلاء وأولئك رهط الحجاج بن ذي الأعنق الأحمسي..

ولا ندري إن كان الأحمسيون كلهم يبلغون هذه الأعداد الكبيرة!! بل إذا كان وفدهم يصل إلى هذا العدد، فلا بد أن يكون من بقي منهم في بلادهم، ليحمي البلاد والعباد، ويدفع الغارات عن المال والعرض، ويحفظ النساء والصبيان أضعاف هذا العدد!

غزو خثعم بالأحمسيين:

وقد أضافت بعض الروايات: أن نفس وفد الأحمسيين، وقيس قد «تنادوا عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فبعث معهم ثلاث مائة من الأنصار، وغيرهم

(١) الإصابة ج ٣ ص ٢٥٦ وفي (ط دارالكتب العلمية) ج ٥ ص ٣٧٤.

من العرب، فأوقعوا بخثعم باليمن»^(١).

ونحن وإن كنا لم نستطع أن نفهم المراد من تناديهـم في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإننا لم نستطع أيضاً أن نؤكد صحة ادّعاء إرسالهم في سرية إلى خثعم، فإن سرية بهذا المستوى، وبهذه الكثرة، وقد وصلت إلى اليمن، وأوقعت بقبيلة مثل خثعم، لا يمكن أن تخفى أخبارها عن الرواة والمؤرخين، إلى حد أنهم لم يتمكنوا من التصريح حتى باسم أمير تلك السرية، ولاذكروا لنا شيئاً عن تفاصيل ما جرى لها ومنها!! ولم نعرف إن كانت قد جاءت بأسرى وسبايا وغنائم!! أم لم تحصل على شيء من ذلك!!..

كما أننا لا نعرف شيئاً عن عدد القتلى من خثعم، ولا ذكر أحد لنا اسم أحد من المقتولين من هذه القبيلة!!.

وفود غافق:

وقالوا: وفد جليحة بن شجار بن صحار الغافقي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجال من قومه، فقالوا: يا رسول الله نحن الكواهل من قومنا، وقد أسلمنا وصدقاتنا محبوسة بأفنيـتنا. فقال: «لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم». فقال عوذ بن سرير الغافقي: آمنا بالله واتبعنا رسوله»^(٢).

(١) الإصابة ج ٣ ص ٢٥٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٩٠ عن طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ص ١١٥. وفي (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٥٢.

وفود حضرموت:

قالوا: وقدم وفد حضرموت مع وفد كندة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم بنو وليعة ملوك حضرموت: جَمَد، وَخُوس، وَمِشْرَح، وَأَبْضَعَة، فَأَسْلَمُوا.

وقال خُوس: يا رسول الله، ادع الله أن يذهب عني هذه الرثّة من لساني. فدعا له، وأطعمه طُعمَة من صدقة حضرموت^(١).

وعن أبي عبيدة من ولد عمار بن ياسر قال: وفد خُوس بن معدي كرب بن وليعة فيمن معه على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم خرجوا من عنده، فأصابته خُوس اللقوة، فرجع منهم نفر، فقالوا: يا رسول الله، سيد العرب ضربته اللقوة، فادللنا على دوائه.

فقال: «خذوا مَخِيطاً، فاحموه في النار، ثم اقلبوا شفر عينه، ففيها شفاؤه، وإليها مصيره، فالله أعلم ما قُلتُم حين خرجتم من عندي». فصنعوا به فبراً^(٢).

عن عمرو بن مهاجر الكندي قال: كانت امرأة من حضرموت، ثم من تنعة يقال لها: تهناة بنت كُليب صنعت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢١ عن ابن سعد، وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ٢ ص ١١٢. وفي الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢١ عن ابن سعد. والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٥٠.

كسوة، ثم دعت ابنها كليب بن أسد بن كليب. فقالت: انطلق بهذه الكسوة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأثابه بها وأسلم، فدعا له، وقال كليب حين أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

من وشز برهوت يهوي بي عذافرة	إليك يا خير من يحفى ويتعل
تجوب بي صفصفاً غبراً مناهله	تزداد عفواً إذا ما كلت الإبل
شهرين أعملها نصاً على وجل	أرجو بذاك ثواب الله يا رجل
أنت النبي الذي كنا نخبره	وبشرتنا به التوارة والرسل ^(١)

معنى النبوة في وجدان الناس:

تقدم: أن أحد ملوك حضرموت يطلب منه «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله له ليذهب الرئة من لسانه، كما أنه حين ضربته اللقوة رجع منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر فطلبوا منه أن يدهم على دوائه.. وهذا معناه: أن المرتكز في نفوس الناس هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مجرد سياسي حاكم أو معلّم ومبلّغ للشرعة، أو قاضي، أو قائد، أو مصلح اجتماعي. بل هو أيضاً بنظرهم طبيب عالم بالدواء ويدلهم عليه، وهو أيضاً حلال مشكلاتهم، وشافعهم عند الله، وهو الذي يأتيهم الغيث بدعائه، وهو الذي يطلب من الله أن يزيل الرئة من لسان من ابتلي بها، إلى

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٢١ و ٣٢٢ عن ابن سعد. والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٣٩٩ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٣٢ والإصابة ج ٥ ص ٤٦٤.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٥٩
غير ذلك مما يجده المتبع لما جرى بينه «صلى الله عليه وآله» وبين من وفد
عليه من القبائل المختلفة، والبلاد المتباعدة..

وهذا الأمر يدلنا على أن هذا الفهم لمعنى النبوة هو أمر استقر في
نفوسهم، وفي وجدانهم بصورة عفوية، ولم يستفده الناس من تعليم معلم،
ولا من تصريح صادر عن نبي أو وصي..

ويلاحظ أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يستجيب لهم، ولم
يقل لأحد منهم ولو مرة واحدة: إن ذلك لا يدخل في صلاحياتي، أو لم
تصل إليه معرفتي، أو ليس من اختصاصي.

البشائر بالرسول:

وقد أظهر الشعر الذي قاله كُليب: أن بشائر اليهود بالنبي «صلى الله
عليه وآله» وما بلغ الناس عن الأنبياء من تأكيد على ظهوره «صلى الله عليه
وآله» قد أسهم في حسم الأمور لدى الكثيرين، فأمنوا به «صلى الله عليه
وآله»، وكان لهم بذلك الفوز العظيم.

وفادة الحكم بن حزن الكلفي:

عن الحكم بن حزن قال: قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»
سابع سبعة، أو تاسع تسعة، فأذن لنا فدخلنا، فقلنا: يا رسول الله، أتيناك
لتدعو لنا بخير، فدعا لنا بخير، وأمر بنا فأنزلنا، وأمر لنا بشيء من تمر،
والشأن إذ ذاك دون.

فلبثنا أياماً، فشهدنا بها الجمعة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
فقام متوكئاً على قوس أو عصاً، فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات،

٢٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

طيبات مباركات، ثم قال: «يا أيها الناس، إنكم لن تطيقوا أن تفعلوا كل ما أمرتم به، ولكن سدّدوا وأبشروا»^(١).

ونقول:

١ - إن قوله: أو تاسع تسعة لعله ليس من كلام الحكم بن حزم، بل هو من كلام الراوي عن الكتاب، إذ إنه كثيراً ما يشتبه الأمر على القارئ في هذا المورد لتقارب الرسم بين كلمتي سبع، وتسع، مع ملاحظة: أن النقط للحروف لم يكن شائعاً آنئذ.

٢ - ويلاحظ أيضاً: أن الناس كانوا يقصدون النبي «صلى الله عليه وآله» لمجرد طلب الدعاء منه لهم.

وهذا يشير إلى: أن له موقعاً خاصاً في نفوسهم وقلوبهم، وأن الأمر لدى الكثيرين قد تجاوز موضوع القناعة، وإظهار الاعتقاد، لتصبح علاقتهم برسول الله «صلى الله عليه وآله» علاقة مشاعرية وروحية ووجدانية.

وفود بني بكر بن وائل:

قال ابن سعد: قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله «صلى الله عليه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٢٢٢ وج ٦ ص ٣٢٢ عن أحمد، وأبي داود، والبيهقي واللفظ له. وفي هامشه عن: كنز العمال (٥٢١٩). ومسنّد أحمد ج ٤ ص ٢١٢ ونيل الأوطار ج ٣ ص ٣٣٠ وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٤٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ٢١٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٢ ص ٤٩٠ وكنز العمال ج ٣ ص ٦٧١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٢٠٩ وتهذيب الكمال ج ٧ ص ٩٣.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٦١

وآله»، فقال له رجل منهم: هل تعرف قس بن ساعدة؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليس هو منكم، هذا رجل من إياد، تحنّف في الجاهلية، فوافى عكاظاً والناس مجتمعون، فكلّمهم بكلامه الذي حفظ عنه».

وكان في الوفد بشير بن الخصاصية، وعبد الله بن مرثد، وحسان بن حوط، وقال رجل من ولد حسان:

أنا ابن حسان بن حوط وأبي رسول بكر كلها إلى النبي
وقدم معهم عبد الله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن
الحارث بن سدوس، وكان ينزل اليمامة، فباع ما كان له من مال باليمامة،
وهاجر وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجراب من تمر، فدعا له
رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالبركة^(١).

وفود الصدق:

عن جماعة من الصدق قالوا: قدم وفدنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم بضعة عشر رجلاً، على قلائص، لهم أزر وأردية، فصادفوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما بين بيته وبين المنبر، فجلسوا ولم يسلموا.

فقال: «أمسلمون أنتم؟»

قالوا: نعم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨١ وتهذيب تاريخ دمشق ج ١٠ ص ١٦٦ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ص ٧٩. وفي (ط دار صادر) ج ١ ص ٣١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٣٠٦.

قال: «فهلأ سلمتم»؟

فقاموا قياماً، فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فقال: «وعليكم السلام، اجلسوا».

فجلسوا، وسألوا رسول الله «عليه السلام» عن أوقات الصلاة، فأخبرهم

بها^(١).

ونقول:

قد يقال: إننا لا نرى مبرراً لعدم مبادرة هذا الوفد إلى السلام على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا عدم معرفتهم بتحية الإسلام، وخوفهم من أن تكون تحية الجاهلية مرفوضة، فأثروا السكوت.

ولكن هذا التبرير لا يكفي لتفسير فعلهم هذا، فإنهم حين عاتبهم النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعتذروا له بجهلهم بتحية الإسلام، ولا سألوا غيره عن كيفية تحية أهل الإسلام..

إلا أن يدعى: أنهم توهموا أن تكون تحية الإسلام بالسلام قد استبدلت بسواها.. أو أنهم ظنوا: أنهم سيتعرضون لسوء، أو أن ذلك كان سوء أدب، وجهلاً منهم.. وكلها احتمالات ليس لها ما يؤيدها.

غير أن مما لا شك فيه: أنه لم تكن لديهم أية نوايا سيئة، كما أظهره تصرفهم بعد مطالبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم بذلك.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٣ و ٣٥٢ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٤٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٨١.

وفود بني سحيم:

عن أبي عبيدة: أن الأسود بن سلمة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد بني سحيم، فأسلم، فردهم إلى قومهم وأمرهم أن يدعوهم إلى الإسلام، وأعطاهم أداة ماء قد تغل فيها، أو مج، وقال: «فلينضحوا بهذه الأداة مسجدهم، وليرفعوا رؤوسهم» إذا رفعها الله تعالى، فما تبع مسيلمة منهم رجل، ولا خرج منهم خارجي قط^(١).

ونقول:

إن الدعوة حين تأتي من خارج القبيلة تبقى هناك حالة من التراخي في مناصرتها، ولا تحظى بالحرص والاندفاع الذي تحظى به لو كانت نابعة من الداخل، ومن خلال الإحساس بضرورة تلك الدعوة، وبال الحاجة لها.. كما أن ذلك يوفر لدى القبيلة مستوى من الإطمئنان، والإحساس بالأمن والسكينة معها، حيث لا يتوجس أحد من أهل القبيلة أي نوع من الخوف من تسريب ثمراتها ومنافعها، أو تسريب جزء منها إلى خارج القبيلة.

وكل ذلك يوضح لنا السبب في إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» أبناء القبائل لدعوة قومهم وقبائلهم..

وفود بني سدوس:

عن عبد الله بن الأسود قال: كنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٢ عن الرشاطي. والإصابة ج ١ ص ٢٥٧.

وفد بني سدوس، فأهدينا له تمرًا، فنثرناه إليه على نطح، فأخذ حفنة من التمر، فقال: «أي تمر هذا؟»

فجعلنا نسمة حتى ذكرنا تمرًا، فقلنا: هذا الجذامي، فقال: «بارك الله في الجذامي، وفي حديقة يخرج هذا منها، أو جنة خرج هذا منها»^(١).
ونقول:

لا شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بالتمر الذي كان يسألهم عنه، وقد ذكر لوفد آخر جميع أنواع التمر حتى أدركوا أنه أعرف بأنواع التمر ممن عاش في بلاد هجر، ولكن سؤاله هذا يؤكد لهم بشريته، ويدفع عنهم الأوهام التي ربما تكون قد علفت في أوهامهم، من خلال ما سمعوه من شياطين أهل الشرك، والكفر: من أن الرسول «صلى الله عليه وآله» لا بد أن يكون ملكاً، أو ما إلى ذلك..

ثم هو يزيل حزاة ربما تكون قد نشأت عن تداعي المعاني، بصورة قهرية، حيث يستذكر الإنسان مرض الجذام الذي تنفر منه النفوس، وتقشعر له الأبدان، فإذا عرفهم بقيمة هذا التمر، وبأن الحديقة التي يخرج منها، أو الجنة التي خرج منها مباركة، فإن الرغبة به ستتضاعف، والرضا به سوف يتنامى ويتأكد.

على أن من الواضح: أن نفس هذا الثناء على هذا النوع من التمر يشير إلى

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٣ عن البزار، وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج ٥ ص ٤٣ وعزاه للبزار، والطبراني بنحوه، وقال: وفيه جماعة لم يعرفهم العلائي ولم أعرفهم. وكثر العمال ج ١٢ ص ٣٤٢ وج ١٤ ص ١٨٩.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٦٥
معرفته «صلى الله عليه وآله» به، وإلى أن سؤاله عنه كان يهدف إلى استحضار
المعنى، وتأكيد تصورهم له، والتفاتهم إلى ما يريد أن يقول لهم عنه..
وكيف لا يعرف «صلى الله عليه وآله» أنواع التمر، وهو يعيش في بلاد
التمر، وهو من طعامه المفضل، ويتعامل مع الناس به..

وفد الجشمي، أو الجيشاني:

عن عمرو بن شعيب قال: قدم أبو وهب الجيشاني على رسول الله
«صلى الله عليه وآله» في نفر من قومه، فسألوه عن أشربة تكون باليمن.
قال: فسموا له البتّع من العسل، والمزّر من الشعير.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل تسكرون منها؟»
قالوا: إن أكثرنا سكرنا.
قال: «فحرام قليل ما أسكر كثيره».
وسألوه عن الرجل يتخذ الشراب، فيسقيه عماله.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كل مسكر حرام»^(١).
والبتّع: شراب يتخذ من العسل.
والمزّر: نبيذ الشعير والحنطة، والحبوب.
ويلاحظ هنا ما يلي:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣١٨ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد
(ط ليدن) ج ٢ ص ١٢١ و(ط دار صادر) ج ١ ص ٣٥٩ وراجع: الإستيعاب
(بها مش الإصابة) ج ٤ ص ٢١٦ عن سنيد، عن الأوزاعي.

الجيشاني أم الجسمي؟!

إن أبا عمر ابن عبد البر قال عن أبي وهب الجيشاني: «لا أدري أهو الجسمي أم لا. وقال فيه: الجيشاني كما ترى. والصواب عندهم الجسمي.. إلى أن قال: وأما أبو وهب الجيشاني فرجل من التابعين، من أهل مصر النخ...»^(١).

سؤال النبي ﷺ عن البتّع:

إنه لا شك في: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف معاني الألفاظ التي كان يخاطب بها. في الوقت الذي كان يكلم كل أهل لسان بلسانهم، بل كان يعرف لغة الطير وسائر المخلوقات، ولكن إذا كان لبعض المفردات معاني مختلفة، أو مصاديق متفاوتة، فلا بد من استنطاق من يخاطبه عن المعنى الذي يقصده منها ليتم تحديده بدقة، خاصة إذا اختلفت أحكام تلك المعاني باختلافها، لكي لا تساء الاستفادة من إطلاق الجواب، وتسجيل الحكم على موضوع غائم، أو مطاط، ينتهي بالناس إلى الخطأ في فهم مرادات النبي «صلى الله عليه وآله»، وبالتالي الخروج على الثوابت الشرعية، أو الإيمانية، أو غيرها مما يتعرض له النص.

ومن المعلوم: أن المياه في كثير من المناطق العربية كانت وشلة غير صالحة للشرب، فكانوا يحاولون تحليتها وتغيير طعمها بتمر أو عسل، أو

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٢١٦ و الإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٧٧٥ وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٢٢.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٦٧

غير ذلك. فمنها ما كان يتخمر حتى يصبح مسكراً، ومنها ما كانوا يشربونه بمجرد وضعها فيه وهذا معناه: أن بعض الأنبذة حرام. وهو خصوص ما يتخمر، ويصنع، ليصبح مسكراً.. وبعضها حلال وهو ما كان يحلى بالعسل أو غيره ويشرب مباشرة، من دون أن يعرضوه للتصنيع والتخمير. ولذلك كان لابد من تحديد معنى البتّع، حتى لا يظن ظان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أحل لهم ما يكون منه مسكراً.

وفود بهراء:

عن كريمة بنت المقداد قالت: سمعت أُمِّي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول: قدم وفد بهراء من اليمن على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً. فأقبلوا يقودون رواحلهم، حتى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو، ونحن في منازلنا بيني حديلة (بطن من الأنصار). فخرج إليهم المقداد، فرحب، وأنزلهم، وقدم لهم جفنة من خيس^(١). قالت ضباعة: كنّا قد هيأناها قبل أن يحلّوا لنجلس عليها، فحملها المقداد وكان كريماً على الطعام. فأكلوا منها حتى نهلوا، وردت إلينا القصعة وفيها شيء، فجمع في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها مع سدرّة مولاتي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجدته في بيت أم سلمة. فقال «صلى الله عليه وآله»: «ضباعة أرسلت بهذا؟» قالت سدرّة: نعم يا رسول الله.

(١) الخيس: تمر يعجن بسمن وأقط.

قال: «ضعي».

ثم قال: «ما فعل ضيف أبي معبد؟»

قلت: عندنا. فأصاب منها رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو ومن معه في البيت حتى نهلوا، وأكلت معهم سدره.

ثم قال: «اذهبي بما بقي إلى ضيفكم».

قالت سدره: فرجعت بالقصعة إلى مولاتي. قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا. فرددها عليهم وما تغيض، حتى جعل الضيف يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا، وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين. وقد ذكر لنا: أن بلادكم قليلة الطعام، إنما هو العُلُق أو نحوه، ونحن عندكم في الشبع.

فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه أكل منها وردها، وهذه بركة أصابعه «صلى الله عليه وآله».

فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد «صلى الله عليه وآله».

فأتوه، فأسلموا، وتعلموا الفرائض، وأقاموا أياماً. ثم جاؤوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يودعونه، فأمر لهم بجوائز، وانصرفوا إلى أهلهم^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٤ عن الواقدي، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤. وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٠٨.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٦٩
ونقول:

١ - إن ما فعله المقداد لم يكن مجرد كرم وسخاء، بل هو إثارة تعلمه من مدرسة الإيمان والقرآن، فجزاه الله خيراً، ورضي الله عنه وأرضاه.

٢ - قد أشارت الرواية إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يظهر لهؤلاء الوافدين الكرامة الإلهية، لكي يلمسوها بأنفسهم، ليسهل عليهم أمر الإيمان بالغيب، وبالرعاية الإلهية، فإن الكثيرين من أهل بلاد العرب ومن غيرها في مختلف الدهور، وعلى مر العصور ليسوا قادرين على محاكمة الأمور بطريقة عقلية وعلمية صحيحة، بسبب محدودية معارفهم التي تستفيد منها عقولهم في الوصول إلى النتائج الصحيحة والواضحة، فلا يكفي أن يقرأ عليهم القرآن ليدركوا إعجازه، ويؤمنوا بالله وبرسوله، بل هم يحتاجون إلى ما هو أيسر من ذلك، وأقرب إلى الحس.

ومن الواضح: أن أقرب الأشياء على تفكيرهم، وأشدّها لصوقاً بأحاسيسهم، هي تلك التي يشعرون بها من خلال حاجة الجسد، ودعوته لهم لتلبيتها بما يثيره فيهم من الشعور بالخطر على الحياة، أو التماس اللذة، أو سد الحاجة وليس ذلك إلا ما يتصل بالطعام والشراب، الذي به قوام الجسد، وحفظ الوجود.

فإذا جاءت المعجزة لتلبي لهم هذه الحاجة بالذات، فإن التفاعل معها، وإدراك قيمتها لابد أن يعطي الإيمان الناشئ عنها عمقاً ورسوخاً في الروح، وتجذراً في الوجدان قد يتجاوز في مداه وفي قدرته ما تعطيه المعادلات الفكرية، والبراهين العقلية.

وهذا يؤكد لنا قيمة ما ورد في النص المذكور، «فجعل القوم يقولون:

٢٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد «صلى الله عليه وآله»، فأتوه وأسلموا، وتعلموا الفرائض الخ..».

وفود بارق:

قال ابن سعد: قدم وفد بارق على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدعاهم إلى الإسلام، فأسلموا، وبايعوا، وكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق. لا تُجذ ثمارهم، ولا تُرعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جذب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلا بن السبيل اللقاط، بوسع بطنه من غير أن يقتشم» شهد أبو عبيدة بن الجراح، وحذيفة بن اليمان، وكتب أبي بن كعب^(١).
ونقول:

بنو بارق بطن من خزاعة. وقال السمعاني: نسبوا إلى بارق، جبل ينزله الأزد - فيما أظنه - ببلاد اليمن.
وجذ الثمار: قطعها. أي ليس لأحد قطع ثمارهم، ورعي بلادهم، لا في المربع. أي في مكان نزولهم في الربيع، ولا في المصيف. أي مكان نزولهم في الصيف.
والعرك: الخصب.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٧ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٣٥ و ٨١ وفي (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٨٦ ورسالات نبوية ص ١١٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٤١.

اشتراط ضيافة المسلمين:

كان النبي «صلى الله عليه وآله» يشترط ضيافة جيوش المسلمين في الكتب التي كان يكتبها لوفود قبائل العرب. وقد يكون سبب ذلك أموراً مجتمعة أو متفرقة.. مثل:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يخفف عن تلك الجيوش التي تجوب البلاد طولاً وعرضاً، فلا تكلف بحمل زادها، الذي يحتاج إلى المزيد من الإبل، وإلى جهد، وتعب، وإلى تفرغ فريق يتولى هذه المهمة.. وإلى.. وإلى..

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» يريد من تلك القبائل أن تشارك في الجهد والجهاد، وتضحى من أجل هذا الدين، وترسخ محبتها للمجاهدين، الذين يحملون دماءهم على أكفهم، ويبدلون مهجهم من أجل أن يعيش الناس كلهم بما فيهم تلك القبائل بأمن وسلام.

كما أن جهاد هؤلاء المجاهدين لا بد أن يثمر لأهل الإيمان كلهم عزة وكرامة، وشوكة، ورفعة شأن..

٣ - إن هذه التضحيات منهم في سبيل إخوانهم من شأنها أن ترسخ علاقة الأخوة في المجتمع الإسلامي، وتزيل من القلوب أنواعاً من المشاحنات، والأحقاد، وربما حالات الحسد، وما إلى ذلك.. ولا بد من أن يحقق ذلك انسجاماً أعمق، وعلاقات أوثق. تساعد على نقل المعارف والثقافات، والتجارب من قبيلة إلى قبيلة، ومن فريق إلى فريق.

وفود عمرو بن معدي كرب الزبيدي

قالوا: قدم عمرو بن معدي كرب في أناس من بني زبيد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي - وهو ابن أخته -: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا: أن رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عنك، إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه.

فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه، فركب عمرو بن معدي كرب حتى قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلم وصدقه وآمن به. فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمرواً (وتحطم عليه وقال: خالفني وترك رأيي). فقال عمرو في ذلك شعراً أوله:

أمرتك يوم ذي صنعا ء أمراً بادياً رشده

قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معدي كرب في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك، فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ارتد عمرو. قال ابن سعد: ثم رجع إلى الإسلام، وأبلى يوم القادسية وغيرها^(١). ونقول:

إن هذه الحكاية موضع شك:

أولاً: قال الخطيب عن عمرو: قيل: لم يلق رسول الله «صلى الله عليه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٨٦ والإصابة ج ٣ ص ١٨ والطبقات الكبرى لابن

سعد (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٧٢.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٧٣
وآله»، وإنما قدم المدينة بعد وفاته^(١).

ثانياً: أننا قد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وجه علياً «عليه السلام»، وخالد بن سعيد إلى اليمن، فأسرا جماعة من بني زبيد قوم عمرو بن معد يكرب، فقال عمرو: دعوني آتي هؤلاء القوم، فإني لم اسمّ لأحد قط إلا هابني، فلما دنا منهما وعرفهما بنفسه، ابتدراه كل منهما يقول: خلني وإياه.

فقال عمرو: العرب تُفزع بي، وأراني لهؤلاء جزراً، فانصرف^(٢).

وفي نص آخر: أن خالد بن سعيد سبى قوم عمرو، ثم كلمه عمرو فيهم، فوهبهم له، فوهبه عمرو سيفه، ومدحه في شعره^(٣).

فإن كان عمرو بن معدي كرب قد وفد مع بعض بني زبيد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأسلم على يديه، فإنما كان ذلك بعد قصته مع أمير المؤمنين، ومع خالد بن سعيد بن العاص.. ولا يصح قوله لقيس بن مكشوح: قد ذكر لنا: أن رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز الخ..

بل قد يكون ثمة رغبة في إعطاء عمرو بن معدي يكرب وسام الصحبة مكافأة له على مشاركته في الحروب في عهد عمر بن الخطاب، ومنها حرب القادسية.

(١) الإصابة ج ٣ ص ١٨ عن المتفق والمفترق للخطيب وج ٤ ص ٥٦٩.

(٢) ذكرنا مصادر ذلك في موضعه من السرايا، وراجع: الإصابة ج ٣ ص ١٨ عن مناقب الشافعي لابن شاکر.

(٣) تقدمت مصادر ذلك، وراجع: الإصابة ج ٣ ص ١٨ عن ابن أبي شيبة

وفود طارق بن عبد الله:

عن طارق بن عبد الله قال: «إني لقائم» بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة له، وهو يقول: أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه، يرميه بالحجارة يقول: أيها الناس، إنه كذاب، فلا تصدقوه. فقلت: من هذا؟

فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله.

قال: فقلت: من ذا الذي يفعل به هذا؟

قالوا: عمه عبد العزى.

قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة، نمتار من تمرها. فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا: لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير هذه، فإذا رجل في طمرين له، فسلم وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة.

قال: وأين تريدون؟

قلنا: نريد المدينة.

قال: ما حاجتكم فيها؟

قلنا: نمتار من تمرها.

قال: ومعنا ظعينة لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال: أتبيعوني جملكم هذا؟

قالوا: نعم، بكذا وكذا صاعاً من تمر.

قال: فما استوفينا مما قلنا شيئاً حتى أخذ بخطام الجمل وانطلق به، فلما

توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها، قلنا: ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف، ولا أخذنا له ثمناً.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٧٥

فقالت المرأة التي معنا: لا تلاوموا، فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم.

إذ أقبل رجل فقال: أنا رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم، هذا تمركم، فكلوا واشبعوا، واكتالوا واستوفوا.

فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس، فأدركنا من خطبته وهو يقول: «تصدقوا، فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول: أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك».

فأقبل رجل في نفر من بني يربوع، أو قام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، إن لنا في هؤلاء دماً في الجاهلية.

فقال: «لا تجني أم على ولد» ثلاث مرات^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٥٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٩٩ - ٢٠٢ عن البيهقي، والحاكم وذكره الهيثمي في المجمع ج ٦ ص ٢٥ وعزاه للطبراني وقال فيه: أبو حباب الكلبي وهو مدلس وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. وتغليق التعليق لابن حجر ج ٣ ص ٢٣٨ وراجع: كنز العمال ج ٦ ص ٣٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٦٩ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٩٠ والمستدرک للحاکم ج ٢ ص ٦١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٢٤٣ والمفاريدين عن رسول الله (ص) لأبي يعلى الموصلي ص ١٠٩ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥١٩ وإمتاع الأسع ج ٨ ص ٣١٥ وسيرة ابن إسحاق ج ٤ ص ٢١٦.

ونقول:

إننا نشك في هذه المزاعم، وذلك لما يلي:

أولاً: إن النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليخرج وحده إلى خارج المدينة، يتجاوز حيطانها (أي بساكنها) ونخلها دونما سبب يدعو به إلى إيثار هذه الوحدة..

ثانياً: إنه لا يأخذ منهم الجمل بطريقة غير مألوفة، وكأنه يقتنصه منهم اقتناصاً، بخطامه، وانطلق به دون أن يدفع لهم من ثمنه شيئاً، بل دون أن يفاوضهم على زمان الدفع ومكانه..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يقدم على مخالفة حكم الشريعة، حتى لو على سبيل الإحتمال، إذ لعلهم لا يرضون بأخذ الجمل منهم دون أن يدفع ثمنه، لا سيما وأنهم لا يعرفون شيئاً عن المشتري.

ثالثاً: ما معنى أن تدرك المرأة صفات وميزات ذلك المشتري، وتلاحظ: أن وجهه كأنه شقة قمر، وأن وجهه وجه من لا يغدر بالناس. ولا يدرك الآخرون من الرجال الحاضرين ذلك؟!!

رابعاً: إذا كان طارق قد رأى النبي «صلى الله عليه وآله» بذى المجاز، فلا بد أن يعرفه حين التقى به خارج المدينة، حتى لو فصل بين رؤيته الأولى، والثانية حوالي عشر سنوات، فإن الملامح لا تتغير في هذا السن بصورة كبيرة، ولعل التعبير عن النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه غلام قد يكون هدفه التغرير بالناس وإيهامهم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان صغير السن وقد تغيرت ملامحه، فلم يعرفه طارق لأجل ذلك..

وقد فاتته: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أصبح رسولاً وهو في سن

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٧٧
الأربعين، وأن كلمة غلام تطلق على الشاب وعلى الشيخ، فراجع.

وفود عنزة:

عن سلمة بن سعد: أنه وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو
وجماعة من أهل بيته وولده، فاستأذنوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
فدخلوا، فقال: «من هؤلاء؟»
ف قيل له: هذا وفد عنزة.

فقال: «يخ يخ يخ» - أربعاً - «نعم الحى عنزة، مبغى عليهم
منصورون، مرحباً بقوم شعيب، وأختان موسى، سل يا سلمة عن حاجتك».
قال: جئت أسألك عما افترضت علي في الإبل والغنم.

فأخبره، ثم جلس عنده قريباً، ثم استأذنه في الإنصراف. فما عدا أن قام
لينصرف، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم ارزق عنزة كفافاً،
لا فوت ولا إسراف»^(١).

ونقول:

١ - إننا نستطيع أن نؤكد أو أن ننفي وصدور هذه الكلمات عن النبي
«صلى الله عليه وآله»، فقد قلنا: إن ما يرتبط بمدح القبائل والبلدان يبقى في
موقع التهمة، حتى تظهر الدلائل التي تؤكد أو تنفيه ..
ثم إن الناس بشر يخطئون ويصيبون، ويطيعون ويعصون ويقعون تحت

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٨٨ عن مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٥٤ عن الطبراني،
والبزار، والإصابة ج ٢ ص ٦٥ عن الطبراني، وابن قانع. والمعجم الكبير
للطبراني ج ٧ ص ٥٥ وكنز العمال ج ١٢ ص ٦٥.

تأثير الأهواء ووساوس الشيطان..

٢ - لم يظهر لي وجه تخصيص عترة بهذا الترحيب والثناء، ولم أعرف من الباغي على عترة، الذي ينصرون عليه، ومتى كان ذلك.. ولماذا كانوا قوم شعيب، وأختان موسى «عليه السلام»..

٣ - إن القادمين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» هم: سلمة وأهل بيته وولده، وهم أهل بيت واحد، فأين كان سائر رجال قبيلة عترة، فلماذا لم يفد منهم أحد؟!

وفود بني سعد هذيم:

روى محمد بن عمر الأسلمي، عن ابن النعمان، عن أبيه قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وافداً في نفر من قومي، وقد أوطأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» البلاد غلبة، وأذاخ^(١) العرب.

والناس صنفان: إما داخل في الإسلام راغب فيه، وإما خائف من السيف، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي على جنازة في المسجد، فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم، وقلنا: حتى نلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونبايعه.

ثم انصرف «صلى الله عليه وآله»، فنظر إلينا فدعا بنا فقال: «عن أنتم؟ قلنا: من بني سعد هذيم.

(١) لعل الصحيح: أذاخ العرب. أي فرقهم وبددهم.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٧٩
فقال: «أمسلمون أنتم»؟

قلنا: نعم.

قال: «فهلأ صليتم على أخيكم»؟

قلنا: يا رسول الله، ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أينما أسلمتم، فأنتم مسلمون».

قال: فأسلمنا وبايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأيدينا على

الإسلام، ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» في طلبنا، فأتي بنا إليه، فتقدم

صاحبنا فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا وإنه خادمنا.

فقال: «أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليه».

قال: فكان والله خيرنا، وأقرأنا للقرآن، لدعاء رسول الله «صلى الله

عليه وآله» له، ثم أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» علينا، فكان يؤمنا.

ولما أردنا الإنصراف أمر بلالاً فأجازنا بأواقي من فضة لكل رجل منا،

فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله عز وجل الإسلام^(١).

أول جنازة صلى عليها رسول الله ﷺ:

قال في النور: يحتمل أن صاحب الجنازة سهيل بن بيضاء، فإن قدوم

هذا الوفد كان في سنة تسع، وسهيل توفي فيها في مقدمه من تبوك، ولا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٠٤

- ٢٠٦ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٠٤ والسيرة الحلبية ج ٣

ص ٢٦٧.

أعلمه صلى في جنازة في المسجد إلا عليه.

ووقع في صحيح مسلم: أنه صلى على سهيل وأخيه في المسجد.

ففيه: أنه إن كان المراد به سهلاً فلا يصح، لأنه مات بعد النبي «صلى الله عليه وآله» كما قاله محمد بن عمر [الواقدي].

وكونه صفواناً فيه نظر أيضاً، لأنه استشهد ببدر.

والصواب: حديث عبادة في مسلم الذي فيه أفراد سهيل لا الحديث

الذي بعده.

هذا في المسجد النبوي. وقد صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

مسجد بني معاوية على أبي الربيع عبيد الله بن عبد الله بن ثابت بن قيس، وكان قد شهد أحداً^(١).

غير أننا نقول:

إن الذين يعيشون في المدينة من المسلمين كانوا كثيرين ويعدون بالمئات، بل قيل: يعدون بالألوف، فهل كان «صلى الله عليه وآله» يقصد بيوت من يموت منهم ليصلي على جنازتهم فيها؟ أم أنه كان يصلي عليها بالبقيع، أو في ساحات أخرى من المدينة؟! أم كانوا يأتون بجنازتهم إليه، ليصلي عليها في المسجد؟! أم أنه لم يمت أحد في المدينة طيلة تلك السنوات منذ الهجرة؟! أم أن الناس كانوا يصلون على جنازتهم بأنفسهم من دون الرجوع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك؟!!

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ٢٠٥

وحواشي الشرواني ج ٣ ص ١٩٠.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن عدم نقل ذلك لا يدل على عدم وجوده، ولا يستحق أن يشغل الناس بأمور كهذه.

الخوف من السيف:

قد ذكر النص المتقدم: أن الناس صنفان: إما خائف من السيف، أو داخل في الإسلام. وهذا كلام غير دقيق. فإن الإسلام لم يزل يعلن للناس أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١).

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢).

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾^(٣).

وآيات كثيرة أخرى..

فالخائفون من السيف هم خصوص أولئك الذين يريدون أن يكونوا جبارين في الأرض، ويواجهون النبي «صلى الله عليه وآله» بالحرب، لمنعه من إبلاغ دعوته، ومنع من تبلغهم الدعوة من ممارسة حقهم في اختيار هذا الدين، والإيمان به، حتى أنهم يعاقبون من يفعل ذلك بالقتل، وبالتعذيب، وبالمقاطعة بجميع أنواعها وبكل ما يقع تحت اختيارهم.

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٢٧٢ من سورة البقرة.

أصغر القوم خادهم:

وأما حديث أصغر القوم خادهم، فنحن نشك في صحته لا سيما وأن الخادم للقوم هو الذي يقدر على خدمتهم، والقيام بحوائجهم، والأصغر قد لا يكون كذلك في أحيان كثيرة..

والمروي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «سيد القوم خادهم»^(١). وهذا الحديث، وإن حاول بعض أهل السنة تضعيفه سنداً^(٢)، ولكنه يبقى هو المناسب لطبيعة الأمور، فإن سيد القوم يكون بحسب العادة قادراً على قضاء حوائج الناس وتقديم الخدمات لهم، إما مباشرة أو من خلال ما لديه من نفوذ ومكانة تجعل كلمته مسموعة، وتجعله قادراً على استخدام وسائل مختلفة..

وفود أسلم:

قال ابن سعد: قدم عُمر بن أفصى في عصابة من أسلم، فقالوا: «قد آمنا بالله ورسوله، واتبعنا منهاجك، فاجعل لنا عندك منزلة تعرف العرب

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٥١ والبحار ج ٧٣ ص ٢٧٣ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٥٩ و ٢٩٠ والجهاد لعبد الله بن المبارك ص ١٧٧ والجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٥٩ وكنز العمال ج ٦ ص ٧١٠ وج ٩ ص ٤٠ وفيض القدير للمناوي ج ٤ ص ١٦١ وكشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٠٩ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٥ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٣ ص ٣١٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٠٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٠٩ وج ٣ ص ٢٦٧.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ج ١ ص ٤٦٣.

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٨٣
فضيلتها، فإننا إخوة الأنصار، ولك علينا الوفاء والنصر في الشدة والرخاء». فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها».

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً لأسلم، ومن أسلم من قبائل العرب، ممن يسكن السيف^(١) والسهل، وفيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي. وكتب الصحيفة ثابت بن قيس بن شماس. وشهد أبو عبيدة بن الجراح، وعمر بن الخطاب^(٢).
ونقول:

إننا لا نطمئن إلى صحة ما تقدم، فلاحظ ما يلي:

الثناء على أسلم وغفار:

وأول ما نذكره هنا هذا الثناء على قبيلتي أسلم وغفار، من دون أي مبرر ظاهر، مع أن هاتين القبيلتين بالإضافة إلى جهينة ومزينة هم المعنيون بالآية: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾^(٣). كما قاله عكرمة^(٤).
وقد تحدثنا عن هذا الأمر في بعض أجزاء هذا الكتاب فراجع.

(١) أي سيف البحر.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٠ عن ابن سعد والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٥٤ وهو عند البخاري ج ٢ ص ٣٢ ومسلم ج ٤ ص ١٩٢٢ وراجع الإصابة ج ٣ ص ٢٩.

(٣) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧١ عن ابن المنذر. وفتح القدير ج ٢ ص ٤٠١.

ولعل سبب هذا الثناء على قبيلة أسلم هو أنها هي التي كانت قد احتلت المدينة، ومكنت لأبي بكر من غصب الخلافة من الوصي والولي المنسوب من قبَل الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير بأمر من الله تعالى، ولم يزل النص عليه بالإمامة والخلافة يتوالى منه «صلى الله عليه وآله» طيلة أكثر من عشرين سنة. ولعلنا نشير إلى ما فعلته أسلم في التمكين لأبي بكر إن شاء الله تعالى^(١).

أسلم إخوة الأنصار:

ثم إننا لم نستطع أن نفهم السبب في أنهم اعتبروا أنفسهم أخوة الأنصار.. فإن كان المقصود هو الأخوة في الإيمان، فإن هذا لا يجعل لهم امتيازاً على من سواهم من سائر المسلمين، لكي يطالبوا النبي «صلى الله عليه وآله» بتمييزهم على من عداهم، كما أنه لا يبرر تخصيصهم للأنصار بالأخوة، فهم إخوة للمهاجرين أيضاً.

وإن كان المقصود هو: أخوة خاصة، فإن التاريخ لا يثبت لهم شيئاً من ذلك.

طلب المنزلة الخاصة:

على أن طلبهم أن يكون لهم منزلة خاصة عند رسول الله «صلى الله

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم) ج ٣ ص ٢٢٢ وتلخيص الشافي ج ٣ ص ٦٦ والبحار ج ٢٨ ص ٣٢٦ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٢٦ و ٣٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٤٠ والجمال للمفيد ص ١١٩.

عليه وآله» يدل دلالة تكاد تكون واضحة على حب هؤلاء للدنيا، وعلى أن لهم تعلقاً خاصاً بها..

وذلك يقتضي أن يبادر «صلى الله عليه وآله» إلى معالجة هذا الأمر فيهم.. إذ إنهم لم يفعلوا بعد أي شيء يستحقون به تلك المنزلة، سوى أنهم قد آمنوا بالله ورسوله، وهذا ما يفعله سائر الناس، وقد سبقهم إليه غيرهم.

وفد بني هلال:

قالوا: وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر من بني هلال، فيهم عبد عوف بن أصرم بن عمرو، فسأله عن اسمه، فأخبره.
فقال: «أنت عبد الله»، فأسلم.

ومنهم قبيصة بن المخارق قال: يا رسول الله، إني حملت عن قومي حمالة، فأعنتي فيها.

قال: «هي لك في الصدقة إذا جاءت»^(١).

وروى مسلم عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها».

قال: ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٥ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ص ٧٤ وراجع: الإصابة ج ١ ص ٥٥٨ والمعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ١٨٠.

٢٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه (فيقولون) لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال: سداداً من عيش - فما سواهن [من المسألة] يا قيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً^(١).

ونقول:

لماذا غضب النبي ﷺ؟!:

زعمت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» غضب حين رأى زياد بن الحارث عند ميمونة، ورجع، فلما أخبرته ميمونة بأنه ابن أختها عاد فدخل إليها.

وهذا كلام يشك في صحته:

أولاً: لأن المفروض أنه: لا بد للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يحسن الظن بميمونة، فإنها مسلمة يحمل فعلها على الصحة، ومع شكه في الأمر، فلماذا غضب، ثم بادر لاتخاذ قرار بالرجوع، ورجع، قبل أن يتحقق من صحة ما ظنه، ولو بسؤال ميمونة عن ذلك الرجل الغريب..

ثانياً: لماذا لم يبادر «صلى الله عليه وآله» إلى طرد ذلك الرجل، بدلاً من أن يرجع؟! أو فقل: لماذا لم يسأله عن سبب دخوله إلى بيته!؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٠٣ وج ٦ ص ٤٢٥ وفي هامشه عن: مسلم، كتاب الزكاة (١٠٩) وأبي داود (١٦٤٠) والنسائي ج ٥ ص ٨٩.

وفود بني عقيل بن كعب:

قال أشياخ من بني عقيل: وفد منا من بني عقيل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومطرف بن عبد الله بن الأعلم بن عمرو بن ربيعة بن عقيل، وأنس بن قيس بن المنتفق بن عامر بن عقيل، فبايعوا وأسلموا، وبايعوه على من وراءهم من قومهم، فأعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» العقيق، عقيق بني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل، وكتب لهم بذلك كتاباً في أديم أحر:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربيعاً ومطرفاً وأنساً، أعطاهم العقيق، ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا». ولم يعطهم حقاً لمسلم [وكان الكتاب في يد مطرف]^(١). ونقول:

بايعوا على من وراءهم:

إن بيعة بني عقيل على من وراءهم من قومهم لعلها كانت مستندةً إلى أن قومهم كانوا قد فوضوهم، والتزموا بها يقررونه في وفادتهم تلك، أو أنهم يثقون بقبول قومهم منهم.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٨٤ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٢

ص ٦٦ و ٦٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٧٤.

إقطاع أرض فيها عيون ونخل:

وقد ذكر آنفاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى العقيق لبني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل..

وقد ذكرنا حين الحديث عن إقطاعات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الظاهر هو أن المقصود بالنخيل أصولها، أو تلك التي تركها أهلها، وليس لها من يهتم بها..

وربما يكون بنو عقيل هم الأقرب أو الأقدر على إحياؤها من غيرهم، بملاحظة ظروفهم وظروف غيرهم..

وعن تصريح في الكتاب بقوله: «ولم يعطهم حقاً لمسلم» نقول: إن ذلك يقطع الطريق على أي احتمال ربما يتذرع به أهل الريب في هذا الاتجاه.

إقطاع مشروط:

وقد صرح الكتاب الذي كتبه لبني عقيل: بأن هذا الإقطاع مشروط بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، فمتى لم يقوموا بهذه الشروط سقطت مالكيتهم..

وليس لأحد أن يعترض أو أن يناقش في هذا الإشتراط، فإن الأرض لله ولرسوله، وهو الذي يشرع، ويقرر، ويشترط.

وفود خولان:

قالوا: قدم وفد خولان (قبيلة في اليمن) وهم عشرة نفر في شعبان سنة

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٨٩

عشر، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله، ومصدقون برسوله، ونحن على من وراءنا من قومنا، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما ما ذكرتم من مسيركم إلي، فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة. وأما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة».

فقالوا: يا رسول الله، هذا السفر الذي لا توى عليه (أي لا هلاك). ثم قال «صلى الله عليه وآله»: «ما فعل عم أنس؟» وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه.

قالوا: بَشَرٌ وَعَرٌّ، أبدلنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه لهدمناه، وبقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير، وعجوز كبيرة متمسكون به، ولو قد قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى، فقد كنا منه في غرور وفتنة.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وما أعظم ما رأيتم من فتنته؟»

قالوا: لقد رأيتنا وأُسْتَتْنَا حتى أكلنا الرمة، فجمعنا ما قدرنا عليه، وابتعنا مائة ثور ونحرقناهم لعم أنس قرباناً في غداة واحدة، وتركناها ترددها السباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العشب يوارى الرجل، فيقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس.

وذكروا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً له، وجزءاً لله بزعمهم. قالوا: كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه، فنسميه له، ونسمي

زرعاً آخر حجرة لله، فإذا مالت الريح فالذي سميناه لله جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح فالذي سميناه لعم أنس جعلناه لله.

فذكر لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن الله عز وجل قد أنزل عليه في ذلك: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١).

قالوا: وكنا نتحاكم إليه فنكلم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تلك الشياطين تكلمكم».

قالوا: إنا أصبحنا يا رسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لم يعبده.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي هداكم وأكرمكم بمحمد».

وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها، وأمر من يعلمهم القرآن والسنن، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وألا يظلموا أحداً.

قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الظلم ظلمات يوم القيامة. وأنزلوا دار رملة بنت الحدث، وأمر بضيافة، فأجريت عليهم، ثم جاؤوا بعد أيام يودعون، فأمر لهم بجوائز باثنتي عشرة أوقية ونشأ، ورجعوا إلى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس، وحرّموا ما حرّم

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٩١
عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأحلوا ما أحل لهم^(١).
ونقول:

إننا لا نرى أن ثمة حاجة للتعليق على ما ذكر آنفاً، فإنه واضح قريب
المأخذ. ولا نجد فيه ما يثير الريب والشك.

وفود تُجيب، وهم من السكون:

وقدم وفد تُجيب (وهم بطن من كندة) على رسول الله «صلى الله عليه
وآله» وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض
الله عز وجل، فسر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهم، وأكرم منزلهم.
وقالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله في أموالنا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «ردوها فاقسموها على فقرائكم».

قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل من فقرائنا.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما قدم علينا وفد من العرب بمثل ما وفد
به هذا الحي من تجيب.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الهدى بيد الله عز وجل، فمن أراد الله
به خيراً أشرح صدره للإيمان».

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٢٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٥ وعيون
الأثر ج ٢ ص ٣١٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٣١ و ٣٣٢ وفي هامشه عن:
البخاري ج ٣ ص ١٦٩ والترمذي (٢٠٣٠) ومسنند أحمد ج ٢ ص ١٣٧ والسنن
الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٩٣.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ٢١٩ و ٢٢٠.

وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم رغبة، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم.

فأقاموا أياماً، ولم يطيلوا اللبث.

فقليل لهم: ما يعجلكم؟

قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكلامنا إياه. وما رد علينا.

ثم جاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يودعون، فأمر بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود، وقال: «هل بقي منكم أحد؟» قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً.

قال: «أرسلوه إلينا».

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله، فاقض حاجتك منه، فإننا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه.

فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إني غلام من بني أبذى من الرهط الذين أتوك آنفاً، فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتي يا رسول الله.

قال: «وما حاجتك؟»

قال: «يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا قد قدموا راغبين في الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإني والله ما أعملني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي، ويرحمني، وأن يجعل غناي في قلبي».

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل ٢٩٣
فقال «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اغفر له وارحمه، واجعل غناه في قلبه».

ثم أمر به بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه.
فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»
بمنى سنة عشر، فقالوا: نحن بنو أبذى، فسألهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»
عن الغلام، فقالوا: يا رسول الله، والله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا
بأقنع منه بما رزقه الله. لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت
إليها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله، إني لأرجو أن يموت
جميعاً».

فقال رجل منهم: أليس يموت الرجل جميعاً؟
فقال «صلى الله عليه وآله»: «تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل
أجله يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك».
قالوا: فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهد في الدنيا، وأقنع
بما رزقه الله.

فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورجع من رجع من أهل
اليمن عن الإسلام، قام في قومه فذكرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم
أحد. وجعل أبو بكر يذكره، ويسأل عنه حتى بلغه حاله، وما قام به. فكتب
إلى زياد بن لبيد يوصيه به خيراً^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني =

الإكتفاء الذاتي في عهد رسول الله ﷺ:

ونلاحظ أن النص المتقدم قد صرح: بأن تلك القبيلة قد استغنى فقرائها حين أخذت الزكاة من أغنيائها ووزعت عليهم، وبقيت لديها أموال لم تجد لها مورداً تصرفها فيه، فحملتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وذلك يشير إلى أن ما شرعه الإسلام في أمر الأموال يحقق العدالة الاجتماعية، ويكفي لاقتلاع جذور الفقر من بين البشر، فإن الكل يعلم أنه لا خصوصية لقبيلة تحجب السكونية في المجتمع العربي، فما يجري في هذه القبيلة وعليها يجري في غيرها، خصوصاً في الشأن المعيشي.

وقد ورد في بعض الأخبار ما يدل على أن الناس لو التزموا بأحكام الله وشرائعه، وعملوا بما فرضه الله في الأموال، وأخرجوا حق الله منها، وأوصلوه إلى أهله لم يبق في الدنيا فقير على الإطلاق، ومن هذه النصوص قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ما جاع فقير إلا بما متع به غني»^(١).

= ج ٥ ص ٢٠٢ - ٢٠٤ عن الديلمي، واليعمرى، وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٩٣ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٢٤٥ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٠ وعن السيرة النبوية لدحلان (بها مش الحلبية) ج ٣ ص ٣٢ وعن الطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ٦٠ و ٦١ ورسالات نبوية ص ٣٧ و ٣٨ ومعجم القبائل ج ١ ص ١١٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٠٢.

(١) نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٨ الخطبة رقم (٣٢٨) ومستدرک الوسائل ج ٧ ص ٩ والغدير ج ٨ ص ٢٥٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٢٤٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للريشهري ج ٤ ص ٣٠ و ٢٠٣ والبحار ج ٩٣ ص ٢٢ وروائع نهج البلاغة لجورج جرداق ص ٢٣٣.

أو «ما جاع فقير إلا بما منع غني»^(١).

وفي رواية عن أبي الحسن الأول «عليه السلام» يقول في آخرها بعد أن ذكر أصناف المستحقين وسهامهم: «فلم يبق فقير من فقراء الناس، ولم يبق فقير من فقراء قرابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا وقد استغنى فلا فقير»^(٢).

حديث الرجل من بني أبدي:

وقد لفت نظرنا أيضاً: أنه برغم أهمية قصة ذلك الرجل الذي هو من بني أبدي، فإن الروايات المتقدمة قد عجزت عن ذكر اسمه لنا، مع أنهم يذكرون لنا أسماء من ليس له أثر يستحق الذكر على الإطلاق. فلماذا كان ذلك؟! لا ندرى!!

(١) البحار ج ٩٣ ص ٢٢ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ٤٥٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٩ ص ٢٩ و (ط دار الإسلامية) ج ٦ ص ١٦ ومشكاة الأنوار لعلي الطبرسي ص ٢٢٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٣٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٢٩٤ وينابيع المودة ج ٢ ص ٢٤٩ والجامع للشرائع للحلي ص ١٥٢ وعيون الحكم للواسطي ص ١٥٣ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص ٢٢٨.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٩ ص ٥١٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٦ ص ٣٥٩ عن أصول الكافي ج ١ ص ٥٤٢ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٦١ و ٥٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) للمحقق السبزواري ج ١ ق ٣ ص ٤٨٦.

لیکھنا کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ

کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ

کہ

کہ

کہ

کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ

کہ

کہ

کہ

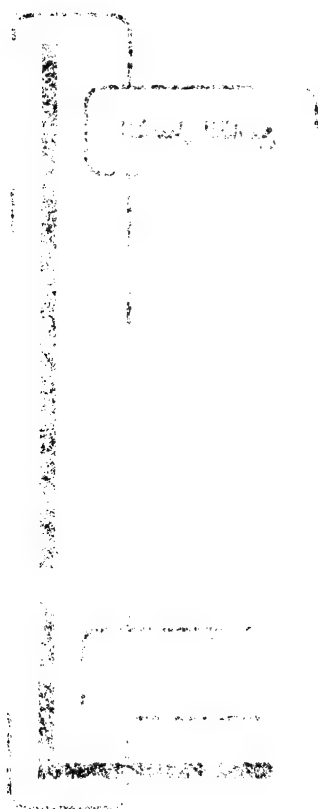
کہ وہ اپنے ہاتھ سے لکھتا ہے

کہ

کہ

الفصل التاسع:

وفد فجران.. أحداث وتفاصيل



ماذا عن نجران؟!:

قالوا: «نجران: بلد كبير يقع على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن، يشتمل على ثلاث وسبعين قرية، مسيرة يوم للراكب السريع - كما في فتح الباري - والأخدود المذكور في القرآن قرية من قراها»^(١).

وقالوا: إنه هو من خالف اليمن بالقرب من صنعاء، ما بين عدن وحضر موت^(٢).

وكل أهل نجران صنفين: نصارى وأمين؛ فأما النصارى فنحن نتحدث عنهم، وقد صالحهم. وأما الأميون منهم، فبعث إليهم خالد بن الوليد، فأسلموا، وقدم وفدهم على النبي «صلى الله عليه وآله»^(٣).

كتاب دعوة.. ووفد استطاع:

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل نجران قبل أن ينزل

(١) راجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٨٦ وراجع: السيرة النبوية لدحلان

والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢١ ومعجم ما استعجم للأندلسي ج ١ ص ١٢١.

(٢) راجع: نهاية الإرب ص ١٩ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٢٦٦.

(٣) قد تقدم الحديث حول هذا الأمر في هذا الكتاب.

٣٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

عليه: ﴿طس﴾^(١). ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) ما يلي:
«بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإني أحمّد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

أما بعد... فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أذنتكم بحرب والسلام»^(٣).
والظاهر: أن المبعوث إليه هذا الكتاب هو الأسقف أبو حارثة بن علقمة، فإنه كان هو الرأس فيهم.

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه قُطِعَ به، وذعر ذعراً شديداً. فبعث إلى

(١) الآية ١ من سورة النمل.

(٢) الآية ٣٠ من سورة النمل.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٥ عن البيهقي، ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٨٩ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٥ ص ٥٣ عن البيهقي، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٥ وفي (ط أخرى) ص ٧٠ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٦٧ وفي (ط أخرى) ص ٣٨١ وفي (ط الثالثة) ص ٣٨٨ وحياة الصحابة ج ١ ص ١١٨ ورسالات نبوية ص ٦٠ ومؤثر الإنافة ج ٣ ص ٢٣٧ وزاد المعاد ج ٣ ص ٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٣٨٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٨ عن الدلائل للبيهقي، وناسخ التواريخ سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ص ٤٤٨ والبحار ج ٢١ ص ٢٨٥ عن السيوطي و ٢٨٧ عن الإقبال وج ٣٥ ص ٢٦٢ عن البيهقي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٠ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ ومدينة العلم ج ٢ ص ٢٩٧ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٥٥ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٧ ولباب النقول للسيوطي ص ٥٢. ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٧٤/٩٣ عن جمع ممن قدمناه، وعن المصباح المضيء كلمة نجران.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٠١

رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان. ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة إلا الأيهم - وهو السيد - والعاقب. فدفع الأسقف كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى شرحبيل وقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟

فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمراً من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي، وجهدت لك.

فقال له الأسقف: تنح فاجلس ناحية. فتنحى شرحبيل فجلس ناحية. فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب وسأله ما الرأي؟ فقال نحواً من قول شرحبيل بن وداعة.

فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى فجلس ناحية. ثم بعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يدعى جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال مثل قول شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، فأمره الأسقف فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران السرج في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا نهاراً، فإن فزعوا بالليل ضربوا بالناقوس، ورفعوا النيران في الصوامع. فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت السرج أهل الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون

٣٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

قرية، ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم الأسقف كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسألهم عن الرأي فيه.

فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي، فيأتوهم بخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وفد النجرانيين إلى رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد نصارى نجران، ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشrafهم، منهم العاقب وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويجنس، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل أسقفهم، وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٥ و ٤١٦ عن البيهقي وتفسير الميزان ج ٣

ص ٢٣٤ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٨ والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٣٨

والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٦٨ والسيرة النبوية لابن

كثير ج ٤ ص ١٠٢.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٠٣

قد شرفوه، ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة، وتختتموا بالذهب.

وفي لفظ: دخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجده [في المدينة] حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات: جيب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

فقال بعض من رأيهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ: ما رأينا وفداً مثلهم. وقد حانت صلاتهم. فقاموا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلون نحو المشرق (فأراد الناس منهم).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «دعوهم».

ثم أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وكانوا يعرفونها، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا لهما: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكما كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيئين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما؟ أنعود إليه، أم نرجع إلى بلادنا؟

فقالا لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو في القوم: ما الرأي في هؤلاء القوم يا أبا الحسن؟

٣٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

فقال لهما: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعل وفد نجران ذلك ورجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ثم قال: «والذي بعثني بالحق، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم»^(١).

وفد نجران يحاور رسول الله ﷺ:

وعن ابن عباس، والأزرق بن قيس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا وفد نجران إلى الإسلام، فقال العاقب، عبد المسيح، والسيد أبو حارثة بن علقمة: قد أسلمنا يا محمد.

فقال: «إنكما لم تسلما».

قالا: بلى، وقد أسلمنا قبلك.

قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن الله ولد».

ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم قولك فيه.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٦ و ٤١٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٨٧ و ١٨٨ والبحار ج ٢١ ص ٣٣٧ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٦٩ وإعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ج ١ ص ٢٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٣.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٠٥
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما عندي فيه شيء يومي هذا،
فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى»^(١).

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي: أنه سمع رسول الله «صلى
الله عليه وآله» يقول: «ثبت (ليت) بيني وبين أهل نجران حجاب، فلا
أراهم ولا يروني»، من شدة ما كانوا يبارون رسول الله «صلى الله عليه
وآله»^(٢). انتهى.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن سعد عن
الأزرقي بن قيس، وابن جرير عن السدي، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي
جريح: أن نصارى نجران قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا؟
قال: «من صاحبكم»؟

قالوا: عيسى ابن مريم، تزعم أنه عبد.
قال: «أجل، إنه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم، وروح منه».
فغضبوا وقالوا: لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم،
ثم خرج منها، فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنساناً خلق من غير أب؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٧ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي
نعيم، وابن سعد، وعبد بن حميد، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٥ والسيرة النبوية
لابن كثير ج ٤ ص ١٠٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٧ عن ابن جرير وجامع البيان للطبري ج ٣
ص ٤٠٥ والمحضر الوجيز للأندلسي ج ١ ص ٤٤٧ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٨
وتفسير الألوسي ج ٣ ص ١٩٤ وراجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥٥.

٣٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..﴾^(١).
وأنزل تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٢).
فلما أصبحوا عادوا إليه، فقرأ عليهم الآيات، فأبوا أن يقرأوا. فأمر
تعالى نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله» بمباهلتهم فقال سبحانه وتعالى:
﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ
عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصْصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(٣). فرضوا بمباهلته «صلى الله
عليه وآله»..

فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤسائهم: السيد، والعاقب، والأهتم: إن
باهلنا بقومه باهلناه؟ فإنه ليس نبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهلها،
فإنه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق.

وعن جابر، وابن عباس، وقتادة، وسلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن
جده، وعن حذيفة، والأزرق بن قيس، والشعبي: أن رسول الله «صلى الله
عليه وآله» لما نزلت هذه الآيات دعا وفد نجران إلى المباهلة، فقال: «إن الله
تعالى أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم».

(١) الآية ١٧ من سورة المائدة.

(٢) الآيتان ٥٩ و ٦٠ من سورة آل عمران.

(٣) الآيات ٦١ - ٦٣ من سورة آل عمران.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٠٧

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا.

وفي حديث آخر فقالوا: أخرنا ثلاثة أيام، فخلا بعضهم إلى بعض وتصادقوا.

فقال السيد العاقب: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولئن لاعتموه ليخسفن بأحد الفريقين، إنه للاستئصال لكم، وما لاعن قوم قط نبياً فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم.

وفي رواية: فقال شرحبيل: لئن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعنائه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

وفي رواية: لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا.

قالوا: فما الرأي يا أبا مريم؟

فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً.

فقال السيد: فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فلما انقضت المدة أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشتملاً على الحسن والحسين في خيلة له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعة، وله يومئذ عدة نسوة. فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن أنا دعوت فأمنوا أنتم»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي، وابن الشيخ، والترمذي، والنسائي، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي شيبه، وسعيد بن منصور. وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٨٧ - ١٩٠. والبحار ج ٣٥ ص ٢٦٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٩ وتفسير الآلوسي ج ٣ ص ١٨٨.

٣٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

وعن سعد بن أبي وقاص، عن علي بن أحمر قال: لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»^(١). انتهى.

فتلقى شرحبيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك.

فقال: «وما هو»؟

فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فما حكمت فينا فهو جائز. وأبوا أن يلاعنه.

وعن ابن عباس قال: لو باهل أهل نجران رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالأً^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ عن مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم في السنن، وفي هامشه عن: الحاكم ج ٤ (١٨٧١)، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٦٦ والعمدة لابن البطريق ص ١٣٢ و ١٨٨ والطرائف لابن طاووس ص ٤٥ وص ١٢٩ والصراط المستقيم للعاملي ج ١ ص ١٨٦ والبحار ج ٣٧ ص ٢٦٥ و ٢٧٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ عن عبد الرزاق، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر. ومجمع البيان للطبرسي ج ١ ص ٣١٠ والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٣٩. وراجع: البحار ج ١٧ ص ١٦٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٤٨ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٥٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٠٨ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ٤٧٢ وتفسير القرآن للصنعاني ج ١ ص ٥٢ وجامع البيان للطبري ج ١ ص ٥٩٧ وج ٣ ص ٤٠٩.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٠٩
وروي عن الشعبي مرسلًا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال:
«لقد أراني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر، لو تموا على
الملاعنة».

وروي عن قتادة مرسلًا: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن كان
العذاب لقد نزل على أهل نجران، أن لو فعلوا لاستؤصلوا من الأرض»^(١).
ولما غدا إليهم أخذ بيد حسن حسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي
خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمنوا».

فقال أسقفهم: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه
لأزاله. فلا تياهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم
القيامة. والله، لقد عرفت نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، أي
عيسى. فوالله، ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا دينكم فوادعوا
الرجل، وانصرفوا.

فقالوا: يا أبا القاسم لا نلاعنك.

فقال: «فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». فأبوا.
قال: «فإني أنا جزكم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة. ولكن نصالحك.

فصالحهم، وقال: «والذي نفسي بيده، إن العذاب تدلى على أهل
نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٣٩.

٣١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر»^(١).
وفي بعض النصوص أنهم قالوا له: لم لا تباهلنا بأهل الكرامة والكبر،
وأهل الشارة ممن آمن بك واتبعك؟!
فقال «صلى الله عليه وآله»: «أجل، أباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض،
وأفضل الخلق».

ثم تذكر الرواية قول الأسقف لأصحابه: «أرى وجوهاً لو سأل الله بها
أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله..
إلى أن قال: أفلا ترون الشمس قد تغير لونها، والأفق تنجع فيه
السحب الداكنة، والرياح تهب هائجة سوداء، حمراء، وهذه الجبال يتصاعد
منها الدخان؟! لقد أطل علينا العذاب! انظروا إلى الطير وهي تقيء
حواصلها، وإلى الشجر كيف يتساقط أوراقها، وإلى هذه الأرض ترجف
تحت أقدامنا»^(٢).

-
- (١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ عن ابن أبي شيبه، وأبي نعيم
وغيرهما، وراجع: المحرر الوجيز للأندلسي ج ١ ص ٤٤٨.
- (٢) راجع: تفسير القمي ج ١ ص ١٠٤ وحياة الحسن «عليه السلام» للقرشي ج ١
ص ٤٩ - ٥١. وقد روى قضية المباهلة بأهل الكساء باختصار تارة،
وبالتفصيل أخرى جم غفير من الحفاظ والمفسرين.
- ونذكر على سبيل المثال منهم هنا: تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٦ و ١٧٧ ومجمع البيان
ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٧٠ و ٣٧١
وتفسير جامع البيان للطبري ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٣ و ٢١٢.
- وراجع أيضاً: تفسير النيسابوري (بهامش جامع البيان) ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٤ وتفسير =

= الرازي ج ٨ ص ٨٠ وبعد ذكره حديث عائشة في المباهلة بأهل البيت «عليهم السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» جعل حيتنذ الجميع تحت المرط الأسود، حيث قرأ آية التطهير قال الرازي: «وهذه الرواية كالمتمفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث». والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ج ٨ ص ١٠٨ عن التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٩٦ عن مسلم والترمذي. والكشاف للزخشري ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٧٠ والإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ص ١٦٦ والصواعق المحرقة ص ١٥٣ و ١٥٤ وأسباب النزول للواحد ص ٥٨ و ٥٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ و ١٢١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥٤ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٩٢ وج ١ ص ١٣٠ و ١٢١ وصحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٣٨ و ٢٢ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٧٠ و ٣٦٨ و ٣٦٩ عن كثيرين جداً وينابيع المودة ص ٥٢ و ٢٣٢ وعن ص ٤٧٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٨ و ٢٩٩ وحقائق التأويل للشراف رضي «رحمه الله» ص ١١٠ و ١١٢ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٧٨ وج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٤ و ١٢٣ وج ٢ ص ٢٠ والمسترشد في الإمامة ص ٦٠ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي ط ١) ج ١ ص ٢٠٦ و (ط ٢) ص ٢٢٥ والمناقب للخوارزمي ص ٥٩ و ٦٠ كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٣ و ٥٠٩ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٥٠ وتفسير فرات ص ١٥ و ١٤ و ١٦ و ١١٧ وأمالى الشيخ الطوسي ج ٢ ص ١٧٢ وج ١ ص ٢٦٥ والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص ٦٩ وذخائر العقبى ص ٢٥ وروضة الواعظين ص ١٦٤ وما نزل من القرآن في أهل البيت لابن الحكم ص ٥٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٠ و ٥ و ٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ وسنن البيهقي ج ٧ ص ٦٣ ومستند أحمد ج ١ ص ١٨٥ ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص ٢٦٣ وفي هامشه عن نزول القرآن لأبي نعيم (مخطوط) =

= والدر المنثور ج ٢ ص ٣٨ - ٤٠ عن بعض من تقدم وعن البيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وابن أبي شيبه، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وتفسير البرهان ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٠ عن بعض من تقدم وعن موفق بن أحمد، في كتاب فضائل الإمام علي، وأمالى الشيخ، والإختصاص، وعن الصدوق وعن الثعلبي، عن مقاتل، والكلبي، وفي تفسير الميزان ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٣٥. عن كثير ممن تقدم، وعن عيون أخبار الرضا، وإعلام الورى ص ٧٩ والخرائج والجرائح، وحلية الأولياء، والطالسي. وهو أيضاً في فتح القدير ج ١ ص ٣٤٧ و ٣٤٨ وتفسير التبيان ج ٢ ص ٤٨٥ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٩٠ عن بعض من تقدم وعن الخصال وروضة الكافي وغيرهما، وعن نور الأبصار ص ١١١ وعن المنتقى باب ٣٨ وفي تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٥ وقال ابن طاووس في كتاب سعد السعود ص ٩١: رأيت في كتاب تفسير ما نزل في القرآن في النبي وأهل بيته، تأليف محمد بن العباس بن مروان: أنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عمن سواه من الصحابة وغيرهم، وعد منهم الحسن بن علي «عليهما السلام» وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمال، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك» انتهى.

وروي ذلك أيضاً عن: علي «عليه السلام» وأم سلمة وعائشة، وأبي سعيد الخدري وعمر بن سعيد بن معاذ، وحذيفة بن اليمان، (وزاد ابن طاووس نقلاً عن الحجام) أبا الطفيل عامر بن واثلة، وجريز بن عبد الله السجستاني، وأبا قيس المدني، وأبا إدريس، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن الحسين، وأبا جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبا عبد الله جعفر بن محمد، والحسن البصري، وقتادة، وعلباء بن الأحمر، وعامر بن شراحيل الشعبي، ويحيى بن نعمان، ومجاهد، وشهر بن حوشب.

وأضاف ابن شهر آشوب في مناقبه ج ٣ ص ٣٦٨ - ٣٦٩: أبا الفتح محمد بن أحمد بن =

= أبي الفوارس، وابن البيع في معرفة علوم الحديث، واحد في الفضائل، وابن بطة في الإبانة، والأشفه في اعتقاد أهل السنة، والحر كوشي في شرف النبي، ومحمد بن اسحاق، وقتيبة بن سعيد، والحسن البصري، والقاضي أبا يوسف، والقاضي المعتمد أبا العباس، وأبا الفرج الأصبهاني في الأغاني عن كثيرين وهامش حقائق التأويل ص ١١٠ عن بعض من تقدم، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٥ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٩٢ وعن كثر العمال ج ٦ ص ٤٠٧ وعن تفسير الخازن، وعن تفسير البغوي بهامشه.

وثمة مصادر كثيرة أخرى ذكرها في مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ مثل: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٦ وفي (ط أخرى) ص ٧١ وفتوح البلاذري ص ٧٥ وفي (ط أخرى) ص ٨٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٦ والشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ١٠٧ ونسيم الرياض ج ٣ ص ٤١١ وشرح القاري (بهامشه) ج ٢ ص ٥٢٢ وج ٣ ص ٤١١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٤١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٠٤ والمنار ج ٣ ص ٣٢٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٦ والبحار ج ٣٥ وج ٢١ ص ٢٧٧ و ٢٨٢ و ٣٢١ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤١ - ٣٤٣ و ٣٤٦ و ٣٥٤ ودلائل النبوة للبيهقي ص ٢٩٨ والقاضي البيضاوي في تفسير الآية، وروح المعاني ج ٣ ص ١٩٠ وروح البيان ج ٢ ص ٤٤ والسراج المنير ج ١ ص ٢٢٢ وتفسير الشريف اللاهيجي ج ١ ص ٣٣٢ وجلاء الأذهان ج ١ ص ٦١ وكنز الدقائق ج ٢ ص ١٠٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٧ والعمدة لابن بطريق ص ١٨٨ وما بعدها، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٦ وفي (ط أخرى) ص ٢٩٥ والأغاني ج ١٢ ص ٧ ونهج الحق ص ١٧٧ وغاية المرام المقصد الثاني الباب ٣ و ٤ عن سعد، وجابر، وابن عباس، والشعبي، والسدي، وأبي عبد الله والحسن وأبي الحسن موسى وأبي ذر عن علي «عليهما =

كتاب مصالحة النجرانيين:

وبعد امتناعهم عن الدخول في الملاعة، وتقرر ضرب الجزية على أهل

= السلام» في حديث (المناشدة)، وعن محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، وعن أبي الحسن الرضا «عليه السلام».

وقد أخرجه في البحار ج ٢١ عن مصادر جمة، وكذا أخرجه في ملحقات إحقاق الحق ج ٣ وج ٥ وج ٩ وج ١٤ عن مصادر أهل السنة جمعا.

وراجع: ملحقات إحقاق الحق ج ٣ ص ٤٦ وما بعدها، نقله عن جمع ممن قدمناه، وعن

الثعلبي في تفسيره، ومعالم التنزيل ج ١ ص ٣٠٢ ومصابيح السنة ج ٢ ص ٢٠٤

وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١١٥ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٠ وتلخيص

الذهبي ذيل المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ ومطالب السؤل ص ٧ والرياض النضرة

ص ١٨٨ وتفسير السفي ج ١ ص ١٣٦ وتبصير الرحمن ج ١ ص ١١٤ ومشكاة

المصابيح ج ٢ ص ٣٥٦ والكاف الشاف ص ٢٢٦ والمواهب للكاظمي ج ١ ص ٧١

ومعارج النبوة ج ١ ص ٣١٥ والإكلیل ص ٥٣ وتفسير الجلالين ج ١ ص ٣٣ وتفسير

أبي السعود ج ٢ ص ١٤٣ ومدارج النبوة ص ٥٠٠ ومناقب مرتضوي ص ٤٤

والإتحاف بحب الأشراف ص ٥٠ والجواهر للطنطاوي ج ٢ ص ١٢٠ ورشفة

الصادي ص ٣٥ وكفاية الخصام ص ٣٩. وراجع أيضاً ج ٩ ص ٧٠ عن منهاج السنة

لابن تيمية ج ٤ ص ٣٤ ومقاصد المطالب ص ١١ والمتقى ص ١٨٨ ونزول القرآن في

أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي نعيم (مخطوط)، وأرجح المطالب ص ٥٥ وتاريخ

الإسلام للذهبي ج ٣ ص ١٩٤ ومرآة الجنان ج ١ ص ١٠٩ وشرح المقاصد للتفتازاني

ج ٢ ص ٢١٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٣ وإمتاع الأسعاص ص ٥٠٢

والمواقف ج ٢ ص ٦١٤ وشرح ديوان أمير المؤمنين «عليه السلام» ص ١٨٤ وراجع

أيضاً ج ٥ ص ٥٩ و ١٠٢ وج ١٤ ص ١٣١-١٤٨.

نجران، انصرفوا حتى إذا كان من الغد كتب لهم هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران - إذا كان عليهم حكمه - في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله [لهم] على ألفي حلة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، مع كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر.

وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد ومعة، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع، أو خيل أو ركاب، [أو عروض] فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم، وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم [وصلواتهم]، [وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير]، وألا يغيروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته.

وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين. [على ألا يأكلوا الربا] فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار

٣١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

الله، وذمة النبي محمد رسول الله أبداً، حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم، غير مثقلين بظلم».

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف النصرى، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٠ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٥٢ فما بعدها إلى ص ١٥٦ و ١٦٥ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٥ ص ٥٥ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٥٨٤ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٧ وفي (ط أخرى) ص ٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٣٥ وفي (ط أخرى) ج ١ ص ٢٨٧ وتفسير الشيخ أبي الفتوح الرازي (في تفسير الآية ٦١ من آل عمران - آية المباهلة) (الطبعة الفهلوية) ج ١ ص ٥٧٦ ومستدرك الوسائل للنوري ج ١١ ص ١٣٣ والإرشاد للمفيد ص ٧٨ وفي (ط أخرى) ص ٧٩ والأموال لأبي عبيد ص ٢٧٢ - ٢٧٥ وفي (ط أخرى) ص ١٨٧ وراجع ص ٣٩ ورسالات نبوية ص ٦٢ - ٦٦ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ والخراج لأبي يوسف ص ٧٢ وفي (ط أخرى) ص ٧٨ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٢١ وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٤٠ و ٤١ ومدينة العلم ج ٢ ص ٢٩٩ وجلاء الأذهان (تفسير غازر) ج ٢ ص ٦٢ وغاية المرام ص ٣٠١ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٤٩ و ٤٥٠ وج ١ ص ٩٤٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣١٣. قال البلاذري في الفتوح ص ٧٦ وفي (ط أخرى) ص ٨٧ و ٨٨ بعد نقل الكتاب: «وقال يحيى بن آدم: وقد رأيت كتاباً في أيدي النجرانيين، كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة وفي أسفله: وكتب علي أبو طالب ولا أدري ما أقول فيه!!» وراجع: الوثائق السياسية: ص ٩٤/١٧٥ نقله عن جمع ممن تقدم وعن الأصل للشيباني (خطيات مراد ملا وعاطف وفيض وآياصوفيا بإستانبول كتاب السير =

كتاب آخر لنصاري نجران:

وفي لفظ: أن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه السيد العاقب، ووجوه قومه، وأقاموا عنده يستمعون ما ينزل الله عز وجل، فكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده، يقول فيه:

= باب ما جاء عن النبي وأصحابه في أهل نجران وبني تغلب) وإمتاع الأسماع للمقرئزي خطية كوبرلو ص ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٦٥٠ والوثائق السياسية اليمنية لمحمد علي الأكوخ الحوالي ص ٩٤ - ٩٦ قال: وراجع أيضاً مخطوطة التأريخ المجهول وراجع أيضاً: ص ٧١٨ من الوثائق.

وأوعز إليه في النهاية لابن الأثير في مادة: «وقه» و «وقف» و «هف» و «وفه» و «ربي» وراجع: الفائق ج ١ ص ١٧٩ ولسان العرب، وأقرب الموارد في هذه المواد، وراجع: معجم البلدان ج ٥ ص ٢٦٥ و ٢٦٩ ونبيل الأوطار ج ٨ ص ٥٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٧٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩٣ وعون المعبود ج ٣ ص ١٣٣ وأبا داود ج ٣ ص ١٦٧ والمنازع ج ٣ ص ٣٢٢ وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج ١ ص ٤٤١ وإعلام الوري ص ١٣٠ ومآثر الإنافة ج ٣ ص ٢٣٧ وثقات ابن حبان ج ٢ ص ١٢٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢١٢ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٧ وكنز العمال ج ١٤ ص ٢٤٧ وج ٤ ص ٣٢٣ والبحار ج ٢١ ص ٢٧٧ و ٣٣٨ و ٣٧٢ والإصابة ج ٣ ص ١٩٢ في غيلان بن عمرو، والمتنظم لابن الجوزي ج ٤ ص ٣. والخراج لقدامة بن جعفر (مخطوطة باريس) ورقة ١٢٥ وزاد المعاد ج ٣ ص ٤١ والفائق مادة «وهف» واللسان مادة «وقف» وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٢ وغريب الحديث لأبي عبيد (خطية كوبرلو) ورقة ٧٢- ب والنهاية مادة «ثلل» و «ثوي» و «ربي». قال: وانظر كابتاني ج ١٠ ص ٦٠.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله للأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم، وأهل بيعهم، ورقيقهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفية، وراهب من رهبانيتها، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه، لهم على ذلك جوار الله تعالى ورسوله أبداً، ما نصحوا وأصلحوا، غير مثقلين بظلم ولا ظالمين».

وكتب المغيرة بن شعبة.

فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلى قومه ومن معه، فأذن لهم فانصرفوا^(١).

نص آخر للكتاب:

وثمة كتاب آخر أرسله إليهم، وهو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم، ومن تبعهم ورهبانهم، أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم، ورهبانيتهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف من أسقفية، ولا راهب من رهبانيتها، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه. على ذلك جوار الله ورسوله أبداً ما نصحوا، وأصلحوا، فما عليهم غير مثقلين

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٠ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٤٩ وزاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٤١ ورسالات نبوية ص ٦٦، وإمتاع الأسعاج ج ١٤ ص ٧٢.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣١٩
بظلم ولا ظالمين». وكتب المغيرة^(١).

وذكروا: أنه يحتمل أن يكون الكتاب السابق لأهل نجران، وهذا الكتاب للأساقفة، والشاهد على ذلك أن الكتاب السابق ناظر إلى التأمين في الأموال، وهذا الكتاب الأخير ناظر إلى التأمين في المناصب الدينية^(٢).

الكتاب بخط علي عليه السلام:

زعمت بعض المصادر: أن كاتب هذا الكتاب هو المغيرة بن شعبة^(٣).

وقيل: هو معقيب^(٤).

وقيل: هو عبد الله بن أبي بكر^(٥).

وقال اليعقوبي: إنه علي «عليه السلام»^(٦).

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٤٨ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٦ وفي (ط أخرى) ج ١ ق ٢ ص ٢١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥٥ ورسالات نبوية ص ٦٦ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٢٣ وزاد المعاد ج ٣ ص ٤١ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ ومدينة العلم ج ٢ ص ٢٩٧ وإعلام الوري ص ٧٩ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٧٩/ ٩٥ عن جمع عن قدمناه، وإمتاع المقرئ (خطية كوبرلو) ص ١٠٣٨ وسبل الهدى للشامي خطية باريس / ١٩٩٢ ورقة ٦٥ - ألف وراجع أيضا ص ٧١٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٤٨.

(٣) كما ذكره البلاذري، وابن كثير، وابن قيم الجوزية.

(٤) ذكر ذلك أبو عبيد، وابن زنجويه.

(٥) ذكر ذلك أبو يوسف.

(٦) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨٢.

ويؤيده: ما ذكره يحيى بن آدم^(١).

ويؤيده أيضاً: ما ذكره من أن النجرانيين جاؤوا علياً «عليه السلام» بكتابه الذي كتبه لهم بيده، فراجع^(٢).

عهد مكذوب على النبي ﷺ:

وقد أظهر نصارى نجران في سنة مائتين وخمس وستين عهداً مطولاً زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتبه لهم، وقد ذكرهما العلامة الأحمدي في كتابه القيم «مكاتيب الرسول» ج ٣ ص ١٧٢ فما بعدها..

ثم ذكر قرائن كثيرة على أنها مفتعلان، ومكذوبان، ويكفي أن نذكر منها: أن عدداً من الشهود الذين ذكرت أسماؤهم كانوا قد استشهدوا قبل قدوم وفد نجران بعدة سنوات.

فإن وفد نجران إنما قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة عشر بالإتفاق، وفي الشهود سعد بن معاذ، وقد استشهد في السنة الرابعة أو الخامسة، في غزوة بني قريظة، وجعفر بن أبي طالب قد استشهد في سنة

(١) فتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ٧٨.

(٢) السنن الكبرى ج ١٠ ص ١٢٠ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٢٦٩ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٧٠ عن المصادر التالية: المصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٥٥٠ و ٥٥١ عن سالم، وكثر العمال ج ٤ ص ٣٢٣ عن ابن أبي شيبة، والأموال لأبي عبيد، والبيهقي ج ١٤ ص ٢٤٧ عن البيهقي عن عبد خير، والأموال لابن زنجويه ج ١ ص ٢٧٦ و ٤١٨ عن سالم، والخراج لأبي يوسف ص ٨٠ قال: وكان الكتاب في أديم أحمر، والأموال لأبي عبيد ص ١٤٣/٢٧٣ والمطالب العالية ج ٤ ص ٤١.

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٢١
ثمان. وزيد بن ثابت كان من صغار الصحابة سناً، فكيف بولده عبد الله، كما
أن عدداً من الشهود لا نعرف عنهم شيئاً. فراجع^(١).

آية الكلمة السواء متى نزلت؟!

وقد ذكروا: أن قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢) قد نزل في قصة نصارى نجران.
وكانت قصتهم سنة تسع. وقد أدرجها «صلى الله عليه وآله» في كتابهم^(٣).
غير أن هذا غير صحيح، فقد كتب النبي «صلى الله عليه وآله» هذه
الآية إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، والمقوقس قبل سنة تسع بعدة سنوات،
فكيف تكون قد نزلت في قصة نجران؟!^(٤).

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٨١ و ١٨٢، وراجع المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

(٣) راجع: البحار ج ٩ ص ٧٠ وج ٢١ ص ٢٨٧ عن إقبال الأعمال، وراجع: تفسير
الكشاف ج ١ ص ٣٧١ والجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٠٥ وتاريخ الأمم
والملوك ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٤ وتفسير الثعالبي ج ١ ص ٢٧٥ وجامع البيان
للطبري ج ٣ ص ٤١٠ وتفسير الرازي ج ٨ ص ٩٠ والعجائب للعسقلاني ج ٢
ص ٦٨٨ والدر المنثور ج ٢ ص ٤٠.

(٤) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٩٨ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٣
ص ٢١٣ وعمدة القاري ج ١ ص ٨٨ وفتح الباري ج ١ ص ٣٦ والسيرة الحلبية
ج ٣ ص ٢٧٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤١٧ و ٤١٨. وتفسير الثعالبي ج ٩
ص ٢٢٠ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٧٧.

٣٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
إلا أن يكون المقصود: أنها نزلت مرة ثانية في هذه المناسبة.

رجوع وفد نجران إلى بلادهم:

ولما قبض النجرانيون كتابهم انصرفوا إلى نجران، ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب، يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة. فدفع الوفد كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأسقف، فبينما هو يقرأه، وأبو علقمة معه، وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقتة، فتعس بشر غير أنه لا يكتني عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعست نبياً مرسلأً.

فقال له بشر: لا جرم والله لا أحل عقداً حتى آتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصرف وجه ناقتة نحو المدينة وثنى الأسقف ناقتة عليه، فقال له: افهم عني، إنما قلت هذا ليلبغ عني العرب، مخافة أن يقولوا: إنا أخذنا حقه [أو رضينا بصوته]، أو نجعنا لما لم تنجع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم دارأً.

فقال له بشر: لا والله، لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقتة، وهو مولي الأسقف ظهره وارتجز يقول:

إليك تعدو قلقاً وضينها معترضاً في بطنها جنينها

مخالفأً دين النصارى دينها

حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك.

قال: ودخل الوفد نجران، فأتى الراهب ليث بن أبي شمر الزبيدي،

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل ٣٢٣
وهو في رأس صومعته.

فقال له: إن نبياً بعث بتهامة، فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه عرض عليهم الملاعة فأبوا، وإن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم.

فقال الراهب: أنزلوني، وإلا ألقيت نفسي من هذه الصومعة.
قال: فأنزلوه، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء، والقعب والعصا. فأقام الراهب مدة بعد ذلك يسمع الوحي والسنن، والفرائض والحدود، ثم رجع إلى قومه ولم يقدر له الإسلام، ووعد أنه سيعود فلم يعد حتى قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وذكر ابن سعد: أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك إلى المدينة وأسلما، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٢ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٧١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٦.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩١ عن ابن سعد، وفتح الباري، والإصابة، وعن المدائني. وفتح الباري ج ٨ ص ٧٤.

فرض کنید α یک عدد حقیقی باشد و β یک عدد صحیح باشد.

آنوقت می توانیم بنویسیم:

$$\alpha = \frac{p}{q} + \frac{r}{q} \quad \text{که } p, q, r \text{ اعداد صحیح و } q \neq 0 \text{ است.}$$

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

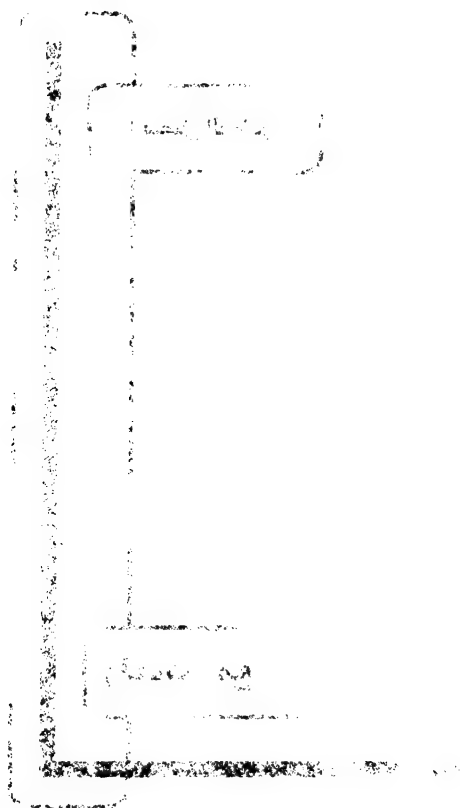
پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

پس α را می توان به صورت $\frac{p}{q} + \frac{r}{q}$ نوشت.

الفصل العاشر:

وقفات.. مع حديث النجرانيين



دعوة النجرانيين إلى الإسلام متى كانت؟!:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى النجرانيين يدعوهم إلى الإسلام، ثم بعد أن قدم عليه وفدهم في سنة عشر كتب لهم كتباً أخرى تقدم ذكرها أيضاً..

فقد يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» كتب إليهم الكتاب الأول الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام من مكة، قبل أن تنزل عليه سورة النمل، كما دلت عليه بعض الروايات^(١). وسورة النمل مكية^(٢).

ولكن الصحيح هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب إليهم من المدينة بعد الهجرة، ونستند في ذلك إلى ما يلي^(٣):

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥٣ والبحار ج ٢١ ص ٢٨٥ وج ٣٥ ص ٢٦٢ وتفسير الألويسي ج ٣ ص ١٨٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٩٢ عن الإتقان للسيوطي ص ١٠١ وراجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٦ والفهرست لابن النديم ص ٣٦ والغدير ج ١ ص ٢٥٦ وراجع كتب التفسير في ذلك.

(٣) ذكر هذه الأدلة أيضاً العلامة الأحمدى في مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٩٧ و ٤٩٨.

أولاً: قد صرحت النصوص المتقدمة بأنه بمجرد وصول كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» خافوا وأرسلوا وفدهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في المدينة، وكانت قصة المباهلة، فراجع .

ثانياً: صرح ابن طاووس في الإقبال: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إليهم هذا الكتاب، بعد أن كتب إلى كسرى وقيصر.. وكتابه لهما إنما كان من المدينة.

ثالثاً: إنه لا معنى لأن يفزع النجرانيون من النبي «صلى الله عليه وآله»، حين كان في مكة، فإنه لم يكن قادراً على فعل أي شيء يوجب خشيتهم. كما أنه لا معنى لأن يكتب إليهم: «فإن أبيتم أذنتكم بحرب، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قادراً آنئذ على أن يحمي نفسه من أهل مكة، فهل يعقل أن يعلن الحرب على النجرانيين البعيدين عنه مئات الأميال؟! رابعاً: لم تكن الجزية قد وضعت في مكة مطلقاً، وقد نزلت آيات الجزية في سنة تسع أو قريباً منها.

فإن أبيتم فالجزية:

قد أبلغ النبي «صلى الله عليه وآله» أهل نجران بأن عليهم الجزية إن أصرروا على الالتزام بدينهم، وعلى عبادة العباد، وأبوا عبادة الله. وهذا النص قد أوضح أن وضع الجزية عليهم إنما هو بإزاء الإصرار على الاستنكاف عن عبادة الله وحده، وترجيح عبادة العباد.. وذلك يظهر وجود خلل بالمعايير يحتم اتخاذ إجراء ضدهم من شأنه أن يراعي آثار هذا الإخلال، فيتعامل مع هذا الاستكبار عن عبادة الله من جهة، ومع ذلك

٣٢٩..... الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين
الإنقياد والقبول منهم بأن يكونوا في موقع العبودية للعباد من جهة أخرى،
مع إسباغهم صفات الألوهية على أولئك العباد، بادعاء وجود شبهة لديهم
في ذلك، ناشئة عن ولادة عيسى من دون أب، أو نحو ذلك مما لم يعد له
مجال بعد ظهور الحقيقة بالأدلة القاطعة، وبالمعجزات الظاهرة، فلا مبرر
للإصرار على ذلك إلا الاستكبار عن الإنقياد للحق..

فجاء جعل الجزية التي لا بد أن يعطوها عن يد وهم صاغرون، ليكون
بمثابة علاج روحي من شأنه أن يطامن نفوسهم، ويدفعهم لمراجعة
حساباتهم، ليجدوا أنهم لا يربحون من هذا الإستعلاء والاستكبار،
وبذلك يعيد إليهم قدراً من التوازن في نظرهم إلى القضايا..

مع ملاحظة: أنه لم يُظهر إصراراً على تكذيبهم في دعواهم بقاء الشبهة،
رفقاً منه بهم، وإفساحاً للمجال للتروي والتأمل.. بالإضافة إلى مصالح
أخرى ربما ترتبط بالسياسة العامة للناس في مجال العلاقة بهم، والتعامل
معهم في الشأن العقيدي.

حوار مكذوب:

ثم إن أساس الخلاف بين نصارى نجران وبين النبي «صلى الله عليه وآله»
هو أنهم يعبدون عباد الله، ولا يعبدون الله، ولأجل ذلك دعاهم إلى المباهلة،
وذلك يدل على عدم صحة ما رواه عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى
نجران وأخبار يهود عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتنازعوا عنده، فقالت
الأخبار: ما كان إبراهيم الا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً.
فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مَنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبُكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُخَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

فقال رجل من الأخبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى

عيسى ابن مريم؟

وقال رجل من نصارى نجران: أودلك تريد يا محمد وإليه تدعوننا؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «معاذ الله أن أعبد غير الله أو أمر

بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني».

فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣).

(١) الآيات ٦٥ - ٦٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٨١ من سورة آل عمران.

(٣) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة آل عمران.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢١ عن ابن إسحاق، وتخریج الأحاديث والآثار =

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين ٣٣١

إذ كيف يصح اتهامهم النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد من الناس أن يعبدوه كما يعبد النصارى عيسى «عليه السلام»، مع أنه هو الذي يريد أن يصدّهم عنه.

فإن هذه الآيات قد وردت في سورة آل عمران، وهذه السورة قد نزلت قبل قضية المباحلة بسنوات كثيرة. فكيف يقال: أنها قد نزلت في المباحلة في أواخر حياته «صلى الله عليه وآله»..

والجواب عن ذلك هو: أن الله تعالى قد أنزل عليه «صلى الله عليه وآله» هذه الآيات مرة ثانية، حين جاءت مناسبتها، وذلك غير بعيد..

لماذا لم يكلمهم رسول الله ﷺ؟!:

وقد ذكرت الرواية: أن وفد نجران كلموا رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرات عديدة، فلم يجبههم «صلى الله عليه وآله»، حتى أرشدهم علي «عليه السلام» إلى ضرورة تغيير ملابسهم الفاخرة، فحينئذ كلمهم «صلى الله عليه وآله»..

والسؤال هنا ذو شقين:

أحدهما: هل ارتداء الملابس الفاخرة خطيئة تستوجب الاعتراض المتمثل

= ج ١ ص ١٩١ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٦٨ وجامع البيان للطبري ج ٣ ص ٤٤١ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٢ ص ٦٩٣ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٥ والعجائب للعسقلاني ج ٢ ص ٧٠٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ و٤٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٩٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٩٥ وعيون الأثر ج ١ ص ٢٨٤.

بهذا الصدود والإعراض؟!

الثاني: وجدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكتفي بالإعراض على آخرين جاؤوه على مثل هذه الحالة، من دون أن ينتهي الأمر به إلى هذا الحد من التشدد والصدود والإعراض.

ونقول في الجواب:

إن لبس فاخر الثياب ليس حراماً إذا جاء على رسله ولم يستبطن معنى آخر مبغوضاً ومرفوضاً، مثل أن تكون هذه المظاهر هي مصدر الإعتزاز لدى من يلجأ لممارستها، أو أنه يريد من خلالها أن يتيه على الآخرين ويؤذيهم بها، ويسعى لكسب الإمتيازات التي لا يستحقها..

بل ربما يريد أن يخدع بها الناس، ويؤثر على نظرتهم حتى في أمور الدين والإعتقاد، والنظرة والإيجاء لهم بأن غناه إنما هو لقدرات اختص بها دونهم، وهذا ما حكاه الله تعالى عن قارون بقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^(١).

وكان قد قال لقومه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٢).

وربما يؤدي ذلك إلى إيهامهم بأن ما حصل عليه من مال إنما هو لخصوصية في دينه، فتحت له أبواب الغنى التي حرم منها الآخرون، لأن

(١) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة القصص.

(٢) الآية ٧٨ من سورة القصص.

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين ٣٣٣
دينهم لم يقدر على تأمينها لهم، بل ربما كان هو السبب فيما يعانونه من فقر
وحاجة..

وإذا كان هذا الذي يظهر للناس على هذه الحال من رجال الدين فذلك
يوحي لهم بأن رسالة الدين هي الإعتزاز بالمال وهو جزء من أهدافه..
فذلك كله أو بعضه يحتم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن
يعترض على من يسير في هذا الاتجاه، ولا بد أن يكون اعتراضه أشد قسوة
حين يكون من يفعل ذلك يقدم نفسه للناس على أنه من القيادات الدينية،
ولا يورد ولا يصدر إلا في الحدود التي يسمح له بها الشرع، فيؤدي ذلك
إلى تكريس هذا الأمر على أساس اعتقادي ديني، ينسب فيه هذه الأمور إلى
الله سبحانه، وأنه هو الذي اختار ذلك لعباده..

ما تقول في عيسى؟!

قد زعمت الرواية: أن الوفد سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن
عيسى فقال: «ما عندي فيه شيء الخ...».
ونقول:

إن ذلك موضع ريب وشك:

أولاً: لأنه كان قد أخبرهم بما يقوله في عيسى حين أخبرهم بأنه لا
يقول بأن الله تعالى ولدًا، كما يقولونه في عيسى..

ثانياً: إن الآيات في شأن عيسى كانت قد نزلت عليه قبل سنوات من
ذلك التاريخ، فلماذا لم يبادر إلى قراءتها عليهم. مع أنها هي نفسها التي قرأها
عليهم بعد أن استمهلهم؟!

٣٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

فقد قرأ، أو ضمّن كلامه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(١).

وقرأ عليهم آية سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٢).

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

فلماذا يؤجل «صلى الله عليه وآله» الإجابة وعنده الآيات الكثيرة التي تتضمن الجواب الكافي والشافي على ذلك السؤال، ثم إنه حين أجابهم لم يزد على استعادة تلك الآيات وقراءتها عليهم.

ثالثاً: إنه حتى لو لم تكن تلك الآيات قد نزلت عليه «صلى الله عليه وآله» فإن العقل الإنساني يقضي بأن الله لا يمكن أن يكون له ولد، وبأن خلق آدم أعظم من خلق عيسى.. ولا شك في أن هذا ما يقوله رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا لا يذكره لهم، ما دام أن السؤال موجه مباشرة، حيث قالوا له: «ما تقول في عيسى بن مريم؟ فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم قولك فيه».

يصالحهم على ألا يأكلوا الربا:

هذا.. وقد أعطاهم النبي «صلى الله عليه وآله» ذمته في أمور كثيرة كلها

(١) الآية ١٧١ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٧ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

لمصلحتهم، فلا يغير أسقف عن أسقفية، ولا راهب عن رهبانته، وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطاء أرضهم جيش، ولا بد أن ينصفوا، على أن لا يأكلوا الربا.

وهذا يبين مدى حساسية الإسلام من أكل الربا، فرغم أنه يقرهم على دينهم، ولا يرضى بالتدخل في شأنهم الديني، ولو بمستوى تغيير راهب عن رهبانته، فإنه يعطيهم هذه الإمتيازات التي كان يستطيع أن يمنعهم بعضها، من دون أن يخل ذلك بميزان الإنصاف والعدل.

ولكنه أثرهم بذلك كله في مقابل أن لا يأكلوا الربا، رغم ان أكلهم الربا لا يوجب خللاً مباشراً في حياة المسلمين، وإنما هو يوجب خللاً في مجتمعهم هم بالدرجة الأولى، ولكنه أراد أن يحفظهم هم عن التعرض لسلبات هذه الخطيئة التي تنال الضعفاء وترهقهم، وتبدد جهدهم، وتعطيه لمن لا يستحقه.. بل إن سلبات هذه العاهة لا تنحصر في الحالة المالية والمعيشية منها لكي يقال: إنها تصيب الفقراء دون سواهم، بل تعداها إلى أضرار روحية ونفسية خطيرة، حتى على أكل الربا نفسه، حيث يتحول إلى حيوان كاسر شرس لا يحمل في داخله أي شعور إيجابي تجاه أخيه الإنسان فضلاً عن غيره من المخلوقات والكائنات.. بل هو يتحول إلى طاغوت جبار، ومصاص دماء.

ثم إن من أبسط نتائج هذه العاهة هو أن يفقد الناس أي دافع لعمل المعروف، فيشعر الفقير بقسوة صاحب المال عليه، ويرى أنه يمعن في إذلاله واستغلاله، وصاحب المال لا يجد لديه الحافز لمساعدة الفقير والتخفيف من آلامه، وتكون النتيجة هي زوال المعروف كما قال الإمام الباقر «عليه

السلام: «إنما حرم الله عز وجل الربا لئلا يذهب المعروف»^(١).

وقيل للمصادق «عليه السلام»: «لم حرم الربا؟

قال: لئلا يتمانع الناس المعروف»^(٢).

يضاف إلى ذلك: أن شيوع الربا يعطل المال عن أداء دوره في تداول السلع، وتأثيره في إنعاش الإقتصاد، ويمنع من نمو الأموال في أيدي الناس بصورة متوازنة، حيث يؤدي إلى تراكم الأموال في مواقع بعينها، وزيادة عجز الآخرين عن الحصول على أموال يمكنهم التحرك بها في المجالات المختلفة، ثم هي تمنع من استحداث أي موقع سواها على مر الأيام..

ولعل هذا هو ما يشير إليه، ما روي عن هشام بن الحكم: «قال سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن علة تحريم الربا.

قال: إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات، وما يحتاجون إليه، فحرم الله الربا لتفر الناس عن الحرام إلى التجارات، وإلى البيع والشراء،

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٤٢٥ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٨ ص ١٢٠ القواعد الفقهية للبحروردی ج ٥ ص ٩٠ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤٨٣ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٦٦ والبحار ج ١٠٠ ص ١٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٨ ص ١٣٣ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٠٣٢.

(٢) البحار ج ٧٥ ص ٢٠١ وراجع: فقه الرضا لابن بابويه ص ٢٥٦ والبحار ج ١٠٠ ص ١٢١ والدر المنثور ج ١ ص ٣٦٥ وذيل تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢١٤ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٨٨ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦٢ ومطالب السؤل للشافعي ص ٤٣٩ وكشف الغمة للإربلي ج ٢ ص ٣٧٠ و ٣٩٩.

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين ٣٣٧
فيتصل ذلك بينهم في القرض»^(١).

وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: «إنما نهى الله عز وجل عنه لما فيه من فساد الأموال، لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً، وثنى الآخر باطلاً، فبيع الربا وشرأوه وكس على كل حال على المشتري، وعلى البائع، فحظر الله تبارك وتعالى على العباد الربا لعله كساد الأموال»^(٢).

وعلى كل حال، فإن التعامل بالربا يفسد الأموال، والأرواح والقلوب على حد سواء، ويوجب سقوط المعايير، وينحرف بالفطرة عن الصراط السوي..

وذلك كله يوصل ابواب الهداية، ويضعف فرص وصول الإنسان إلى الحق، وتفاعله معه، وقبوله به، وخضوعه له..

أما حين تستبعد هذه العاهة، وتمنع من التأثير على واقع المجتمع الإنساني، فإن صدود النجرايين عن الحق لبعض الموانع، أو لتأثرهم

(١) البحار ج ١٠٠ ص ١٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٤٢٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٨ ص ١٢٠ وشرح اللمعة للشهيد الثاني ج ٣ ص ٣٠٠ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤٨٢ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٦٧.

(٢) البحار ج ١٠٠ ص ١١٩ وشرح اللمعة للشهيد الثاني ج ٣ ص ٣٠٠ وجواهر الكلام للجواهري ج ٢٣ ص ٣٣٣ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤٨٣ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج ١ ص ١٠٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٦٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٨ ص ١٢١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٤٢٥ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج ١ ص ٢٩١.

بشبهة، أو بظرف بعينه لا يوصد أمامهم أبواب الهداية إلى الأبد، بل تبقى الفرصة أمامهم سائحة ما دامت الفطرة سليمة، مؤيدة بصفاء النفوس، وطهر الأرواح، وسلامة وصحة المعايير..

وبعد كل هذا الذي ذكرناه، فإن المسلمين كانوا يعيشون بالقرب من مجتمع النصارى، أو أنهم يخالطونهم، فلا بد من حفظهم وصيانتهم من عدوى أية عاهة قد تصيب تلك الجماعات.

ومن الطبيعي أن تكون حصانتهم من الناحية العقيدية والإيمانية قوية، بسبب قوة البراهين التي تدعوهم للإيمان والثبات فيه..

ولكن الحصانة في موضوع الأموال التي يسيل لها لعاب الطامعين والطامحين تبقى أضعف من غيرها. وهي في معرض الإهتزاز، أو السقوط أمام حب الإنسان للمال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾^(١). فلا بد من تخفيف منابع الإغراء من أصولها، وجذورها، فكان هذا الإجراء منه «صلى الله عليه وآله» يتوافق مع القاعدة التي تقول: «درهم وقاية خير من قنطار علاج».

مؤنة الرسل وإعارتهم الخيل والدروع:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يضمّن كتاب الصلح بنداً يتعلق بمؤنة رسله، وأن يعيرهم النجرانيون الدروع والخيل. وضمان رسله ما يستعبرونه من ذلك حتى يؤدوه إليهم.. إن اعتبار هذا الأمر بنداً إلزامياً في

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين ٣٣٩

كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل نجران يشير على أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يشعر النجرايون بأن ما يقدمونه للرسول إنما يتم تحت وطأة الخوف من محمد «صلى الله عليه وآله»، وأن هذا ابتزاز بعنوان ضيافة.

مع غض النظر عن ذلك فإن شعورهم بأنهم متفضلون على المسلمين قد يغريهم بالتشبث بمفردات الضلال والانحراف التي يعيشونها، وقد تعرض لهم حالة من التيه والتعالي تجعلهم يشعرون بعدم الحاجة إلى مراجعة حساباتهم لاكتشاف مواطن الضعف والقوة في مواقفهم.

كما أنه لا يريد لرسوله أن يشعروا بمئة هؤلاء الناس عليهم، وبالمديونية لهم، ولا أن يعيشوا الحرج النفسي من جراء ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة للعارية المضمونة، سواء بالنسبة للمعير، أو بالنسبة للمستعير. وقد جاء الحكم بضمأن تلك العارية لأصحابها لمنع تكوين أي تصور أو شعور غير مرغوب فيه لدى الفريقين حسبما أوضحناه.

فتلخص أن جعل ذلك حقاً مفروضاً على هؤلاء، ومطلوباً لأولئك، يحسم الأمر في ذلك كله لصالح أهل الإيمان، ولصالح أهل نجران، لأن منع حدوث أي نوع من أنواع سوء الفهم، أو نشوء تخيلات ومشاعر سلبية تعيق عن معالجة قضايا حساسة وأساسية، بصدق وصفاء، وتعقل وأناة وروية.

أبو عبيدة أمين هذه الأمة:

وقد رووا عن ابن مسعود: أن السيد العاقب، وأبا الحارث بن علقمة أتيا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يلاعنا، فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه، فوالله لئن كان نبياً فلاعته لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا.

٣٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

فقالا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين». فاستشف لها أصحابه.

فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح».

فلما قام قال: «هذا أمين هذه الأمة»^(١).

وعن ابن عمر: سمعت عمر يقول: ما احببت الإمارة إلا مرة واحدة، فذكر هذه القصة. وقال في آخرها: فتعرضت أن تصيبنني، فقال: قم يا أبا عبيدة الخ...^(٢).

ونقول:

أولاً: إنه لا ريب في أن الأمانة لدى المسلمين لا تنحصر بأبي عبيدة، فإن

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢١ عن البيهقي بأسناد صحيح، وعن البخاري من حديث حذيفة، وأشار في هامشه إلى البخاري في كتاب أخبار الآحاد (٧٢٥٤) وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ ومسنند احمد ج ١ ص ٤١٤ وصحيح البخاري ج ٥ ص ١٢٠ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٢٩ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢٦٧ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٥٧ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٤٥٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٥٨٤ وراجع: المصنف ج ٧ ص ٥٣١ وج ٨ ص ٥٦٥ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٦٢ وكنز العمال ج ١٣ ص ٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٤٥١.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ عن أبي يعلى وفتح الباري ج ٧ ص ٧٤.

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين ٣٤١

الأمناء في هذه الأمة كثيرون، فلماذا خص أبا عبيدة بهذه الصفة، أم أن أمانته كانت أقوى أو أشد، أو أكثر من أمانة سلمان وعمار، وعلي «عليه السلام»؟! وهل يرضى محبو الخلفاء بأن يكون أبو بكر وعمر وعثمان و.. و.. الخ.. ليسوا بهذه المثابة من الأمانة في الأمة؟!

ثانياً: إن أصل هذه القضية مشكوك فيه، فقد قال الزرقاني: «ذكر ابن إسحاق: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم. وهذه غير قصة أبي عبيدة لأنه توجه معهم، فقبض مال الصلح ورجع. وعلي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فقبض ما استحق عليهم من الجزية، ويأخذ ممن أسلم ما وجب عليه من الصدقة»^(١). ولا يخفى أن هذا الجمع تبرعي، وهو لا يوجب إلغاء احتمال أن تكون قضية أبي عبيدة مكذوبة.

ثالثاً: إن مما يزيد الريب في صحة رواية أبي عبيدة: أننا لا نجد مبرراً لتأكيد النجرايين على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرسل معهم أميناً: ١ - إذ متى أرسل من جباة الصدقات وحملة أموال الجزية إليه من خان الأمانة واستولى على الأموال؟!

٢ - يضاف إلى ذلك: أن هذا الأمر يعود القرار فيه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فما هذا التدخل منهم في شأن لا يعينهم؟! ٣ - أم أن المقصود هو اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في رأيه، أو نسبة

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ وفتح الباري ج ٨ ص ٧٤ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٨.

التهاون إليه في حفظ الأموال؟!

٤ - متى أصبح النجرايون يغارون على مصالح المسلمين، ويهتمون بحفظ أموالهم من الخونة؟!

٥ - إن كتاب الجزية قد حدد المقادير المطلوبة من النجرايين، فهو يطالبهم بما حدده ذلك الكتاب، ويطالب رسوله به أيضاً، فلا مجال للخيانة والتستر على شيء من المال..

رابعاً: حديث عمر: ما أحبيت الإمارة إلا مرة واحدة، فذكر هذه القصة لا يمكن القبول به، فقد روي هذا الموقف عن عمر بن الخطاب في عدة مناسبات كما ألمحنا إليه في موضع آخر في هذا الكتاب، فقد قال ذلك في:

١ - خيبر.

٢ - عند وفد نجران.

٣ - وفي غير ذلك.

خامساً: إن هذا الذي زعموا أنه أمين هذه الأمة قد خان الأمة في أعظم حقوقها، وذلك حين مالاً على اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي، كما سيأتي بيانه حين الحديث عن السقيفة، التي كان أبو عبيدة أحد أركانها، وانتجت إغتياب الخلافة من أمير المؤمنين «عليه السلام»، بالإضافة إلى ضرب الزهراء «عليها السلام» حتى أسقطت المحسن واستشهدت.. وغير ذلك من عظام وجرائم.

صلاة النصارى في مسجد النبي ﷺ:

تقدم: أن النصارى لما حانت صلاتهم قاموا في مسجد رسول الله «صلى

الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرايين ٣٤٣
الله عليه وآله» يصلون، فأراد الناس منعهم، فقال «صلى الله عليه وآله»: «دعوهم».

وقد قال بعضهم في توجيه ذلك: «إن الناس أرادوا منعهم لما في فعلهم من إظهار دينهم الباطل بحضرة المصطفى وفي مسجده، وإنما أمر «صلى الله عليه وآله» بتركهم، تأليفاً لهم، ورجاء إسلامهم، ولدخولهم بأمان، فأقرهم على كفرهم، ومنع من التعرض لهم، فليس فيه إقرار على الباطل».

ونقول:

أولاً: إن دخولهم بأمان لا يعني السماح لهم بالصلاة في موضع لا يرضى المسلمون بصلاتهم فيه، ويدينون إلى الله في منعهم من ذلك، إنطلاقاً من حكم شرعي ثابت عندهم.

ثانياً: إن تأليف النجرائين لا يتوقف على السماح لهم بالصلاة في داخل المسجد، إذا كان الشرع يمنع من ذلك.

والذي نراه هو أنهم كانوا في موضع ملحق بالمسجد، ولم يكن يحرم وجود الكافر في ذلك الموضع، فأراد المسلمون أن يمنعوه من ممارسة حريتهم في ذلك الموضع من دون مراجعة النبي «صلى الله عليه وآله»، فمنعهم النبي «صلى الله عليه وآله» من ذلك.

دخول الكافر إلى المسجد:

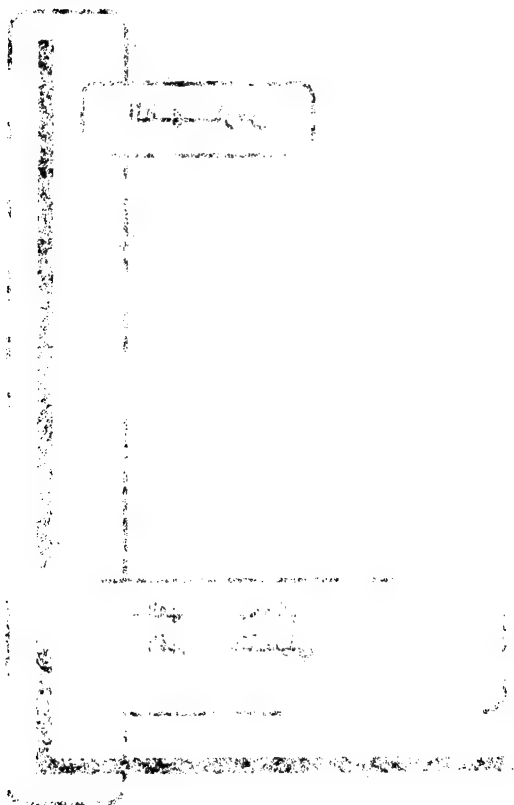
وقد حاول بعضهم أن يقول: إن الروايات تتحدث عن دخول وفد نجران إلى المسجد النبوي لملاقة النبي «صلى الله عليه وآله»، والإحتجاج عليه، ثم مباہلته..

كما أن روايات أخرى تفيد أن بعض المشركين كانوا يدخلون إلى المسجد لملاقاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فهذا وذاك يدلنا على جواز دخول الكتابي بل مطلق الكافر حتى لو كان مشركاً أو ملحداً إلى المسجد..
ونقول:

كنا قد تحدثنا عن هذا الأمر حين الحديث عن وفاة زيد الخيل ودخوله إلى المسجد، ولكننا نعيد تذكير القارئ ببعض ما ذكرناه من أن المحرم من دخول الكافر إلى المسجد هو الموضع الذي تكون فيه الصلاة، أما دخوله إلى باحة المسجد وساحاته، وإلى غيرها من الملحقات بموضع الصلاة فلا ضير فيه..
ولعل النبي «صلى الله عليه وآله» كان يلقي أهل الكتاب والمشركين في غير مكان الصلاة.. فإن الناس يطلقون على باحة المسجد أنها مسجد، لأنها من شؤونها، ومتمماتها، التي يحتاج إليها المصلون في التهيؤ والإستعداد للصلاة.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي



١ - الفهرس الإجمالي

٣٢ - ٥	الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع ووفد همدان
٧٤ - ٣٣	الفصل الرابع: وفود سنة تسع
١٢٦ - ٧٥ ..	الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. ووفد ثقيف
١٦٦ - ١٢٧	الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة
٢٤٨ - ١٦٧	الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ
٢٩٦ - ٢٤٩	الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، قليلة التفاصيل
٣٢٤ - ٢٩٧	الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل
٣٥٢ - ٣٢٥	الفصل العاشر: وقفات.. مع حديث النجرانيين
٣٥٩ - ٣٥٣	الفهارس

تعاريف و اصطلاحات

مقدمه: در این بخش، تعاریف و اصطلاحات کلیدی که در این سند استفاده می‌شود، ارائه می‌گردد.

1. **هدف:** هدف اصلی این سند، تعیین اهداف و مقاصد کلی است.

2. **محدوده:** محدوده این سند، شامل تمامی بخش‌ها و فرآیندهای مرتبط می‌باشد.

3. **مسئولیت:** مسئولیت اجرای این سند، بر عهده مدیران و کارکنان است.

4. **تاریخ:** تاریخ تصویب این سند، به تاریخ ۱۴۰۳/۰۵/۰۱ می‌باشد.

5. **محل:** محل اجرای این سند، در تمام بخش‌ها می‌باشد.

6. **تغییرات:** تغییرات در این سند، باید با تایید مدیران انجام گیرد.

7. **تایید:** این سند، با تایید مدیران، به اجرا در می‌آید.

٢ = الفهرس التفصلي

الفصل الثالث: وفادة الملوك سنة تسع.. ووفد همدان

- ٧ ملوك حمير قبل الإسلام:
- ٧ النبي ﷺ وملوك حمير:
- ٩ كتابه ﷺ إلى ملوك حمير، وأذواء اليمن:
- ١١ من هو وافد حمير:
- ١٣ كتاب النبي ﷺ لأهل اليمن:
- ١٩ تكرار كلمة «أما بعد»:
- ١٩ الإعلان والإشهاد على الإسلام:
- ١٩ الإيمان قول وعمل:
- ٢٠ قتال المشركين دون غيرهم:
- ٢٠ من يأخذ الصدقات من الناس؟!:
- ٢١ رسول الله مولى غنيكم وفقيركم:
- ٢١ إنما هي زكاة يتزكى بها:
- ٢١ وصية النبي ﷺ لرسوله:
- ٢٢ وفد همدان:
- ٢٧ توضيحات:
- ٢٨ كتاب لهمدان:

٣٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
الثناء على همدان: ٣٠

الفصل الرابع: وفود سنة تسع

- ٣٥ وفود مرة:
٣٧ الكرامة صنع إلهي:
٣٨ قتل الدعاة إلى الله:
٣٩ وفود فزارة:
٤٢ ويضحك ربنا:
٤٣ سؤال النبي ﷺ عن حال بلاد فزارة:
٤٣ أين نزل المطر؟!:
٤٤ ليشفع ربك إليك:
٤٥ إعتراض أبي لبابة على الله ورسوله:
٤٥ عري أبي لبابة:
٤٦ اللهم حوالينا.. لا علينا:
٤٧ كان لا يرفع يديه في الدعاء:
٥٠ وفود بني كلاب:
٥٢ وفود الدارين:
٥٣ لماذا تغيير الأسماء?!:
٥٥ تاريخ وفادة الدارين:
٥٦ إقطاع قريتين لتميم:
٦٠ وفود طيء مع زيد الخيل:
٦٥ متى غير اسم زيد الخيل?!:

الفهارس.. ٣٥١ ..

عظمة زيد عند رسول الله ﷺ: ٦٥.....

ثناء النبي على زيد الخيل: ٦٦.....

دخول المشركين إلى المسجد: ٦٩.....

وزر بن سدوس ينتصر: ٧١.....

وفد بني البكاء: ٧٢.....

التبرك بالرسول ﷺ: ٧٣.....

الفصل الخامس: وفود سنة تسع قبل شهر رمضان.. وفود ثقيف

وفد بني أسد: ٧٧.....

يؤمنون عليك أن أسلموا، فيمن نزلت؟! : ٧٩.....

بنو الزنية أو الرشدة: ٨١.....

علم الخط وضرب الرمل: ٨٢.....

الأنبياء ﷺ وعلم الخط: ٨٣.....

وفد بني عذرة: ٨٧.....

نحن بنو عذرة: ٨٩.....

وفد زمل بن عمرو: ٩١.....

زمل العذري عند يزيد: ٩٢.....

عقد له لواء: ٩٢.....

لا تسألوا الكهان: ٩٤.....

هرقل عقدة تحتاج إلى حل: ٩٤.....

السؤال عن الأشخاص: ٩٥.....

وفود بلي: ٩٦.....

٣٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨
٩٧	تنبيه:
٩٨	الوفد الثاني لثقيف:
١٠٤	هدم الطاغية:
١٠٥	الوفد العائد:
١٠٧	كتاب رسول الله ﷺ لوفد ثقيف:
١١٠	كتاب آخر لوفد ثقيف:
١١٢	إيضاحات لا بد منها:
١١٤	إلغاء سوق عكاظ:
١١٤	شهادة الحسينين عليهما السلام على كتاب ثقيف:
١١٥	ملك سليمان:
١١٦	علم عثمان بن أبي العاص:
١١٧	لا خير في دين لا صلاة فيه:
١١٧	لا مساومة على أحكام الله:
١١٨	جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ:
١١٩	ادعُ الله أن يفقهني، ويعلمني:
١١٩	عثمان بن أبي العاص يمدح نفسه:
١٢٠	المغيرة يقدم أبا سفيان، فيرفض:
١٢٠	توضيحات عن وفد ثقيف:
١٢١	لكي يسمعهم القرآن ويريمهم الصلاة:
١٢٢	استئثار أبي بكر بالبشارة:
١٢٣	أسكنهم في ناحية المسجد:

٣٥٣.....	الفهارس..
١٢٣.....	يسيئون الظن برسول الله ﷺ:
١٢٤.....	تأجيل هدم الطاغية:
١٢٥.....	لا يكسرون أصنامهم بأيديهم:
١٢٥.....	نظرة في كتاب ثقيف:

الفصل السادس: وفود السنة العاشرة والحادية عشرة

١٢٩.....	وفود بني تغلب:
١٢٩.....	إستغلال سذاجة الآخرين ممنوع:
١٣١.....	وفود الرهاويين:
١٣٢.....	إجازات النبي ﷺ للوفود:
١٣٥.....	وفد غامد:
١٣٧.....	وفود كندة:
١٤٢.....	عدد أعضاء الوفد:
١٤٢.....	الرسول ﷺ لا يرضى بلبس الحرير:
١٤٣.....	أبيت اللعن تحية الملوك:
١٤٤.....	لا تناقض في فعل النبي ﷺ:
١٤٥.....	بكاء النبي ﷺ حيرهم:
١٤٥.....	النبي ﷺ يصد الأشعث:
١٤٦.....	الأولاد مجبنة مبخلة:
١٤٧.....	وفود بني سلامان:
١٥٠.....	وفود خثعم:
١٥١.....	وفد بني الحارث بن كعب:

٣٥٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

- قضايا فطرية تأتي بالنصر: ١٥٤
- النبي ﷺ يشهد لنفسه بالنبوة: ١٥٥
- تهديد النبي ﷺ لبني الحارث: ١٥٥
- وفود محارب: ١٥٦
- آثار لقاءات عكاظ ظهرت في المدينة: ١٥٧
- وفود زبيد في السنة الحادية عشرة: ١٥٨
- آخر الوفود وفد النخع: ١٥٩
- فتنة آخر الزمان: ١٦٢
- متى قدم زرارة بن عمرو؟! : ١٦٤
- حديث رؤيا زرارة: ١٦٥

الفصل السابع: خمسة وفود بلا تاريخ

- ١ - وفد أزد شنوءة: ١٦٩
- بُذِنُ الله تنحر عند شكر: ١٧١
- تفويض حرب المشركين لضراد الأزد: ١٧٣
- هل فتحت جرش عنوة أو صلحاً؟! : ١٧٣
- أستلة أخرى تحتاج إلى جواب: ١٧٤
- علاقة الجاسوسين بأبي بكر وعثمان: ١٧٦
- مدائح النبي ﷺ لأهل جرش: ١٧٩
- في وفد أزد عمان: ١٨٠
- وفد الأزد في حديث آخر: ١٨٢
- ٢ - وفود مهرة: ١٨٣

الفهارس.. ٣٥٥ ..

١٨٤ قدوم نافع بن زيد الحميري:

١٨٥ حديث القلم.. والجبر والعدل:

١٨٨ استفادة الجبرية من أحاديث القلم:

١٨٩ لماذا كانت القدرية مثل المجوس؟!:

١٨٩ نماذج من أحاديث الجبر:

١٩٣ الشيعة بريئون من الجبر:

١٩٣ من سلبيات تعميم القدر لأفعال العباد:

١٩٥ الجبر واليهود، والمشركون:

١٩٥ الحُكَّام ومقولة الجبر:

١٩٨ رواية أهل البيت عليهم السلام لحديث جف القلم:

٢٠١ المخلوق الأول:

٢٠٤ ٣- وفد بني شيان:

٢٠٧ سبب إعطاء الكتاب لقيلة:

٢٠٧ تشابه الأحداث:

٢٠٨ أرعدت من الفرق:

٢٠٩ الطعن في النبوة:

٢١٠ لو لم تكوني مسكينة:

٢١١ ٤- وفد الأشعرين:

٢١٤ هل الأشعريون أفضل أهل الأرض؟!:

٢١٥ الإيمان والحكمة يمانيان:

٢١٨ الأشعريون والإعتقادات:

٣٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

٢٢٠ عمرو بن الحمق قائد الأشعرين:

٢٢٣ دعاء النبي ﷺ لزبيد:

٢٢٤ ٥ - وفود بني حنيفة ومسيلمة الكذاب:

٢٣٣ هل رأى مسيلمة رسول الله ﷺ:

٢٣٤ تعظيم مسيلمة خرافة:

٢٣٥ النبي ﷺ يفضح نوايا مسيلمة:

٢٣٦ مسيلمة يريد ولاية الأمر بعد النبي ﷺ:

٢٣٧ مسيلمة يستثير الغرائز والأهواء:

٢٣٨ مفارقة مثيرة:

٢٣٩ الأرض لله يورثها من يشاء:

٢٤٠ تهديد الرسولين:

٢٤١ منام رسول الله ﷺ:

٢٤٣ ضرر أحدكم في النار مثل أحد:

الفصل الثامن: وفود بلا تاريخ، فكيمة التفاصيل

٢٥١ وفد أحس:

٢٥٢ أنتم اليوم لله:

٢٥٣ إبدأوا بالأحسين:

٢٥٣ الحماس في الدعاء لأحس:

٢٥٤ وفود قيس بن غربة:

٢٥٥ اختلاف الروايات:

٢٥٥ غزو خثعم بالأحسين:

٣٥٧	الفهارس ..
٢٥٦	وفود غافق:
٢٥٧	وفود حضر موت:
٢٥٨	معنى النبوة في وجدان الناس:
٢٥٩	البشائر بالرسول:
٢٥٩	وفادة الحكم بن حزن الكلفي:
٢٦٠	وفود بني بكر بن وائل:
٢٦١	وفود الصدف:
٢٦٣	وفود بني سحيم:
٢٦٣	وفود بني سدوس:
٢٦٥	وفد الجشمي، أو الجيشاني:
٢٦٦	الجيشاني أم الجشمي؟!:
٢٦٦	سؤال النبي ﷺ عن البَيْع:
٢٦٧	وفود بهراء:
٢٧٠	وفود بارق:
٢٧١	اشتراط ضيافة المسلمين:
٢٧٢	وفود عمرو بن معدي كرب الزبيدي
٢٧٤	وفود طارق بن عبد الله:
٢٧٧	وفود عنزة:
٢٧٨	وفود بني سعد هذيم:
٢٧٩	أول جنازة صلى عليها رسول الله ﷺ:
٢٨١	الخوف من السيف:

٣٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٨

٢٨٢ أصغر القوم خادهم:

٢٨٢ وفود أسلم:

٢٨٣ الثناء على أسلم وغفار:

٢٨٤ أسلم إخوة الأنصار:

٢٨٤ طلب المنزلة الخاصة:

٢٨٥ وفد بني هلال:

٢٨٦ لماذا غضب النبي ﷺ؟!:

٢٨٧ وفود بني عقيل بن كعب:

٢٨٧ بايعوا على من وراءهم:

٢٨٨ إقطاع أرض فيها عيون ونخل:

٢٨٨ إقطاع مشروط:

٢٨٨ وفود خولان:

٢٩١ وفود تُجيب، وهم من السكون:

٢٩٤ الإكتفاء الذاتي في عهد رسول الله ﷺ:

٢٩٥ حديث الرجل من بني أبذى:

الفصل التاسع: وفد نجران.. أحداث وتفاصيل

٢٩٩ ماذا عن نجران؟!:

٢٩٩ كتاب دعوة.. ووفد استطلاع:

٣٠٢ وفد النجرانيين إلى رسول الله ﷺ:

٣٠٤ وفد نجران يحاور رسول الله ﷺ:

٣١٤ كتاب مصالحة النجرانيين:

٣٥٩ الفهارس..
٣١٧ كتاب آخر لنصارى نجران:
٣١٨ نص آخر للكتاب:
٣١٩ الكتاب بخط علي <small>عليه السلام</small> :
٣٢٠ عهد مكذوب على النبي <small>ﷺ</small> :
٣٢١ آية الكلمة السواء متى نزلت؟!:
٣٢٢ رجوع وفد نجران إلى بلادهم:

الفصل العاشر: وثقات.. مع حديث النجرانيين

٣٢٧ دعوة النجرانيين إلى الإسلام متى كانت؟!:
٣٢٨ فإن أبيتم فالجزية:
٣٢٩ حوار مكذوب:
٣٣١ لماذا لم يكلمهم رسول الله <small>ﷺ</small> ؟!:
٣٣٣ ما تقول في عيسى؟!:
٣٣٤ يصلحهم على ألا يأكلوا الربا:
٣٣٨ مؤنة الرسل وإعارتهم الخيل والدروع:
٣٣٩ أبو عبيدة أمين هذه الأمة:
٣٤٢ صلاة النصارى في مسجد النبي <small>ﷺ</small> :
٣٤٣ دخول الكافر إلى المسجد:

الفهارس:

٣٤٧ ١ - الفهرس الإجمالي
٣٤٩ ٢ - الفهرس التفصيلي